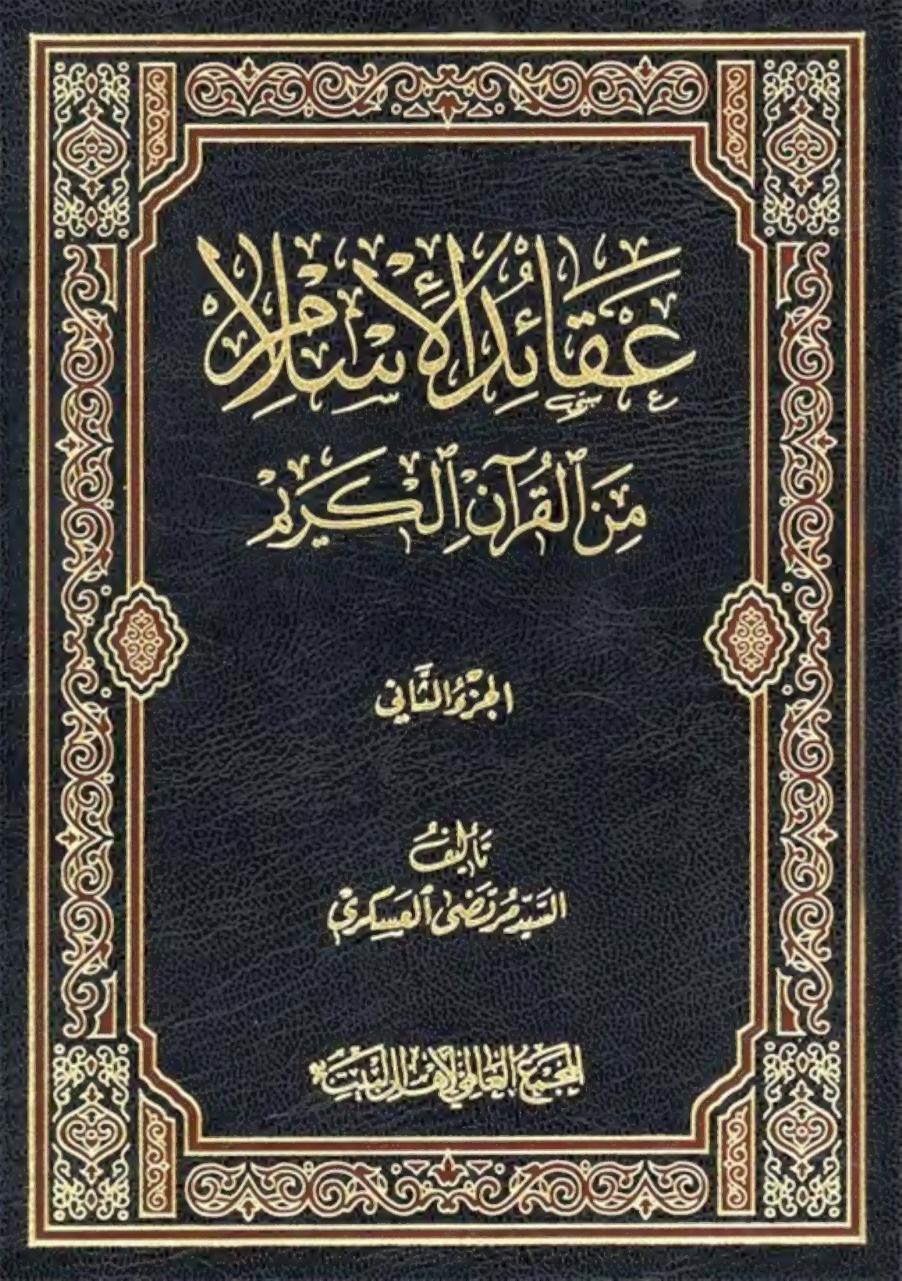
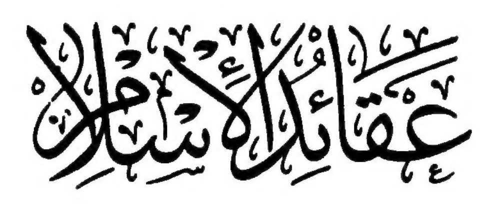

عقائد الإسلام
من القرآن الكريم
الجزء الثاني
تأليف
السيد مرتضى العسكري
المجمع العلمي الإسلامي


عقائد الإسلام
من القرآن الكريم



من القرآن الكريم

الجزء الثاني

تسلسل تعيين الوصيّ

من

لدن آدم إلى النبيّ الخاتم

«صلوات الله عليهم اجمعين»

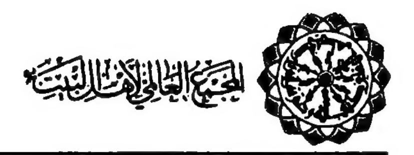
تأليف

السيد مرتضى العسكري

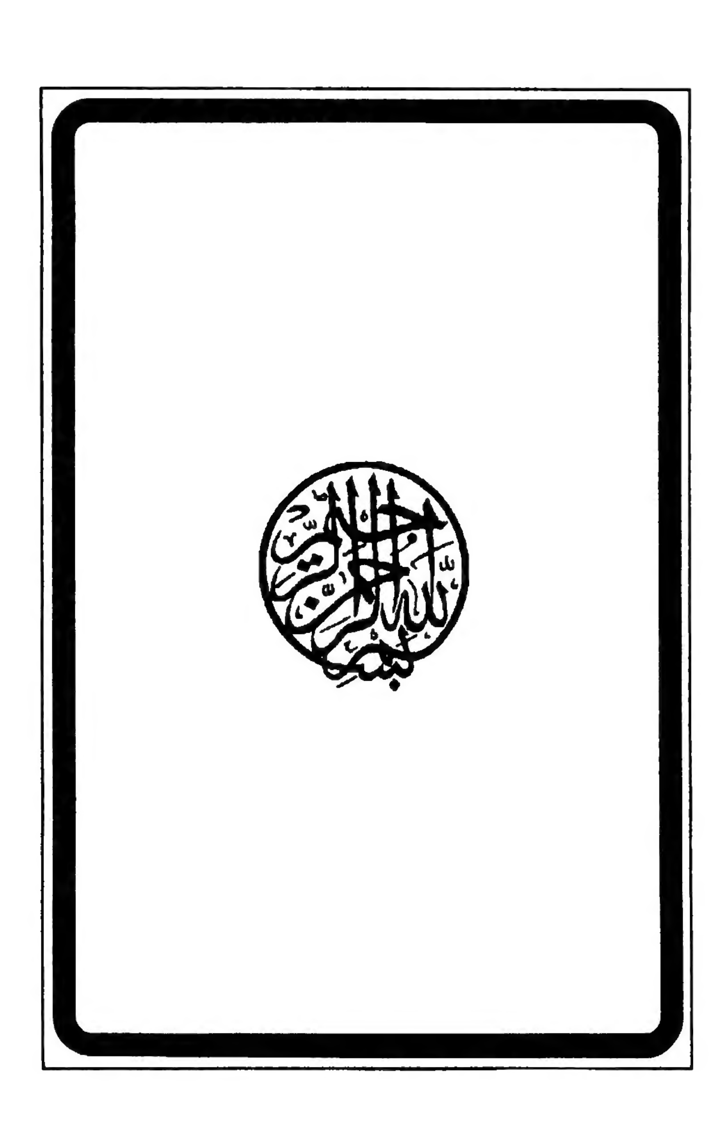


المجمع العلمي لأهل البيت

الطبعة الثانية
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



العنوان: بيروت ـ حارة حريك ـ شارع دكاش ـ بناية الحسنين
ت: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٧ ـ ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠
المستودع: حارة حريك ـ خلف كنيسة مار يوسف ـ بناية دار الزهراء


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَد أَرسَلنَا رُسُلَنا بِالبَيِّناتِ وَ أَنزَلنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَ المِيزانَ بِالقِسْطِ وَ أَنزَلْنا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ الله مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالغَيْبِ إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد / ٢٥].

﴿ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُم أُولـئِكَ سَوفَ يُؤتِيهِم أُجُورَهُم وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [النساء / ١٥٢].

﴿ إنَّ الذين قالُوا ربُّنا اللهُ ثُم استقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ ألَّا تخافُوا وَ لا تَحزَنُوا وَ أبشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتي كُنتُم تُوعَدُون * نَحنُ أولياؤُكُم في الحَياةِ الدُّنيا وَ في الآخرة وَ لَكُم فيها ما تَشتَهِي أنفُسُكُم وَ لَكُم فيها ما تَدَّعُون * نُزلاً مِنْ غَفُورٍ رَّحيمٍ * وَ مَنْ أحسَنُ قَولاً مِمَّن دَعَا إلىٰ اللهِ وَ عَمِلَ صالحاً وَ قَالَ إنَّني مِنَ المُسْلِمينَ ﴾ [فصلت : ٣٠ ـ ٣٣].

﴿ وَ الَّذينَ ءَامنوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ أُولـئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِندَ رَبِّهِم لَهُم أجرُهُم وَ نُورُهُم وَ الَّذينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولـئك أصْحابُ الجَحيمِ ﴾ [الحديد / ١٩].

﴿ سابِقُوا إلىٰ مَغفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُم وَ جَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَ الأرْضِ أُعِدَّت لِلَّذينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللهُ ذُو الفَضْلِ العَظيمِ ﴾ [الحديد / ٢١].

مقدمة الطبعة الأولى

بسمه تعالىٰ

في مقدمة المجلد الأول من هذا الكتاب ذكرت أني وجدت عقائد الاسلام في القرآن الكريم سلسلة متصلة الحلقات ، يهدي بعضها الىٰ بعض الآخر ، وهي في مجموعها وحدة منسجمة الاجزاء يكمل بعضها البعض الآخر .

وعندما عرضها العلماء في تآليفهم فصلوا بعضها عن الآخر ، فاختفت بذلك حكمة عقائد الاسلام عن دارسيها .

واني سلسلت عقائد الاسلام في هذا الكتاب ، كما وجدتها في القرآن الكريم ، مجموعة متناسقة يكمّل بعضها البعض الآخر ، يهدي البحث المتقدم الىٰ موضوع البحث المتأخّر وبذلك ندرك عقائد الاسلام وحكمتها .

وفي بحث الربوبية منه قلنا ما موجزه :

ان الربّ يربي مربوبه حالاً بعد حال حتىٰ يبلغ درجة الكمال ، وإن الله سبحانه شرع بمقتضىٰ ربوبيته للانسان نظاماً يتناسب وفطرته ، وجعل لذلك النظام حملةً وحفظةً ، وهم رُسُله واوصياء رسله ، ثمّ قال جلّ اسمه : ﴿ لئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [النساء / ٦٥] . وقال وصيّ خاتم الانبياء الإمام علي عليه السلام : « لا تخلو الارض من قائم لله بحجة ، اما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً

مغموراً لئلّا تبطل حججه وبيناته »[١].

واوردنا في بحث (مبلغون عن الله ومعلّمون للناس) منه موجزاً من اخبارهم ، لما كان في ايراد تفصيلها فصل البحوث بعضها عن البعض الآخر ، وزوال انسجامها وجميل تناسقها. ولم يكن يظهر عندئذ لدارسيها تسلسل عقائد الاسلام من المبدأ حتىٰ المعاد ، وكيف تهتدي العقائد بعضها الىٰ بعض الآخر .ولذلك ـ أيضاً ـ اوجزت القول عن الظروف الاستثنائية لبني اسرائيل التي اقتضت أحكاماً استثنائية لزمانهم وأماكنهم.

ولهذا ، كان لا بدّ لنا في هذا المجلّد أن نفصل القول في ما أوجزناه في مجلّده الاوّل ، ومن ثمّ بسطنا القول هنا في اخبار الحجج وتسلسل مجيئهم حتىٰ في عصر الفترة ، لتوضيح ان الفترة كانت فترة في مجيء الرسل ، وليست فترة في مجيء اوصياء الرسل . وأوضحنا فيه كيف كان حجج الله رواداً للحضارة البشريّة ، ولم تقتصر هدايتهم للناس في امور العبادة وللآخرة . كما فصّلنا القول عن ظروف بني اسرائيل الاستثنائية التي اقتضت تشريعاً استثنائياً لهم ، انتهىٰ امر بعضها على عهد المسيح ، فأُحلّ لهم بعض ما كان حرّم عليهم قبل ذلك وسوف نرىٰ في بحوث الشريعة الخاتمة ـ ان شاء الله تعالىٰ ـ كيف نسخ الله جميع الاحكام الاستثنائية التي كان قد شرعها متناسباً مع ظروف بني اسرائيل الاستثنائية ، وكيف عادت حنيفية ابراهيم التي كان الله قد وصّىٰ بها نوحاً قبل ذلك والتي كانت متناسبة مع فطرة الانسان ابد الدهر .

وفي هذا المجلد ـ ايضاً ـ عبّرنا احياناً فيٰ بيان معاني بعض المصطلحات التي عرّفناها في المجلد الأوّل بتعبير آخر ، لما كان فيه زيادة بيان وتوضيح ، اكمالاً للفائدة. وقد اقتدنيا في كل ذلك بأسلوب القرآن الكريم المعجز في طرحه

(١) راجع : بحث الوصي في المجلد الأول من معالم المدرستين ، ونهج البلاغة ، باب الحكم ، حكمة ١٣٩ .

عقائد الاسلام، بايجاز تارة وأُخرىٰ بتفصيل واف يقتضيه المقام احـياناً، بـتغيير التـعبير فـي المكـان اللاحـق عـن التـعبير فـي المكـان السـابق، حسب تناسب المقام، وتوخّيا لاتمام الفائدة للقارئ المتدبّر في القرآن الكـريم أوردنـا البحوث فيه وفق المخطط الآتي.

مخطط البحوث

سيرة المبلغين عن الله حسب التسلسل الزمني

مقدمة البحث .

مصطلحات اسلامية (الوحي ، النبوة ، الرسالة ، الآية) .

آيات القرآن الكريم .

شرح الكلمات .

تفسير الآيات من الروايات .

خلاصة البحث .

ـ آدم عليه السلام :

آيات في خلق آدم .

شرح الكلمات .

تفسير الآيات .

ـ أخبار الأوصياء من بعد آدم في كتب السيرة :

مقدمة .

شيث هبة الله .

أنوش بن شيث .

قينان بن أنوش .

مهلائيل بن قينان .

يرد بن مهلائيل .
ادريس النبي ـ اخنوخ بن يرد .
متوشلح بن اخنوخ .
لمك بن متوشلح .

ـ تواريخ الأوصياء من التوراة :
بعض تواريخ الأوصياء الى عصر نوح في التوراة .
نتيجة البحث .

ـ نوح عليه السلام :
سيرته في آيات كريمة .
شرح الكلمات .
تفسير الآيات .
خلاصة اخبار نوح .
أخبار نوح في مصادر الدراسات الاسلامية .
سام بن نوح .
ارفخشد بن سام .
شالح بن ارفخشد .

ـ هود عليه السلام :
سيرته في آيات كريمة .
شرح الكلمات .
موجز تفسير الآيات .

اخبار إسحاق بن ابراهيم عليه السلام وابنه يعقوب عليه السلام

إسرائيل وبنيه بني اسرائيل

ـ يعقوب بن اسحاق عليه السلام :

سيرته في آيات كريمة .

شرح الكلمات .

تفسير الآيات .

احكام استثنائية لقوم يعقوب في ظروف استثنائية .

ـ شعيب عليه السلام :

سيرته في آيات كريمة .

شرح الكلمات .

العبرة في تفسير الآيات .

مشاهد من اخبار بني اسرائيل وانبيائهم وتفصيل حالاتهم الاستثنائية في القرآن الكريم

المشهد الأول : ولادة موسىٰ وتبنّي فرعون ايّاه .

المشهد الثاني : آيات الله التسع .

المشهد الثالث : بنو اسرائيل في سيناء .

ـ مواضع العبرة في تفسير الآيات :

المشهد الرابع : داود وسليمان عليهما السلام .

المشهد الخامس : زكريا ويحيىٰ عليهما السلام .
المشهد السادس : عيسىٰ بن مريم عليهما السلام .

عصر الفترة

ـ معنىٰ عصر الفترة :
الانبياء والأوصياء في عصر الفترة من غير آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
بعض اخبار فرع اسماعيل عليه السلام وصي ابراهيم عليه السلام علىٰ شريعته الحنيفية .
اخبار بعض آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عصر الفترة : عدنان ، مضر ، وغيرهم .
الياس بن مضر .
كنانة بن خزيمة .
كعب بن لؤي .
انتشار عبادة الاصنام في مكة وموقف آباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منها .
قصي بن كلاب .
عبد مناف بن قصي .
هاشم بن عبد مناف .
كيف عالج هاشم الاعتقاد بمكة .
عبد المطلب بن هاشم .
عبد المطلب في ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ـ خلاصة بحث فرع اسماعيل عليه السلام من وصيّي إبراهيم عليه السلام :
أ ـ الياس بن مضر .
ب ـ خزيمة بن مدركة بن الياس .

ج ـ كعب بن لؤي .

ر ـ قصي .

هـ ـ عبد مناف .

و ـ هاشم .

ز ـ عبد المطلب بن هاشم .

ـ ابوا النبي  أبو طالب وعبدالله ابنا عبد المطلب :

أولاً : والد خاتم الانبياء عبدالله .

ثانياً : كافل النبي وناصر الاسلام ابو طالب .

اسمه .

سيرته .

عقيدته .

نتيجة البحث .

نتائج البحوث .

* * *

مقدمة البحث

في سيرة الرسل أصحاب الشرائع وأوصيائهم تـجسيد لمـفاهيم الإسـلام وأحكامه ، تُكوّن دراستها للمسلم رؤية صحيحة عن المبدأ حتىٰ المعاد من عقائد الاسلام ، وبما أنّ القيام بتلك الدراسة بحاجة إلىٰ موسوعة ضـخمة ، ولا تـتسع بحوث هذا الكتاب لها ، نقتصر فيما يأتي بدراسة بعض أخبارهم في القرآن الكريم والعهدين ومصادر الدراسات الإسلامية ، ممّا نجد في درسها ضـرورة لفـهم مـا سبق، وما يأتي من بحوث الكتاب ، وكذلك نقتصر في بيان تفسير الآيات الآتية علىٰ ما نجد فيها ضرورة لفهم بحوث الكتاب . ونبدأ بحوله تعالىٰ بدرس الآيات التي تُعرّف الوحي والنبوّة والرسالة والآية والبشير والنذير ونظائرها ، مما تدور البحوث الآتية حولها .

* * *

مصطلحات اسلامية

* الإصطفاء .
* الوحي .
* الكتاب .
* النبوة .
* الرسول .
* أُولُو العزم .
* الآية .

قال سبحانه :

أ ـ في سورة الحج :

﴿ اللهُ يصْطَفي مِنَ الملائكةِ رُسُلًا ومِنَ النَّاس ... ﴾ [الآية / ٧٥].

ب ـ في سورة آل عمران :

﴿ إنَّ اللهَ أصطَفىٰ آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبراهِيمَ وَآلَ عِمرانَ عَلىٰ العالَمين ﴾ [الآية / ٣٣].

ج ـ في سورة النساء :

﴿إنَّا أوْحينا إليكَ كَما أوْحينا إلىٰ نُوحٍ وَالنَّبيِّينَ مِنْ بَعدِهِ وَأوْحينا إلىٰ إبراهيمَ وَإسماعيلَ وَإسحاقَ وَيَعقوبَ وَالأسْباطِ وَعيسىٰ وَأيّوبَ وَيُونُسَ وَهارونَ وَسُليمانَ وَآتيْنا داوُدَ زَبوراً * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُم عَليكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقصُصْهُم عَليكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسىٰ تَكْليماً * رُسُلًا مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنَّاسِ علىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللهُ عزيزاً حَكيماً ﴾ [الآيات : ١٦٣ ـ ١٦٥].

د ـ في سورة النحل :

﴿وَلَقَدْ بَعثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبوا الطّاغوتَ فمِنهم مَنْ هدىٰ اللهُ وَمِنهم مَنْ حَقَّتْ عَليهِ الضَّلالةُ ... ﴾ [الآية : ٣٦].

﴿ ... فهَلْ عَلىٰ الرُّسُلِ إلّا البَلاغُ المُبين ﴾ [الآية : ٣٥].

ش ـ في سورة آل عمران :

﴿ وَإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبيِّين لَما آتَيْتُكُم مِنْ كِتابٍ وَحِكمَةٍ ثُمَّ جاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما معكم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال ءَأقْرَرْتُم وَأخَذْتُم عَلىٰ ذٰلِكُم إصري قالوا

أقرَرْنا قال فَاشْهَدوا وَأَنا مَعكُم مِنَ الشاهِدِينَ ﴾ [الآية : ٨١].

هـ ـ في سورة الأنعام:

﴿ وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إبراهيمَ عَلىٰ قَومِهِ نَرْفَعُ دَرجاتٍ مَنْ نَشاءُ إن رَبَّكَ حَكيمٌ عَلِيم * ووَهَبْنا لَهُ إِسحاقَ ويَعقُوبَ كُلّاً هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وسليْمان وَأَيّوبَ وَيُوسُفَ وَموسىٰ وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزي المُحسنِين * وَزَكريا وَيَحيىٰ وَعيسىٰ وَإلياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحين * وإسماعيلَ وَاليسَعَ وَيُونُسَ وَلوطاً وَكلّاً فَضَّلْنا عَلىٰ العالَمين * ... * أُولئِكَ الَّذينَ آتَيْناهُمُ الكتاب والحُكمَ والنبوّةَ ... ﴾ [الآيات : ٨٣ ـ ٨٦، ٨٩].

و ـ في سورة البقرة:

﴿ قُولوا آمَنّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إلَينا وما أُنْزِلَ إلىٰ إبراهيمَ وَإسماعيلَ وَإسحاقَ وَيعقوبَ وَالأسْباطِ وَما أُوتيَ موسىٰ وَعيسىٰ وَما أُوتِيَ النَّبيّونَ مِنْ رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَينَ أحدٍ منهم وَنَحنُ له مُسْلِمُونَ ﴾ [الآية : ١٣٦].

هـ ـ في سورة الحديد:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا معهم الكِتابَ وَالميزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنْزَلْنا الحَديدَ فِيهِ بَأسٌ شَديدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ ... ﴾ [الآية : ٢٥].

وفي سورة النور ٢٤ والعنكبوت ١٨:

﴿ وَما عَلىٰ الرَّسولِ إلّا البَلاغُ المُبِين ﴾.

ح ـ في سورة سبأ:

﴿ وَما أَرْسَلْنا في قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلّا قالَ مُتْرَفُوها إنّا بِما أُرْسِلْتُم بِهِ كافِرُونَ﴾ [الآية : ٣٤].

ي ـ في سورة الأعراف:

﴿ وَإلىٰ عادٍ أخاهُم هُوداً ... ﴾ [الآية : ٦٥] وسورة هود [الآية : ٥٠].

﴿ وَإِلىٰ ثَمُودَ أخاهُم صالِحاً ... ﴾ [الآية : ٧٣] وسورة هود [الآية : ٦١] والنمل [الآية : ٤٥].

﴿ وَإِلىٰ مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيْباً ... ﴾ [الآية : ٨٥] وسورة هود [الآية : ٨٤] والعنكبوت [الآية : ٥].

ك ـ في سورة الزخرف :

﴿ وَلَقد أَرْسَلْنا موسىٰ بِآياتِنا إلىٰ فِرْعَونَ وملائه فقالَ إنّي رَسُولُ ربِّ العالَمين ﴾ [الآية : ٤٦].

ف ـ في سورة الاحقاف :

﴿ فاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لهم ... ﴾ [الآية : ٣٥].

ص ـ في سورة فاطر :

﴿ إنّا أرسلْناكَ بالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلّا خَلا فيها نَذِيرٌ ﴾ [الآية : ٢٤].

ط ـ في سورة الشعراء :

﴿ وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلّا لها مُنْذِرُون ﴾ [الآية : ٢٠٨].

ل ـ في سورة الإسراء :

﴿ وَلقد آتَيْنا موسىٰ تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَاسْألْ بَني إسرائِيلَ إذْ جاءَهُم فقالَ له فِرْعَونُ إنّي لأَظُنُّكَ يا موسىٰ مَسْحوراً ﴾ [الآية : ١٠١].

م ـ في سورة النمل في خطابه لموسىٰ عليه السلام :

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ في جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيضاءَ مِنْ غَيرِ سُوءٍ في تِسْعِ آياتٍ إلىٰ فِرْعَونَ وَقَومِهِ إنَّهُم كانوا قَوماً فاسِقِينَ * فلمّا جاءَتهُم آياتُنا مُبْصِرةً قالوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الآيتان : ١٢ ـ ١٣].

ن ـ في سورة الرعد :

﴿ وَلقد أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لهم أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً وَما كان لِرسولٍ أَنْ يأتِيَ بِآيةٍ إلّا بِإِذنِ ٱللهِ ... ﴾ [الآية : ٣٨].

س ـ في سورة غافر :

﴿ وَلقد أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَليكَ وِمِنهُمْ مَنْ لَم نَقْصُصْ عَليكَ وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يأتِيَ بِآيةٍ إلّا بإذنِ ٱللهِ ... ﴾ [الآية : ٧٨].

ع ـ في سورة الحج :

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبوكَ فَقَد كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَومُ نُوحٍ وَعادٌ وثمودُ * وقومُ إبراهيمَ وَقومُ لُوطٍ * وأصحابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ موسىٰ فَأَمْلَيْتُ للكافِرينَ ثمَّ أَخَذْتُهم فَكيفَ كانَ نَكيرِ * فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمةٌ فَهِيَ خاوِيةٌ علىٰ عُرُوشِها وَبئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ [الآيات : ٤٢ ـ ٤٥].

ق ـ في سورة الأحزاب :

﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَداعياً إلىٰ ٱللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً ﴾ [الآيتان : ٤٥ ـ ٤٦].

ر ـ في سورة سبأ :

﴿ وَما أَرْسَلْناكَ إلّا كافَّةً لِلنّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ... ﴾ [الآية : ٢٨].

ت ـ في سورة الإسراء :

﴿ قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأتوا بِمِثْلِ هذا القُرآنِ لا يَأْتونَ بِمثْلِهِ وَلو كانَ بَعضُهم لِبَعضٍ ظَهيراً * وَلَقد صَرَّفْنا لِلنّاسِ في هذا القُرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبىٰ أَكْثرُ الناسِ إلّا كُفُوراً * وَقالوا لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تكونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهارَ خِلالَها تَفْجيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلينا كِسَفاً أَو تأتِيَ بِاللهِ وَالملائكةِ قَبيلاً * أَوْ يَكونَ لكَ بَيتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقىٰ في السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّىٰ تُنَزِّلَ علينا كِتاباً نَقرَؤُه قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إلّا بَشَراً رَسُولاً * وَما مَنَعَ الناسَ أَنْ يُؤمِنوا إذ جاءَهُمُ

الهُدىٰ إلّا أنْ قالوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَو كانَ في الأَرْضِ مَلائِكةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنّينَ لَنَزّلْنا عليهم مِنَ السماءِ مَلَكاً رَسولاً ﴾ [الآيات : ٨٨ ـ ٩٥].

شرح الكلمات :

أ ـ يَصْطَفي :

في اللغة :الصفو من الشيء : خياره وخالصه . والاصطفاء : تناول صفو الشيء .

و في المصطلح الإسلامي : اصطفاء الله بعض عباده يكون بتصفيته عن الشوائب الموجودة في غيره ، أو باختياره علىٰ غيره .

و النبيّ ﷺ صفوة الله من خلقه و مصطفاه و الأنبياء من المصطفَين .

ب ـ أوْحَيْنا :

في اللغة : أصل الوحي : الإعلام الخفيّ .

وفي المصطلح الإسلامي : و أوحىٰ الله كذا إلىٰ من يصطفيه من عباده : قذفه في قلبه وألهمه إيّاه في اليقظة أو في المنام ، أو بلّغه إيّاه علىٰ لسان بعض ملائكته .

ج ـ بعث :

بعثه : بالنسبة إلىٰ الرسل يعني أرسله الله .

د ـ الكتاب :

في اللّغة : الصحف المجموعة و الرسالة المكتوبة .

و في المصطلح الإسلامي : هو الوحي الذي يصلح أن يُكتب فيصير كتاباً فيه علوم الدين من اعتقاد و عمل ، و قد جاء بهذا النوع من الكتاب الأنبياء الخمسة : نوح و إبراهيم و موسىٰ و عيسىٰ و محمّد صلوات الله عليهم أجمعين ، و الكتاب الذي مع الرسل اسم جنس يراد به الكتب السماوية .

هـ ـ الحُكم :

حَكَمَ يَحكُمُ حُكماً : قضىٰ وفصل في الأمر . والحُكم ـ أيضاً ـ : العلم والتفقه ، ويأتي بمعنىٰ الحِكمة ، والحِكمة من الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات ، وجميع هذه المعاني تناسب المقام .

و ـ النبوّة :

في اللغة : نبا الشيء نبأً ونبوءاً : ارتفع وظهر ؛ ونبّأ الرجل وأنبأ : أخبر .

قال الراغب ما موجزه :

والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة ، يحصل به علم أو غلبة ظنّ ، ولا يقال للخبر في الاصل نبأ حتىٰ يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نبأ أنْ يَتَعرّىٰ عن الكذب ، كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسّلام .

وقال : النبيّ من النبوة أي الرفعة ، وسُمّي نبيّاً لرفعة محلّه[١] .

و في المصطلح الإسلامي : و بملاحظة استعمال النبيّ في القرآن والحديث لنا أن نقول : إنَّ النبيَّ هو مَن يصطفيه الله من عباده ، ويؤتيه الحكم ، ويوحي إليه الكتاب ، ويبعثه لينبئ الأنس والجنّ بما فيه صلاح أُمور دنياهم وأُخراهم ، فهو المخبر عن الله جلّ اسمه بما أُوحي إليه ، ويُجمع النبيّ علىٰ النبيّين والأنبياء[٢] .

وبهذا المعنىٰ أُطلق النبيّ في القرآن الكريم ، ما عدا قوله تعالىٰ في سورة الحجّ: ﴿ما مِنْ نَبيّ ولا رَسولٍ إلّا إذا تَمَنّىٰ ألقىٰ الشّيطانُ في أُمْنِيَّتِه ...﴾ .

فقد قال الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام عندما سئل كلّ منهما عن تفسير الآية ما موجز قولهما عليهما السلام :

النبيّ : الذي يَرىٰ في منامه نحو رؤيا إبراهيم ، ويسمع الصوت ولا يُعاين المَلَك . والرّسول الّذي يرىٰ في المنام ، ويسمع الصوت ، ويُعايِن المَلَك ، وربّما

---

(١) مادة نبأ من مفردات الراغب .

(٢) راجع مادة نبأ من معجم ألفاظ القرآن الكريم والمعجم الوسيط .

اجتمعت النبوّة والرسالة لواحد[١].

ز ـ الرّسول :

في اللغة : بَعَثَ إنساناً عاقلاً برسالة فهو مُرسَل ، ويقال للمفرد : الرسول ، و الجمع : الرسل .

و في المصطلح الاسلامي : الرسول هو الإنسان الذي يبعثه الله برسالة خاصّة إلىٰ قوم لهدايتهم إلىٰ شرايع الإسلام ، ومعه آية أو آيات من ربّ العالمين تدلّ علىٰ صدق رسالته ، وتتمّ بها الحجّة علىٰ من أرسله الله إليهم ، ويستتبع تكذيبه ومخالفته شقاءً وعذاباً أو هلاكاً في الدنيا ، وأنواع العذاب في الآخرة ، ومِن ثمّ يكون الرسول نَذيراً ومُنْذِراً .

ويستتبع الايمان به وطاعته سعادة في الدنيا ورحمة ومغفرة وجنّة ورضواناً في الآخرة ، فهو بذلك بشير ومُبشّر .

وبناءً علىٰ ما ذكرناه فإنّ كلّ رسولٍ نبيّ وكلّ نبيّ صفيّ ، ولا عكس .

ح ـ أُولُو العَزْم :

في اللغة : العَزْم : عَقْد القلب علىٰ القيام بأمر والصبرُ عليه .

و في المصطلح الإسلامي : أولو العزم من الرّسُل هم كلٌّ من : نوح و إبراهيم و موسىٰ و عيسىٰ و محمّد صلوات الله عليهم أجمعين .

ط ـ البَشِير والنَّذِير :

بَشَّرَه بشيء : أخبره بالخبر فهو بشير ومُبشّر .

وأنذره الشيء وبالشيء : أبلغه بالشيء المخوف ؛ يقال : أنذرك السوء وبالسوء ، وبالشيء المخوف فاحترس منه ، فهو منذر ونذير .

و فى المصطلح الإسلامي : يطلق البشير و النذير في القرآن علىٰ الرسل

---

(١) هكذا استفدنا من الأحاديث في باب الفرق بين الرسول والنبي من اصول الكافي (١ / ١٧٦).

الّذين أرسلهم الله إلىٰ قوم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَما نُرْسِلُ المُرسَلينَ إلّا مُبَشِّرِين وَمُنْذِرِين ﴾ [الأنعام : ٤٨ ، والكهف : ٥٦].

وقال تعالىٰ : ﴿ إنّا أرْسَلناك بِالَحقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإنْ مِنْ اُمَّةٍ إلّا خلا فيها نَذِير ﴾ [فاطر : ٢٤].

ويكون مع الرّسل المبشّرين والمُنذِرين الآيات .

ي ـ البيّنات :

بانَ الشيء : اتّضح فهو بيّن وهي بيّنة ، والآيات البيّنات : الآيات الواضحة لا غموض فيها ولا إيهام لأحد من البشر .

ك ـ وَأنْزَلْنا :

أنزل الله الحديدَ والميزان ذا الكفّتين ، أي هدىٰ الناس للاستفادة منهما في معايشهم ، وأنزل الميزان في الكتب السماوية ، أي أنزل فيها ما يُوزن به أحوال المجتمع الإنساني وعادات البشر وأعرافهم وعقائدهم وأفعالهم ، ويُشخّص الضارّ منها من النافع .

م ـ المِيزان :

الميزان في اللغة : ما يُوزن به الأشياء الماديّة المحسوسة .

و في المصطلح الإسلامي : الدين الذي يشتمل عليه الكتاب حيث يوزن به العقائد والأعمال ويحاسب الانسان عليه يوم القيامة ويُجزىٰ به .

ن ـ لِيَقُومَ الناسُ بِالقِسْط :

القِسْط : العَدْل ؛ والعدل أن يُعطىٰ الشخص ما يستحقّه ، ويُؤخذ منه ما يجب أن يعطيه هو .

س ـ بَأْسٌ شَدِيد :

المقصود من البأس هنا : الحرب ﴿ وَأَنْزَلْنا الحَدِيدَ فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاس ﴾ أي هدىٰ الله الناس أن يصنعوا من الحديد سلاحاً للقتال الشديد دفاعاً

عن الحقّ ، ولم يزل البشر ولا يزالون يصنعون من الحديد سلاح القتال ، و ـ أيضاً ـ جعل في الحديد منافع أُخرىٰ للناس .

ع ـ كسفاً :

الكسفة : القطعة من الشيء ، وجمعه كِسَفٌ ، والمعنىٰ : أن تسقط السماء علينا قطعة قطعة .

ف ـ الزُّخْرُف :

معناه الذهب ، ثمّ استعمل في الزينة أو بالعكس .

ص ـ الجَيْب :

جيب القميص ونحوه : ما ينفتح علىٰ النحر ويدخل منه الرأس عند لبسه .

ق ـ مُبْصِرَة : بيِّنة واضحة .

ر ـ إصري :

الإِصر : العهد المؤكّد .

ش ـ الطاغوت :

طغىٰ طغياناً : تجاوز الحدّ في العصيان ؛ والطاغوت : كلّ مُتعدٍّ و كلّ معبود من دون الله ، و الجمع : طواغيت .

ت ـ الآية :

الآية في اللغة : العلامة الواضحة للشيء المحسوس ، والأمارة الدالّة علىٰ المراد للأمر المعقول .

ومثال الأول : قوله تعالىٰ في حكاية قول زكريا ﷺ في سورة مريم : ﴿ قالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ ألّا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً ﴾ [الآية : ١٠] . أي قال : اجعل لي علامة ، قال : علامتك .....

ومثال الثاني : قوله تعالىٰ في سورة يوسف : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ في السّمٰواتِ وَالأرضِ يَمُرُّونَ عَليها وَهُم عَنْها مُعْرِضُون ﴾ [الآية : ١٠٥] . أي : كم من أمارة

تدلّ علىٰ قدرة الله وحكمته أو غيرها من صفاته تبارك وتعالىٰ يمرّون عليها وهم عنها معرضون.

ومن النوع الثاني: الآيات التي يُجريها الله سبحانه علىٰ أيدي أنبيائه، كما قال سبحانه في سورة النمل: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ [الآية: ١٢].

وفي المصطلح الاسلامي للآية معنيان:

أ ـ المعجزات التي يجريها الله علىٰ أيدي رسله وحججه، مثل: عصا الكليم موسىٰ ﷺ، وناقة صالح. ويقال لها المعجزة لعجز الجنّ والإنس عن الإتيان بمثلها، وكذلك ولادة مولود بلا والد آية ومعجزة.

ومن هذا النوع من الآيات كل ما يكون مع الأنبياء من خوارق للنظام الطبيعي، مثل ولادة عيسىٰ من أُمّه مريم بلا زوج لمريم ووالد لعيسىٰ، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ... ﴾ [المؤمنون: ٥٠] و [الأنبياء: ٩١].

ومن هذا النوع ـ أيضاً ـ العذاب الذي ينزل علىٰ المشركين، كما قال سبحانه في سورة العنكبوت: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الآية: ١٥].

ونظيرها في سورة القمر ١٥.

ب ـ الآية من القرآن الكريم، قال الرّاغب في مفردات القرآن[1]:

(كلّ جملة من القرآن دالّة علىٰ حكمٍ آيةٌ، سورة كانت أو فصولاً أو فصلاً من سورة. وقد يقال لكلّ كلام منه منفصل بفصل لفظي: آية. وعلىٰ هذا اعتبار آيات السور التي تعدّ بها السورة).

---

(١) راجع مادة «الآية» بمفردات الراغب.

أ ـ في حديث أبي ذر قال :

قلت : يا رسول الله كم النبيّون ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ ، قلت : كم المرسلون منهم ؟ قال : ثلاث مائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً ، قلت : من كان أوّل الأنبياء ؟ قال : آدم ؛ قلت : وكان من الأنبياء مرسلاً ؟ قال : نعم ، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه . ثم قال : يا أبا ذر أربعة من الأنبياء سريانيون : آدم ، وشيث ، وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ، ونوح . وأربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيّك محمّد ﷺ . وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسىٰ ، وآخرهم عيسىٰ ، وستمائة نبيّ . قلت : يا رسول الله كم أنزل الله تعالىٰ من كتاب ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب : أنزل الله تعالىٰ علىٰ شيث عليه السلام خمسين صحيفة ، وعلىٰ إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلىٰ إبراهيم عشرين صحيفة ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ؛ الخبر[1] .

ولفظ الحديث في مسند أحمد :

(... فقلت : يا رسول الله كم هي عدة الأنبياء ؟ قال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك : ثلاثمائة وخمسة عشر ، جمّاً غفيراً »)[2] .

ب ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنّما سمّي أُولي العزم لأنّهم كانوا

(١) البحار ١١ / ٣٢ ، عن معاني الأخبار ص ٩٥ ، والخصال ٢ / ١٠٤ ، ومسند أحمد ٥ / ٢٦٥ـ٢٦٦ ، ومادّة حجّة من نهاية اللغة ، وفي البحار ١١ / ٣٣ ، عن الخصال ١ / ١٤٤ مختصر الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام . لعلّ المقصود من السريانيّة في الحديث هو اللّغات القديمة عامّة .

(٢) مسند أحمد ٥/٢٦٥-٢٦٦ .

أصحاب العزائم والشرائع ، وذلك أنّ كل نبيّ كان بعد نوح عليه السلام كان علىٰ شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلىٰ زمن إبراهيم الخليل ، وكلّ نبيّ كان في أيّام إبراهيم وبعده كان علىٰ شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلىٰ زمن موسىٰ ، وكلّ نبيّ كان في زمن موسىٰ وبعده كان علىٰ شريعة موسىٰ ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلىٰ أيّام عيسىٰ ، وكلّ نبيّ كان في أيّام عيسىٰ وبعده كان علىٰ منهاج عيسىٰ وشريعته وتابعاً لكتابه إلىٰ زمن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله. فهؤلاء الخمسة أُولو العزم ، وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وشريعة محمّد لا تُنْسَخ إلىٰ يوم القيامة ، ولا نبيّ بعده إلىٰ يوم القيامة ... الحديث[1].

وفي تفسير السيوطي عن ابن عباس : إنّ أُولي العزم هم كل من : خاتم الأنبياء ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ صلوات الله عليهم أجمعين[2].

وفي أُصول الكافي بسنده عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : سادة الأنبياء والمرسلين خمسة ، وهم أُولو العزم من الرسل ، وعليهم دارت الرحىٰ : نوح ، وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، ومحمّد صلوات الله عليهم[3].

ج ـ في تاريخ اليعقوبي ، روىٰ عن الامام جعفر بن محمّد عليه السلام أنه قال : إنّ الله لم يبعث قطّ نبياً إلّا بما هو أغلب علىٰ أهل زمانه ، فبعث موسىٰ عليه السلام بن عمران إلىٰ قوم كان الأغلب عليهم السحر ، فأتاهم بما أبطل معه سحرهم من : العصا ، واليد ، والجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدم ، وانفلاق البحر ، وانفجار الحجر حتىٰ خرج منه الماء ، والطمس علىٰ وجوههم ؛ فهذه آياته . وبعث داود عليه السلام في زمن أغلب الأمور علىٰ أهله الصنعة والملاهي ، فألانَ له الحديد ، وأعطاه حسن الصوت ، فكانت الوحوش تجتمع لحسن صوته . وبعث سليمان عليه السلام في زمان قد

---

(١) البحار ١١ / ٣٤ ـ ٣٥ ، عن عيون أخبار الرضا ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(٢) تفسير السيوطي ٦ / ٤٥ .
(٣) أصول الكافي ١ / ١٧٥ ، باب طبقات الأنبياء والرسل ، من كتاب الخصال ١ / ١٤٤ .

غلب علىٰ الناس فيه حبّ البناء واتّخاذ الطلسمات والعجائب ، فسخّر له الرّيح والجنّ . وبعث عيسىٰ ﷺ في زمان أغلب الأمور علىٰ أهله الطبّ ، فبعثه بإحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص . وبعث محمّداً ﷺ في زمان أغلب الأمور علىٰ أهله الكلام والكهنة والسجع والخطب ، فبعثه بالقرآن المبين والمحاورة[1] .

تفسير الآيات على ضوء الروايات :

إنّ ربّ العالمين اصطفىٰ من الملائكة رسلاً ومن الناس ، مثل : آدم ، ونوح ، وآل إبراهيم ، وآل عمران علىٰ العالمين ، واصطفىٰ مريم علىٰ نساء العالمين .

وآتىٰ نوحاً وإبراهيم ولوطاً وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسىٰ وهارون واليسع وداود وسُليمان وأيوب ويونس وإلياس وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ الكتاب والحُكم والنبوّة ، وخصّ من بينهم نوحاً وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ﷺ مع نبينا محمّد ﷺ بكتاب وشريعة ، وهم أولو العزم من الرسل ﷺ . وجعل الله في كتبهم الميزان لمعرفة الحقّ من الباطل من عقائد أفراد المجتمع وأعمالهم ، وشرّع لبعضهم مثل : كليم الله موسىٰ ﷺ وحبيب الله محمّد ﷺ الاستفادة من الحديد في إقامة الحروب الشديدة ضدّ المنحرفين عن الإنسانية ، والّذين لا يمكن تعديل انحرافهم بدون الحروب الشديدة . وخصّ من الرسل بعضهم ، فجعلهم مُبشّرين ومنذرين ، سواء أكانوا رسلاً أصحاب شريعة مثل ، نوح وموسىٰ ، أم لم يكونوا أصحاب شريعة مستقلّة مثل : شُعيب ولوط ، وما كان الله سبحانه ليعذّب قوماً حتىٰ يبعث فيهم رسولاً مبشّراً ونذيراً ومعه آية من ربّه كما أخبر عزّ اسمه في :

أ ـ سورة الإسراء :

﴿ ... وما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّىٰ نَبْعَثَ رَسولاً ﴾ [الآية : ١٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٤.

ب ـ سورة يونس :

﴿ولِكُلِّ أُمَّةٍ رَسولٌ فإذا جاءَ رسولُهم قُضِيَ بَينهُم بِالقِسْطِ وهم لا يُظلَمونَ﴾ [الآية : ٤٧].

وتستحقّ الأُمم التي تعصي الرسول عذاب الدنيا والآخرة ، كما أخبر سبحانه عن فرعون ومن قبله ، وقال في سورة الحاقّة : ﴿ فَعَصَوا رَسولَ رَبِّهِم فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً ﴾ [الآية : ١٠].

وتكون معصية الرسول معصية الله الربّ ، كما قال سبحانه في سورة الجن : ﴿ ... وَمَنْ يَعْصِ ٱللهَ ورَسولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فيها أَبَداً ﴾ [الآية : ٢٣].

واختار الله الرسل من الأنبياء . وكان عدد الرسل أقلّ من عدد الأنبياء ، كما مرّ بنا ذلك في ما رواه أبو ذر عن النبيّ ﷺ . وكان لابدَّ لمن يبعثه الله الربُّ لهداية الناس أن يؤتيه آيةً علىٰ صدق مدَّعاه في أنّه مبعوث من قبل الربّ .

حقيقة الآية كما فصلنا القول فيها :

إنّ الله سبحانه وتعالىٰ آتىٰ الأنبياء من الولاية علىٰ النظام الكوني بحيث اذا اقتضت مشيئة الله أن يغيّر النبيُّ شيئاً يسيراً من النظام الذي جعله الله للكون استطاع أن يفعله بإذن الله تعالىٰ . ولهذا فقد كان إتيان الأنبياء الآيات الخارقة لشيء من النظام الطبيعي للأشياء من سنن الله الربّ الكونية في المجتمعات الانسانية التي يبعث الأنبياء إليها .

ومن ثم كانت الأُمم تطالب أنبياءها بأن يأتوا لهم بآية تكون دليلاً علىٰ صدق مُدّعاهم ، كما حكىٰ الله تعالىٰ ذلك عن قوم صالح في سورة الشعراء و قال سبحانه :

﴿ ما أَنتَ إِلّا بَشَرٌ مِثلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصادِقِينَ * قالَ هذه ناقَةٌ لها شِرْبٌ وَلكم شِرْبُ يَومٍ مَعلُوم * ولا تَمَسّوها بِسُوءٍ فَيَأْخذَكُم عَذابُ يَومٍ عَظيم ﴾

[الآيات: ١٥٤ ـ ١٥٦].

وبعد إتيان النبيّ بالآية المعجزة، كثيراً ما كانت الامم تكابر وتعاند نبيّها، ولا تؤمن بالله ربّاً وبنبيّه مبعوثاً إليهم، كما أخبر الله تعالىٰ عن قوم ثمود بعد هذه الآيات وقال:

﴿ فَعَقَرُوها فَأَصْبَحوا نادِمِين ﴾ [الآية: ١٥٧].

وإذا نزلت الآية حسب طلب قوم النبيّ ولم يؤمنوا بها استحقّوا الرجز والعذاب، فعذّبهم الله تعالىٰ، كما أخبر في السورة نفسها عن عاقبة قوم ثمود ـ أيضاً ـ وقال عزّ اسمه:

﴿ فَأَخَذَهُمُ العَذابُ إِنَّ في ذٰلِكَ لآيةً وَما كانَ أَكثَرُهُم مُؤمِنِين ﴾ [الآية:١٥٨]

ويكون إتيان الآية للأنبياء بمقتضىٰ الحكمة، ومقتضىٰ الحكمة إتيان الآية بالمقدار الذي يظهر لمن أراد أن يؤمن بالرب ورسوله أن الرسول صادق في دعواه، وليس بمقدار تعنّت الأقوام التي تأبىٰ الإيمان بالربّ وبرسوله علىٰ أيّ حال. و أيضاً لا يمكن أن تأتي بالأمر المحال؛ كما ورد الأمران في طلب قريش من خاتم الرسل ﷺ وذلك بعد أن آتىٰ الله قريشاً من آياته ـ ما اختصّ العرب بالقيام به ـ كلاماً بليغاً، وخاطبهم في سورة البقرة وقال لهم:

﴿ وإنْ كُنتُم في رَيْبٍ مما نَزَّلْنا علىٰ عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورةٍ مِنْ مِثْله وآدْعُوا شُهَداءَكُم مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنتُم صادِقينَ * فإنْ لَم تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلوا فَاتَّقوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ والحِجارَةُ أُعِدَّت للكافِرِينَ ﴾ [الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤].

و هكذا أتمّ الله الربّ عليهم الحجة وقال: ﴿إن كنتم في ريب مما نزّلنا علىٰ عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم ﴾. وأخبر أنّ الإنس والجنّ لو اجتمعوا لما استطاعوا أن يأتوا بمثله. وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً. وأكّد ذلك وقال: لن تستطيعوا أن تأتوا بمثله، وحتىٰ عصرنا الحاضر لم يستطع خصوم

الاسلام ـ على كثرتهم وما يملكون من قوى ضخمة ومتنوّعة ـ أن يأتوا بسورة من مثل القرآن .

بعد هذا التحدّي الصارخ وإتيان الأمر المعجز للإنس والجنّ ، وعجز قريش عن الإتيان بمثله ، طلبوا من الرسول ﷺ أن يُغيّر مناخ مكة ، وأن يكون له بيت من ذهب ، أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يرقى في السماء ولا يؤمنون لرقيّه حتى ينزّل عليهم كتاباً يقرأونه . وكان في ما طلبوا الأمر المحال ، وهو أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً « تعالى الله عمّا قاله الظالمون » . وكان فيه ما يخالف سنن الله في إرسال الأنبياء ، بأن يرقى أمامهم إلى السماء ويأتي لهم بكتاب ، وهو مما خصّ الله رسله من الملائكة ، وليس من شأن البشر . واستنكروا أن يبعث الله لهم بشراً رسولاً ، في حين أن الحكمة تقتضي أن يكون الرسل من جنس البشر ؛ ليكونوا في عملهم قدوةً وأُسوةً لقومهم . ولم تكن سائر طلباتهم موافقة لمقتضى الحكمة ، مثل طلبهم أن ينزل عليهم العذاب ، ولذلك أمر أن يجيبهم ويقول :

﴿ سُبحانَ رَبّي هَلْ كُنْتُ إلّا بَشَراً رَسولاً ﴾ [الاسراء : ٩٣]

وخلاصة ما ذكرناه ، أن حكمة الرب اقتضت أن المرسَل من قِبَلِه يأتي بآية من ربّه تدلُّ على صدق ادّعائه ، ويُتِمُّ بذلك الحجّة على الناس ، وعندئذٍ يؤمن من شاء أن يؤمن ، ويجحد من شاء أن يجحد ، كما كان شأن قوم موسى وهارون عليهما السلام بعد إتيان المعجزات ، فقد آمنت السحرة وكفر بها فرعون وملأُه ، فأخزاهم الله بالغَرَق ، وما يأتي به الأنبياء من قِبَلِ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُسمّى في المصطلح الإسلامي بالمعجزة ويكون دليلاً على صدقهم .

وبناءً على ما ذكرنا فإن كلّ رسول نبيّ وليس كلّ نبيّ رسولاً مثل اليسع عليه السلام فإنه كان نبيّاً ووصيّاً للكليم موسى بن عمران عليه السلام .

ومن الرسل من جاء بشريعة ناسخة لبعض ما في الشريعة السابقة من المناسك ، كما كان شأن شريعة موسى عليه السلام بالنسبة إلى الشرائع السابقة على

شريعته. ومنهم من جاء بشريعة متِّمة ومجدِّدة للشريعة السابقة كما كان شأن شريعة خاتم الأنبياء ﷺ بالنسبة إلىٰ حنيفية إبراهيم الخليل ﵇ كما قال سبحانه وتعالىٰ في سورة النحل: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبراهِيمَ حَنِيفاً ... ﴾ [الآية: ١٢٣].

وقال تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿ اليَومَ أَكمَلْتُ لَكم دِينَكُم وأَتمَمْتُ عَليكُم نِعمَتي وَرَضيتُ لكُمُ الإسلامَ دِيناً ﴾ [الآية: ٣].

بعد معرفة المصطلحات الآنفة التي تدور حولها أخبار الأنبياء في القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب السيرة، ندرس ـ بحوله تعالىٰ ـ أخبارهم في ما يأتي بدءاً بأخبار آدم أبي البشر ﵇.



آدم عليه السلام

* آيات في خلق آدم ﷺ.
* شرح الكلمات.
* تفسير الآيات.

قال الله تبارك وتعالىٰ :

أ ـ في سورة طه :

﴿ ولقد عَهِدْنا إلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسيَ وَلَمْ نَجِدْ له عَزْماً * . . . * ثمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عليهِ وَهَدىٰ ﴾ [الآيتان : ١١٥ و ١٢٢].

ب ـ في سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ قالَ ربُّكَ للملائِكَةِ إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خليفةً قالوا أتجْعلُ فيها مَنْ يُفسدُ فيها وَيَسْفِكُ الدماءَ ونحنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ قالَ إنّي أعْلَمُ ما لا تَعلَمُون * وعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُم علىٰ الملائكةِ فقالَ أَنْبِئُوني بأسْماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتُم صادِقِين * قالوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاّ ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنتَ العَلِيمُ الحَكِيم * قالَ يا آدَمُ أنبِئْهُم بأسْمائِهِم فَلَمّا أنبأَهُم بأسْمائِهِم قالَ أَلَمْ أَقُلْ لكُم إنّي أعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰواتِ والأرْضِ وَأعْلَمُ ما تُبْدُونَ وما كُنتُم تَكْتُمونَ * وإذْ قُلْنَا للمَلائِكةِ اسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبليسَ أبىٰ واستكْبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ * وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنها رَغَداً حَيثُ شِئتُما وَلا تَقْرَبا هذهِ الشَّجرَةَ فَتَكونا مِنَ الظالِمينَ * فَأَزَلَّهُما الشَّيْطانُ عَنها فَأَخْرَجَهُما ممّا كانا فيهِ وقُلْنا اهْبِطوا بَعْضُكُم لَبعضٍ عَدُوٌّ وَلكم في الأرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إلىٰ حِينٍ * فَتَلقّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَليهِ إنَّهُ هو التَّوّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [الآيات : ٣٠ ـ ٣٧].

ج ـ في سورة آل عمران :

﴿ إنَّ اللهَ اصْطَفىٰ آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ عَلىٰ العالَمينَ ﴾ [الآية : ٣٣].

﴿ أُولئك الَّذين آتَيْناهُمُ الكِتابَ وَالحُكْمَ والنبوّة ... ﴾ [الأنعام : ٨٩].

شرح الكلمات :

أ ـ اجْتَباهُ :

اجتباه : اختاره واصطفاه لنفسه ، وفي مفردات الراغب اجتباء الله العبد : تخصيصه إياه بفيض الهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد ، وذلك للأنبياء ومن يقاربهم من الصِدّيقين والشّهداء .

ب ـ تابَ :

التّوبة من العبد : النّدم علىٰ المعصية والعزم علىٰ تركها ، وتدارك ما أمكن تداركه من الأعمال .

ومن الرّبّ :

تاب عليه بالمغفرة ورجع عليه بفضله وقَبِلَ تَوبته .

ج ـ الخليفة :

نقول تتمة لما أوردناه في بحث خلق الملائكة :

جاء من مادة الخليفة في القرآن الكريم بلفظ المفرد والجمع ، أو مع ضمير الجمع ، وما كان منها بلفظ المفرد كان القصد منها خلافة صفيّ من أصفياء الله لله علىٰ وجه الأرض ، وما كان منها بلفظ الجمع أو مع ضمير الجمع كان القصد منها خلافة ناسٍ متأخّرين لمن سبقوهم علىٰ وجه الأرض .

فالأول منها جاء في قوله تعالىٰ :

١ ـ في خطابه للملائكة : ﴿ إِنِّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

٢ ـ في خطابه لداود : ﴿ يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً في الأَرْض ﴾ .

ولو كان القصد في الأول أنّ الله جاعل في الأرض نوع الانسان خليفة ، لما كان ثمّةَ وجهٌ لاختصاص داود وتشريفه بجعله خليفةً ، في حين أنه كان من ضمن الناس الّذين جعلهم الله أبدَ الدّهر خليفته في الأرض . وبناءً علىٰ هذا ، فلا بدّ من القول : إنّ القصد في قوله تعالىٰ للملائكة : ﴿ إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفة ﴾ آدم وحده ، أو آدم ومن اجتباه من ذريته ؛ وهم الذين جعلهم أئمة يهدون الناس .

والثاني منها جاء في قوله تعالىٰ :

١ ـ في ما حكاهُ اللهُ في سورة الأعراف من خطاب هود لقومه :

﴿ ... آذكُروا إذْ جَعَلَكُم خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَومِ نُوحٍ ... ﴾ [الآية : ٦٩].

٢ ـ وخطاب صالح بعد ذلك لقومه : ﴿ وَآذكُروا إذْ جَعَلكُم خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ ... ﴾ [الآية : ٧٤].

وكيف يكون أعداء الله أمثال : قوم عاد وقوم ثمود ومن قَبلهم قوم نوح ـ ممن أبادهم الله وأفناهم من وجه الأرض ـ خلفاء لله علىٰ وجه الأرض ؟!

وبناء علىٰ ما ذكرناه يكون القصد في قول هود ﷺ لقومه : ﴿ جَعَلكُم خُلفاءَ مِنْ بَعْدِ قَومِ نُوحٍ ﴾ : جعلكم خلفاء قوم نوح في الأرض . وفي قول صالح لقومه : ﴿ جَعلكُم خُلفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ ﴾ : جعلكم خلفاءهم في الأرض من بعدهم .

وكذلك الأمر مع القسم الثالث الذي جاء مع ضمير الجمع ، مثل قوله تعالىٰ في حكاية قول يونس لقومه في سورة الأعراف : ﴿ عَسىٰ رَبُّكُمْ أنْ يُهلِكَ عدوَّكم وَيستَخلِفَكم في الأرْضِ ... ﴾ [الآية : ١٢٩].

فإنّ القصد : يستخلفهم الله في الأرض بدلاً من أعدائهم .

د ـ الأسماء :

للاسم في لغة العرب معنيان :

١ ـ اللفظ الذي يدلُّ علىٰ مُسمّىٰ به يُميّز ويُعرّف ؛ مثل : مكّة علماً للبلد الذي فيه الكعبة بيت الله الحرام ، وأسماء الأشخاص في عصرنا ، كيوسف وفيصل وعباس ... الخ .

٢ ـ اللفظ الذي يدلّ علىٰ حقيقة المسمّىٰ أو صفته ؛ مثل : (اسمُ) في قوله تّعالىٰ : ﴿ سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١] .

إذ ليس معنىٰ (اسم ربك) هاهنا لفظ ربك ، فيكون المعنىٰ : سبّح لفظ ربك ، وإنما معناه صفة ربك فيكون المعنىٰ : سبح صفة ربك ، أي : نزّه ربوبيةَ ربِّكَ الأعلىٰ عمّا لا يليق بذكره .

ومن هذا الباب قوله تعالىٰ : ﴿ علّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها ﴾ ، وليس معنىٰ الأسماء التي علّمها الله لآدمَ خليفتهُ أسماء عواصم البلدان : بغداد ، وطهران ، ولندن . وأعضاء جسد الإنسان : العين ، والرأس ، والرّقبة . وأسماء الفواكه : التين ، والزيتون والرمان ، والأحجار : الياقوت ، والدر ، والزبرجد ، والمعادن : الذهب ، والفضة والنُّحاس ، والحديد ... إلىٰ ما لا يحصىٰ من الألفاظ التي سَمّىٰ البشر بها الأشياء بلغاتهم ، وإنما القصد أنّه علّمه ـ بصفته خليفة الله في الأرض ـ صفات الأشياء وحقائقها . وسيأتي تمام البحث في بحث ولله الأسماء الحسنىٰ إن شاء الله تعالىٰ .

هـ ـ نُسبّح بحمدك :

سبّح تسبيحاً : نزّه الله أو قال : سبحان الله ؛ أي : التنزيه لله .

و ـ نقدّس :

قدّس لله تقدسياً : طهّرَ نفسه له ، وصلّىٰ له وعظّمه وكبّره ، ونزّهه عمّا لا يليق بألوهيّته .

تفسير الآيات :

إنّ الله قَبِلَ توبة آدم ، واجتباه واصطفاه لوحيه ، كما اصطفىٰ سائر أنبيائه لهداية الناس .

وفي طبقات ابن سعد ومسند أحمد ـ واللفظ للأول ـ :

سئل رسول الله ﷺ عن آدم ، أنبيّاً كان أو مَلَكاً ؟ قال : بل نبيّ مكلّم .

عن أبي ذر قال : قلت للنبي ﷺ : أي الأنبياء أول ؟

قال : آدم ، قلت : أَوَنبيّاً كان ؟ قال : نعم نبي مكلَّم . قال : قلت : فكم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً(١) .

وكان مما جاء في شريعته من المناسك : الحج ، والطواف حول بيت الله الحرام ، والجمعة .

وفي طبقات ابن سعد :

أنّ رسول الله ﷺ قال : يوم الجمعة سيّد الأيّام وأعظمها عند الله ، خلق الله فيه آدم ، وأهبط فيه آدم إلىٰ الأرض ، وفيه توفّىٰ الله آدم(٢) .

كان آدم ؑ نبياً آتاه الله الكتاب والحكم لهداية البشر الذين كانوا في زمانه ، وهم زوجته وذريته . ولم يكن من الرسل المبشّرين والمنذرين من أولي العزم ؛ ودفن في أرض العراق التي توفي فيها ، كما جاء عن رسول الله ﷺ ، وأوصىٰ في حياته إلىٰ ابنه شيث بحفظ شريعته وحملها إلىٰ الناس من بعده ، كالآتي خبره بإذنه تعالىٰ .

---

(١) طبقات ابن سعد . ط . بيروت ١٣٧٦ ، ١ / ٣٢ و ٣٤ ، وط . أوربا ١٠ و ١٢ ، ومسند أحمد ٥ / ١٧٨ و ١٧٩ و ٥ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، و تاريخ الطبري ط.اوربا ١ / ١٥٢ ، وقد مرّ بنا الحديث في مصادر أُخرىٰ بألفاظ أخرىٰ .

(٢) طبقات ابن سعد ط. أوربا ١ / ٨ ، وط . بيروت ١ / ٣٠ .

أخبار الأوصياء من بعد آدم
في كتب السيرة

* مقدمة .
* شيث هبة الله .
* أنوش بن شيث .
* قينان بن أنوش .
* مهلائيل بن قينان .
* يرد بن مهلائيل .
* اخنوخ بن يرد .
* متوشلح بن اخنوخ .
* لمك بن متوشلح .

مقدمة

في طبقات ابن سعد و تاريخ الطبري وغيرهما بسندهما إلىٰ ابن عباس ما موجزه إنّه قال :

ولدت حواء لآدم هبة الله واسمهُ بالعبرانية : شيث ، وإليه أوصىٰ آدم .

وولد لشيث أنوش ، ولما مرض أوصىٰ لابنه أنوش ومات .

ثم ولد لأنوش ابنه قينان وإليه الوصية .

وولد قينان مهلائيل وإليه الوصية .

وولد مهلائيل يرد وهو اليارد وإليه الوصية .

فولد يرد اخنوخ ، وهو ادريس النبي ﷺ وإليه الوصية[1] .

وولد اخنوخ متوشلخ وإليه الوصية .

وولد متوشلخ لمك وإليه الوصية .

هذا ما جاء في رواية ابن سعد والطبري عن ابن عباس في خبر أوصياء آدم ، وجاءت أخبارهم بتفصيل واف عند اليعقوبي (ت : ٢٨٤ هـ) والمسعودي (ت : ٣٤٦ هـ) وسبط بن الجوزي (ت : ٦٥٤ هـ) كما نوردها في ما يأتي :

---

(١) راجع أخبار ما أوردنا في : طبقات ابن سعد ، ط. أوربا ١ / ١٤ ـ ١٧ ، وتاريخ الطبري ، ط. أوربا ١ / ١٥٣ ـ ١٦٥ و ١٦٦ ، وخبر وصيّة آدم لشيث في تاريخ ابن الأثير ١ / ١٩ ـ ٢٠ ، ١ / ٤٠ ـ ٤٨ ، وتأريخ ابن كثير ١ / ٩٨ ، وتاريخ اليعقوبي ١ / ١١ وفيه ان اخنوخ هو ادريس النبي.

شيث هبة الله
في كتب السيرة

* ولادته .
* وصية آدم عليه السلام إليه .
* حكمه و حجّهُ للبيت الحرام .
* وصيته لابنه أنوش .

ولادة شيث :

قال المسعودي في مروج الذهب ما موجزه :

لمّا حملت حواء بشيث تلألأ النور في جبينها ، فلما ولدته انتقل النور إليه ، فلما ترعرع وكمل أوعز إليه آدم وصيّته ، وأعلمه أنّه حجّة الله بعده وخليفته في الأرض ، والمؤدّي حقّ الله إلىٰ أوصيائه ، وأنّه الثاني في انتقال نور الرسول الخاتم إليه[١] .

وصية آدم عليه السلام إليه :

وفي أخبار الزمان : لما أراد الله أن يتوفّىٰ آدم ، أمره أن يسند وصيّته إلىٰ ابنه شيث ويعلّمه جميع العلوم التي عُلّمَ بها ففعل[٢] .

وفي تاريخ اليعقوبي :

لما حضرت آدم الوفاة ، جاءه شيث ابنه وولد ولده ، فصلّىٰ عليهم ودعا لهم بالبركة ، وجعل وصيّته إلىٰ شيث ، وأمره أن يحفظ جسده ويجعله إذا مات في مغارة الكنز ، وأن يوصي بنيه وبني بنيه ، ويوصي بعضهم بعضاً عند وفاتهم : إذا كان هبوطهم من جبلهم أن يأخذوا جسده فيجعلوه وسط الأرض ، وأمر شيثاً ابنه أن يقوم بعده في ولدهم ، فيأمرهم بتقوىٰ الله وحسن عبادته ، وينهاهم أن يخالطوا

---

(١) نقلته بإيجاز من ترجمة شيث في مروج الذهب للمسعودي ١ / ٤٧ ـ ٤٨ .

(٢) نقلته بإيجاز من أخبار الزمان للمسعودي ط. دار الأندلس بيروت عام ١٩٧٨ م ، وأورد سبط بن الجوزي بعض أخبار الوصيّة في ترجمة شيث من مرآة الزمان ط. دار الشروق في بيروت عام ١٤٠٥ هـ، ص ٢٢٣ .

قابيل اللعين وولده ، ثمّ صلّىٰ علىٰ بنيه أُولئك ، ثم مات يوم الجمعة[١] .

حكمه وحجّه للبيت الحرام :

أ ـ تاريخ اليعقوبي :

قام بعد موت آدم ابنه شيث ، وكان يأمر قومه بتقوىٰ الله سبحانه والعمل الصالح[٢] .

وفي أخبار الزمان :

إن الله أمره ببناء البيت والحجّ والعمرة ، وكان أول من اعتمر[٣] .

ب ـ في مرآة الزمان :

لمّا مات آدم جاء إلىٰ مكة فأقام بها يحجّ ويعتمر ، وبنىٰ الكعبة بالحجارة والطين ؛ يعني إنّه رَثَّ فجدّده ، وأقام يعمّر الأرض ويقيم الحدود علىٰ المفسدين كما كان يفعل أبوه[٤] .

ج ـ في مروج الذهب :

إنّ آدم حين أدّىٰ الوصيّة إلىٰ شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها ، وحكم في الناس واستشرع صحف أبيه ، وواقع امرأته فحملت بأنوش ، فانتقل النور إليها ، حتىٰ إذا وضعته لاحَ النور عليه ، فلما بلغ الوصاة أوعز إليه شيث في شأن الوديعة ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، ط. بيروت ١ / ٧.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/٨
(٣) أخبار الزمان ص٧٦.
(٤) مرآة الزمان ص ٢٢٣.

وعرّفه شأنها وأنها شرفهم وكرمهم ، وأوعز إليه أن ينبّه ولده علىٰ حقيقة هذا الشرف وكبر محله ، وأن ينبّهوا أولادهم عليه ، ويجعل ذلك فيهم وصيّة منتقلة ما دام النسل[١] .

فكانت الوصيّة جارية تنتقل من قرن إلىٰ قرن ، إلىٰ أن أدّىٰ الله النور إلىٰ عبد المطلب وولده عبدالله أبي رسول الله ﷺ . وسوف نذكر اخبار بعضهم في ذكر اخبار آباء النبي ﷺ ان شاء الله تعالىٰ .

وصيّته لابنه انوش :

في تاريخ اليعقوبي :

فلما حضرت وفاة شيث أتاه بنوه وبنو بنيه وهم يومئذ أنوش ، وقينان ، ومهلائيل ، ويرد ، وأخنوخ ، ونساؤهم وأبناؤهم ، فصلّىٰ عليهم ، ودعا لهم بالبركة ، وتقدم إليهم أن لا يختلطوا بأولاد قابيل الملعون ، وأوصىٰ إلىٰ انوش ابنه وأمره أن يحتفظ بجسد آدم ، وأن يتّقي الله ويأمر قومه بتقوىٰ الله وحسن العبادة ، ثمّ توفّي[٢] .

* * *

---

(١) مروج الذهب ١/٤٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١ / ٨ - ٩.

انوش بن شيث

* ولادة أنوش و وصيّة شـيث إليه و انتقال نور خاتم الرسل إليه.
* أوّل من غرس وزرع.
* وصيّته لابنه قينان و تعليمه صحف آدم.
* وفاته.

ولادة أنوش ووصيّة شيث له و انتقال نور خاتم الرسل إليه .

في مرآة الزمان :

ولد أنوش في زمن آدم ، فلمّا احتضر شيث أوصىٰ إلىٰ ابنه أنوش وأخبره بالنور الذي انتقل إليه منه ـ أي نور خاتم الرسل الذي يولد من نسله ـ وأمره أن ينبّه ولده علىٰ هذا الشرف كابراً عن كابر وسلفاً بعد سلف ، فقام ولده أنوش بعده بالأمر أحسن قيام ، ودبر الرعايا وعمل بالشرايع علىٰ ما كان عليه أبوه ، وهو أول من غرس النخل وزرع الحبّ[1] .

أوّل مَن غرس و زرع .

في مروج الذهب :

إنّ أنوش قد لبث في الأرض يعمّرها ، وولد له قينان ولاح النور في جبينه ، وأخذ عليه العهد[2] ـ أي العهد في أخبار من يحمل نور خاتم الأنبياء من ولده ـ .

وصيّته لابنه قينان و تعليمه صحف آدم .

في أخبار الزمان :

وولد شيث أنوش وهو بكره ووصيّه ، وإنّ أنوش أوصىٰ إلىٰ ابنه قينان وكان قد علّمه الصحف[3] .

---

(١) مرآة الزمان ص ٢٢٣ .

(٢) مروج الذهب ١ / ٤٩ .

(٣) أخبار الزمان : ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

في تاريخ اليعقوبي :

وقام أنوش بن شيث بعد أبيه بحفظ وصيّة أبيه وجدّه ، وأحسن عبادة الله ، وأمر قومه بحسن العبادة .[١]

وفاته :

و في تاريخ الطبري :

وقام مقام أبيه بسياسة الملك وتدبير الرعية[٢] .

ولمّا حضرت أنوش الوفاة اجتمع إليه بنوه وبنو بنيه قينان ، ومهلائيل ويرد ، وأخنوخ ، ومتوشلح ، ونساؤهم ، وأبناؤهم ، فصلىٰ عليهم ، ودعا لهم بالبركة ، ونهاهم أن يدعوا أحداً من بنيهم أن يختلطوا بولد قابيل اللعين ، وأوصىٰ قينان بجسد آدم ، وأمرهم أن يصلّوا عنده ويقدسوا الله كثيراً ، وتوفّي[٣] .



(١) تاريخ اليعقوبي ط . بيروت ١ /٨.
(٢) تاريخ الطبري : ط. اوربا ١ / ١٦٥ .
(٣) اليعقوبي : ١ / ٨ ـ ٩.

قينان بن أنوش

* ولادته نور خاتم الأنبياء في جبينه .
* تعليم أنـوش له الصـحف و أمره بإقامة الصـلاة و سـائر الأحكام .
* وصيّته لابنه مهلائيل .

ولادته و ظهور نور خاتم الأنبياء في جبينه .

أ ـ في مروج الذهب :

ولد لأنوش قينان ، و لاح النور في جبينه ـ نور خاتم الأنبياء ـ و أخذ عليهم العهد[1] .

ب ـ و في مرآة الزمان :

و لما احتضر أنوش أوصىٰ إلىٰ ابنه قينان ، وانتقل النور إلىٰ قينان وأخبره بالسرّ الذي أودعه فيه ، فسار قينان بسيرة أبيه[2] .

قال المؤلف :

المقصود من السرّ : هو نور خاتم الأنبياء الذي كان ينتقل من أحدهم إلىٰ الآخر . وسوف نذكر معنىٰ هذا العهد بُعَيد هذا إن شاء الله تعالىٰ .

تعليم أنوش له الصحف و أمره بإقامة الصلاة و سائر الأحكام .

في أخبار الزمان :

أوصىٰ أنوش إلىٰ ابنه قينان وقد كان علّمه الصحف ، وبيّن له قسمة الأرض و ما يكون فيها ، و أمره بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج ، وبجهاد ولد قابيل ، ففعل ما أمره به أبوه[3] .

---

(١) مروج الذهب ١/٤٩ .
(٢) مرآة الزمان ص ٢٢٤
(٣) أخبار الزمان ص ٧٧

وصيّته لابنه مهلائيل :

في تاريخ اليعقوبي :

وقام قينان بن أنوش وكان رجلاً لطيفاً ، تقيّاً ، مقدّساً ، فقام في قومه بطاعة الله وحسن عبادته ، واتّباع وصيّة آدم وشيث .

فلما دنا موته اجتمع إليه بنوه وبنو بنيه مهلائيل ، ويرد ، ومتوشلح ، ولمك ، ونساؤهم ، وأبناؤهم ، فصلّىٰ عليهم ، ودعا لهم بالبركة .

وجعل وصيّته إلىٰ مهلائيل ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم[1] .

* * *

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٩

مهلائيل بن قينان

* قيامه بطاعة الله في قومه .
* أوّل مَن قطع الشّجر و بنىٰ المدن و المساجد و استخرج المعادن .
* وصيّته لابنه يرد و تعليمه الصحف .
* إعلامه بانتقال نور خاتم الأنبياء إليه .

قيامه بطاعة الله و وصيّته إلىٰ ابنه مهلائيل :

أ ـ في تاريخ اليعقوبي :

ثم قام بعد قينان مهلائيل ، فقام في قومه بطاعة الله تعالىٰ واتّباع وصيّة أبيه. فلمّا دنا موته أوصىٰ إلىٰ ابنه يرد بجسد آدم ، ثمّ توفّي[1].

ب ـ و في مرآة الزمان :

لمّا احتضر قينان أوصىٰ إلىٰ ولده مهلائيل ، وأعلمه بالنور الذي انتقل إليه ، فسار بالناس سيرة أبيه[2] .

أوّل مَن قطع الشجر و بنىٰ المدن و المساجد و استخرج المعادن :

أ – في تاريخ الطبري :

هو أول من قطع الشجر ، وبنىٰ البناء ، وأول من استخرج المعادن ، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد ، وبنىٰ مدينتين كانتا أوّل ما بُني علىٰ ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل التي بسواد الكوفة ، ومدينة الشوش[3] .

ب ـ في تاريخ الكامل لأبن الاثير :

هو أول من استنبط الحديد واتخذ منه الادوات للصناعة ، وحضّ النـاس علىٰ الزراعة والحراثة ، وأمر بقتل السباع ولبس جلودها ، وذبـح البقر والغـنم

(١) تاريخ الطبري ١/١٠.
(٢) مرآة الزمان ص ٢٢٤.
(٣) تاريخ الطبري ١/١٦٨.

والوحش وأكل لحومها[١] .

وصيّته لابنه يرد و تعليمه الصّحف

في أخبار الزمان :

وأوصىٰ إلىٰ ابنه يوارد وعلّمه الصحف ، وعلّمه قسمة الأرض وما يحدث في العالم ، ودفع إليه كتاب سرّ الملكوت الذي علّمه مهلائيل الملك لآدم ﷺ وكانوا يتوارثونه مختوماً[٢] .



---

(١) الكامل في التاريخ ١/٢٢.
(٢) أخبار الزمان ص ٧٧.

يوارد بن مهلائيل

* ولادته و انتقال النور إليه .
* وصيّة أبيه إليه .
* وصيّته لابنه أخنوخ إدريس النبي عليه السلام .

ولادته و انتقال النور إليه :

في مروج الذهب :

ولد له (يارد)[1] و النور متوارث والعهد مأخوذ والحقّ قائم[2] .

وصيّة أبيه إليه :

أ ـ في مرآة الزمان :

أوصىٰ أبوه إليه وأخبره بالسرّ المكنون وانتقال النور إليه ، وكان حسن السيرة .

ب ـ في تاريخ اليعقوبي :

ثم قام بعد مهلائيل يرد ، وكان رجلاً مؤمناً ، كامل العمل لله سبحانه والعبادة له ، كثير الصلاة بالليل والنهار .

ونقض بنو شيث العهود والمواثيق التي كانت بينهم ، فجعلوا ينزلون إلىٰ الأرض التي فيها بنو قابيل[3] .

وصيّته لابنه إدريس :

فلمّا دنا موت يرد ، إجتمع إليه بنوه و بنو بنيه أُخنوخ ، ومتوشلح ، ولمك ، ونوح ، فصلّىٰ عليهم ، و دعا لهم بالبركة .

---

(١) ذكر اسمه في نسخ التوراة العربية يوارد ، ويرد في مرآة الزمان ص ٢٢٤ ، تعريب ليوارد في التوراة ، وفي تاريخ اليعقوبي ١ / ١٠ يرد تخفيف ليوارد في التوراة ، وفي مروج الذهب ١ / ٥٠ لور تحريف ، وكذلك يوارد في أخبار الزمان ص ٧٧ ، وفي تاريخ الكامل ١ / ٢٢ وفي تاريخ الطبري ١ / ١٦٨ .

(٢) مروج الذهب ١/٥٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١/١١ ، و أخبار الزمان ص ٧٧ .

وأمر أخنوخ : ابنه ألّا يزال يصلّي في مغارة الكنز ـ التي فيها جسد آدم ﷺ ـ ثم توفّي[١] .

* * *

(١) تارخ اليعقوبي ١ / ١١ .

إدريس النبيّ ﷺ ـ أخنوخ

أوّلاً : إدريس في القرآن الكريم .

ثانياً : إدريس في كتب السيرة .

* نزول الصحف من الله إليه .
* علّمهُ الله أسماء البروج والكواكب .
* أول من خاط بالابرة .
* اختلاط بني شيث ببني قابيل علىٰ عهده .
* وصيته إلىٰ ابنه متوشلح .

أولاً - إدريس في القرآن الكريم :

قال سبحانه في سورة مريم :

﴿ وَاذْكُرْ في الكِتابِ إدْرِيسَ إنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * وَرفَعْناهُ مَكاناً عليّاً ﴾ [الآيتان : ٥٦ ـ ٥٧].

شرح الكلمات :

أ ـ الصِدّيق :

هو المُصدّق بكل ما أمر الله به وبأنبيائه ، كما قال سبحانه في سورة الحديد : ﴿ وَالّذين آمَنُوا بِاللهِ ورَسولِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِدّيقون ... ﴾ [الآية : ١٩].

ولا يتحقّق ذلك إلّا بمطابقة فعل الإنسان قوله في تصديق أمر الله وتركه هوىٰ النفس ، وبناءً علىٰ ذلك تكون درجة الصدّيقين بعد الأنبياء ، وكلّ نبيّ صدّيق ، وبعض الصدّيقين ليسوا بأنبياء .

ب ـ عَلِيّاً :

« عَلِيّا » هنا بمعنىٰ المكان المرتفع . وجاء في التوراة : (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) .

ثانياً - إدريس في كتب السيرة .

- ولادته و انتقال خاتم الأنبياء إليه .

أ - في تاريخ الطبري :

و هو إدريس أبوه يرد و أمّه بركنا تولّد حينما كان عمر آدم ستمائة و اثنين و عشرين عاماً ، و سمّي إدريس لكثرة درسه صحف آدم و شيث ، و هو أوّل نبيّ بعد آدم و هو حامل النور المحمديّ و هو أوّل من خاط الثوب و لبسها ، و جاء في الحديث أنّ أرزاق الأنبياء كانت إمّا في الزرع أو في الضرع إلاّ إدريس فإنّه كان خيّاطاً ، و عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : أنّ مسجد السّهلة - باكوفة - بيت إدريس كان يخيط فيه و يصلّي .

فلمّا بلغ من العمر خمس و ستين عاماً تزوّج بامرأة اسمها أدانة فولدت له متوشلح و بنون و بنات آخرين ، فدعا بني شيث أن يعبدوا الله و لا يطيعوا الشيطان و لا يخالطوا بني قابيل للفحشاء و البغاء فلم يقبلوا منه و نزل جماعة إلىٰ بني قابيل فكثرت فيهم المحرّمات و كلّما نهاهم إدريس ما انتهوا عن أعمالهم السيئة فجاهد في سبيل الله و قاتل معهم و سبىٰ من أولاد قابيل و استرقّهم و ذلك كلّهفي حياة آدم .

فلمّا بلغ من العمر ثلاثمائة و ثمان سنين توفّي آدم .

فلمّا بلغ من العمر ثلاثمائة و خمس و ستين عاماً استخلف ابنه متوشلح علىٰ أمر الله و أعلمه و أهل بيته بأنّ الله يعذّب ولد قابيل و مَن خالطهم و مَن مال إليهم فنهاهم عن الإختلاط معهم(١) .

---

(١) تاريخ الطبري ١ / ١١٥-١١٧ .

و كان يومئذ لابنه متوشلح وصيّه و حامل النور المحمّديّ من العمر ثلاثمائة سنة و أبوه يرد إلىٰ سيّدنا شيث كانوا أحياء[١]

نزول الصحف من الله إليه و هو أول مَن خاط بالإبرة .

ج ـ في مروج الذهب :

قام بعد يرد ولده أخنوخ ، و هو إدريس النبيّ ﷺ و الصابئة تزعم أنّه هو هرمس ، وهو الذي أخبر الله عزّوجلّ في كتابه أنّه رفعه مكاناً عليّاً ، و هو أول من درز الدروز ، وخاط بالإبرة ، و أُنزِل عليه ثلاثون صحيفة ، وكان قد نزل قبل ذلك علىٰ آدم إحدىٰ وعشرون صحيفة ، و أُنزِل علىٰ شيث تسع و عشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح[٢] .

علّمه الله أسماء البروج و الكواكب .

د ـ في مرآة الزمان :

ولد إدريس في حياة آدم ، وهو أول من سبىٰ بني قابيل واسترقّ منهم ، ونظر في علم النجوم ، ووضع أسماء البروج والكواكب السيّارة ، وألهمه الله معرفة هذه الأشياء[٣] .

---

(١) أنظر تاريخ الطبري ١ / ١١٧ ، ١١٨ .
(٢) مروج الذهب ١ /٥٠ .
(٣) مرآة الزمان ص ٢٢٩ .

إختلاط بني شيث ببني قابيل على عهده .

هـ ـ في تاريخ اليعقوبي :

قام بعد يرد أخنوخ بن يرد ، فقام بعبادة الله سبحانه ، وأخذ بنو شيث ونساؤهم وأبناؤهم في الهبوط ـ إلىٰ ولد قابيل ـ فعظم ذلك علىٰ أخنوخ ، فدعا ولده متوشلح ولمكاً ونوحاً ، فقال لهم : إني أعلم أنّ الله معذّب هذه الأمة عذاباً عظيماً ليس فيه رحمة .

وكان أخنوخ أوّل من خطّ بالقلم ، وهو إدريس النبيّ ، فأوصىٰ ولده أن يخلصوا عبادة الله ، ويستعملوا الصدق واليقين ، ثم رفعه الله إليه[1] .

وبناءً علىٰ ما أوردناه كان إدريس ﷺ صدِّيقاً نبيّاً ، آتاه الله الكتاب والحكمة ، وهدىٰ الناس في عصره إلىٰ شريعة الله ، ورفعه بعد ذلك مكاناً عليّاً ، مع ذلك كلّه لم يكن رسولاً من الله إلىٰ قومه ونذيراً معه آية من ربّه .

أ ـ في طبقات ابن سعد بسنده عن ابن عباس أنّه قال :

أوّل نبي بعث بعد آدم إدريس ، وهو أخنوخ بن يرد ... فولد أخنوخ متوشلح ونفراً معه و إليه الوصية . فولد متوشلح لمك و نفراً معه و إليه الوصيّة ، فولد لمك نوحاً ...[2]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١ / ١١ ط.بيروت دار صادر ، و تاريخ الطبري ط.اوربا ١/١٧٣-١٧٤ ، ٣٥٠ وطبقات ابن سعد ، ط. بيروت ١ / ٣٩ و ط. أوربا ١ / ١٦ في ذكر إدريس النبي ، وأخبار الزمان ص ٧٧ ، ومروج الذهب ١ / ٥٠ ، ومرآة الزمان ص ٢٢٩ ، وجاء خبر رفعه في تاريخ اليعقوبي ومرآة الزمان .

(٢) طبقات ابن سعد ط.بيروت ١/٣٩ و ط.أوربا ١/١٦ في ذكر إدريس النبي .

وصيّة يوارد لابنه أخنوخ،

ب ـ في أخبار الزمان :

عهد يوارد إلى أخنوخ وعلّمه العلوم التي عنده ودفع إليه مصحف السرّ .

* * *

متوشلح بن أخنوخ (إدريس عليه السلام)

* أوصىٰ إليه أبوه وعرّفه بنور خاتم الانبياء الذي انتقل إليه.
* تعميره البلاد .
* أوّل من ركب الخيل .

أوصى إليه أبوه و عرّفه بنور خاتم الأنبياء الذي انتقل إليه .

أ ـ في أخبار الزمان :

أوصىٰ إدريس إلىٰ ابنه متوشلح ، لأنّ الله أوحىٰ إليه أن اجعل الوصيّة في ابنك متوشلح فإنّي سأخرج من ظهره نبياً يُرتضىٰ فعله[1] .

ب ـ في مرآة الزمان :

أوصىٰ إدريس إلىٰ ابنه متوشلح ، ولما عهد إليه عرّفه بالنور الذي انتقل إليه منه ـ أي نور النبي الخاتم ﷺ ـ وهو أول من ركب الجمل[2] .

ج ـ في مروج الذهب :

قام بعد أخنوخ ابنه متوشلح ، فعمّر البلاد والنور في جبينه[3] ـ نور خاتم الأنبياء ـ[4] .

د ـ في تاريخ الطبري :

استخلفه اخنوخ علىٰ أمر الله ، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يُرفع ، وأعلمهم أن الله عزّوجل سيعذّب ولد قابين ـ قابيل ـ ومن خالطهم ومال إليهم ، ونهاهم عن مخالطتهم[5] .

---

(١) أخبار الزمان ص ٧٩ .

(٢) مرآة الزمان ص ٢٢٩ و قال متوشلح بالحاء أو متوشلخ بالخاء .

(٣) أخبار الزمان ص ٧٩ ، ومرآة الزمان ص ٢٢٩ ، وقال : متوشلح بالحاء أو متوشلخ بالخاء ، ومروج الذهب ١ / ٥٠ . الطبري ١ / ١٧٣ .

(٤) مروج الذهب ١/٥٠ .

(٥) تاريخ الطبري ١/٣/١١ .

أوّل مَن ركب الخيل :

في تاريخ الطبري :

و أنه أول من ركب الخيل ، لأنه اقتفىٰ رسم أبيه في الجهاد . وسلك في أيامه في العمل بطاعة الله طريق آبائه[١] .



---

(١) تاريخ الطبري ١/١٧٣ .

لمك بن متوشلح

* وصيّة متوشلح إلى لمك .
* تـزاوج أولاد شـيث وأولاد قـابيل و اخـتلاط نسـلهما و ولادة الجـبابرة مـن ذلك النسل .
* انفراد ثمانية أنفس مـن ولد شيث عنهم .
* وصيته لنوح ﷺ .

وصيّة متوشلح إلىٰ لمك ،

في تاريخ الطبري و أخبار الزمان :

لمّا حضرت متوشلح الوفاة أوصىٰ إلىٰ ابنه لمك ومعنىٰ لمك ، الجامع ، وهو أبو نوح ، وعهد إليه ودفع إليه الصحف والكتب المختومة التي كانت لإدريس ، وانتقلت الوصية إليه[1] .

تزاوج أولاد شيث و أولاد قابيل و ولادة الجبابرة منهما ،

أ ـ في مروج الذهب :

وكانت في أيّامه كوائن واختلاط في النسل[2] ؛ أي نسل شيث ونسل قابيل الملعون .

ب ـ في تاريخ اليعقوبي ما موجزه :

فقام لمك بعد أبيه بعبادة الله وطاعته ، وكثرت الجبابرة في عصره ، وذلك أنّه كان لما وقع بنو شيث في بنات قابيل ولدت منهم الجبابرة .

انفراد ثمانية أنفس من ولد شيث منهم و وصيّته لنوح عليه السلام ،

ثم دنا موت لمك ، فدعا نوحاً ، وساماً ، وحاماً ، ويافثاً ، ونساءهم ولم يبق من أولاد شيث غيرهم وكانوا ثمانية أنفس ، وهبط الباقي إلىٰ أولاد قابيل

---

(١) أخبار الزمان : ص ٨٠ ، و الطبري ط.اوربا ١ /١٧٨ .
(٢) مروج الذهب : ١ / ٥٠ .

واختلطوا معهم، فصلّىٰ عليهم متوشلح ودعا لهم بالبركة وقال: أسأل الله الذي خلق آدم أن يعطيكم بركة أبينا آدم، ويجعل في ولدكم المُلك، وأنا متوفّىٰ، ولن يفلت من أهل الرجز غيرك يا نوح، فإذا أنا مِتّ فاحملني واجعلني في مغارة الكنز ـ التي كان فيها جسد آدم ﷺ ـ فإذا أراد الله أن تركب السفينة، فاحمل جسد أبينا آدم، فاهبط به معك، ثم اجعله وسط البيت الأعلىٰ من السفينة، ثم كن أنت وبنوك في طرف السفينة الشرقي، ولتكن امرأتك وكنائنك في طرف السفينة الغربي، وليكن جسد آدم بينكم، فلا تجوزوا إلىٰ نسائكم ولا تجز نساؤكم إليكم، ولا تأكلوا ولا تشربوا معهنّ، ولا تقربوهنّ حتىٰ تخرجوا من السفينة، فإذا ذهب الطوفان وخرجتم من السفية إلىٰ الأرض، فصَلِّ أنت عند جسد آدم، ثم أوصِ ساماً أكبر بنيك، فليذهب بجسد آدم حتىٰ يجعله في وسط الأرض وليجعل معه رجلاً من أولاده يقوم عليه. ـ إلىٰ قوله ـ: فإن الله مرسل معه ملكاً من الملائكة يدله علىٰ وسط الأرض ويؤنسه(١).

* * *

نكتفي بنقل هذا المقدار من أخبار الأنبياء والأوصياء قبل نوح من القرآن الكريم ومصادر الدراسات الإسلامية، وننقل في ما يأتي بحوله تعالىٰ ذكر تواريخهم من التوراة.

(١) تاريخ اليعقوبي: ١ / ١٢ ـ ١٣، ط. بيروت ١٣٧٩ هـ.

تواريخ الأوصياء

من

التوراة

بعض تواريخ الأوصياء إلى عصر نوح في التوراة

جاء في سفر التكوين

الاصحاحُ الخامسُ

هذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ. يَوْمَ خَلَقَ ٱللهُ ٱلإِنْسَانَ عَلَى شَبَهِ ٱللهِ عَمِلَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُ وَبَارَكَهُ وَدَعَا ٱسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ. وَعَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلْثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ وَلَداً عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ وَدَعَا ٱسْمَهُ شِيثاً. وَكَانَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَمَا وَلَدَ شِيثاً ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ آدَمَ ٱلَّتِي عَاشَهَا تِسْعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً وَمَاتَ.

وَعَاشَ شِيثُ مِئَةً وَخَمْسَ سِنِينَ وَوَلَدَ أَنُوشَ. وَعَاشَ شِيثُ بَعْدَمَا وَلَدَ أَنُوشَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ شِيثَ تِسْعَ مِئَةٍ وَٱثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً وَمَاتَ.

وَعَاشَ أَنُوشُ تِسْعِينَ سَنَةً وَوَلَدَ قِينَانَ. وَعَاشَ أَنُوشُ بَعْدَمَا وَلَدَ قِينَانَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَخَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَنُوشَ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسَ سِنِينَ وَمَاتَ.

وَعَاشَ قِينَانُ سَبْعِينَ سَنَةً وَوَلَدَ مَهْلَلْئِيلَ. وَعَاشَ قِينَانُ بَعْدَمَا وَلَدَ مَهْلَلْئِيلَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ قِينَانَ تِسْعَ مِئَةٍ وَعَشَرَ سِنِينَ وَمَاتَ.

وَعَاشَ مَهْلَلْئِيلُ خَمْساً وَسِتِّينَ سَنَةً وَوَلَدَ يَارَدَ. وَعَاشَ مَهْلَلْئِيلُ بَعْدَمَا وَلَدَ

يَارَدَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ . فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ مَهْلَلْئِيلَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَخَمْساً وَتِسْعِينَ سَنَةً وَمَاتَ .

وَعَاشَ يَارَدُ مِئَةً وَٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّيْن سَنَةً وَوَلَدَ أَخْنُوخَ . وَعَاشَ يَارَدُ بَعْدَمَا وَلَدَ أَخْنُوخَ ثَمَانِي مِئَة سَنَة ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ . فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ يَارَدَ تِسع مِئَةٍ وَٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّيْنَ سَنَةً وَمَاتَ .

وَعَاشَ أَخْنُوخُ خَمْساً وَسِتِّيْنَ سَنَةً وَوَلَدَ مَتُوشَلَحَ . وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ ٱللهِ بَعْدَمَا وَلَدَ مَتُوشَلَحَ ثَلْثَ مِئَةٍ سَنَة ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ . فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلْثَ مِئَةٍ وَخَمْساً وَسِتِّيْنَ سَنَةً . وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ ٱللهِ وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ ٱللهَ أَخَذَهُ .

وَعَاشَ مَتُوشَلَحُ مِئَةً وَسَبْعاً وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ . فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ مَتُوشَلَحَ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعاً وَسِتِّيْنَ سَنَةً وَمَاتَ .

وَعَاشَ لاَمَكُ مِئَةً وَٱثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَوَلَدَ ٱبْناً . وَدَعَا ٱسْمَهُ نُوحاً . قَائِلاً : هٰذَا يُعَزِينَا عَنْ عَمَلِنَا وَتَعَبِ أَيْدِينَا مِنْ قِبَلِ ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي لَعَنَهَا ٱلرَّبُّ . وَعَاشَ لاَمَكُ بَعْدَمَا وَلَدَ نُوحاً خَمْسَ مِئَةٍ وَخَمْساً وَتِسْعِينَ سَنَةً وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ . فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ لاَمَكَ سَبْعَ مِئَةٍ وَسَبْعاً وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ .

وكَانَ نُوحٌ ٱبْنَ خَمْسِ مِئَة سَنَة وَوَلَدَ نُوحٌ سَاماً وَحَاماً وَيَافَثَ .

* * *

هكذا اكتفت كتب التوراة في نقل أخبار من كان من الأوصياء بين آدم ونوح بذكر سنيّ أعمارهم ، عدا ما جاء في خبر اخنوخ وجملة « وسار أخنوخ مع الله لأنّ الله أخذه » . كما جاء في القرآن الكريم ذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾ .

نتيجة البحث :

إنّ الله تاب على آدم ﷺ واجتباه واصطفاه لهداية الناس وتبليغ ما يحتاجه الإنسان البدوي من أحكام الإسلام في مثل عصره ، ثم توفاه الله إليه ، فقام أوصياؤه من بعده بالمحافظة على شريعته وحملها إلى الناس لهدايتهم ، غير أنّ البشر تدرّجوا في التوسّع الحضاري إلى عصر إدريس ﷺ واحتاجوا إلى تبيين أحكام الاسلام في الجوانب الحضارية الجديدة من حياتهم ؛ فأوحى الله إلى إدريس ﷺ ما احتاجه النّاس من أحكام الاسلام في مثل عصره ، فأدّى ﷺ الرسالة ، وبلّغ الناس ما أوحى الله إليه لهدايتهم ، واقتضت حكمة الله بعد ذلك أن يرفعه مكاناً علياً ، والله أعلم كيف رفعه وإلى أين ، ولا يسع هذا البحث لبيانه . ووجدنا بالإضافة إلى ذلك في أخبار الأنبياء والأوصياء بمصادر الدراسات الإسلامية أنّ كُلّاً منهم كان يأخذ العهد من وصيّه في شأن حمل نور خاتم الأنبياء ﷺ وأن يعهد بذلك إلى وصيّه من بعده ، ونجد تأكيد هذا الخبر في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ النّبيّينَ لما آتَيْتُكُم مِنْ كِتابٍ وَحكمةٍ ثمَّ جاءَكُم رسولٌ مُصَدِّقٌ لِما معكم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قالَ ءَأقْرَرْتُم وأَخَذْتُم عَلىٰ ذٰلِكُم إصْري قالوا أقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدوا وَأنا مَعَكُم مِنَ الشاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلّىٰ بَعدَ ذٰلِكَ فأُولئك هُمُ الفاسِقونَ﴾ [آل عمران : ٨١ ـ ٨٢].

أخرج الطبري في تفسير الآية الأولى عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ أنه قال : لم يبعث الله نبياً آدم فمن بعده إلّا أخذ عليه العهد في محمّد لئن بُعِث وهو حيّ

ليؤمننّ به ولينصرنّه ، ويأمره فيأخذ العهد علىٰ قومه ، ثمّ تلا : ﴿ وَإِذْ أَخذ اللهُ مِيثاقَ النبيِّينَ ... ﴾ [الآية] .

وأخرج عنه ﷺ أيضاً في تفسير الآية الثانية ـ إن الله سبحانه ـ يقول :

(فاشهدوا علىٰ أُممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم ، وعليهم فمن تولّىٰ عنك يا محمّد بعد هذا العهد من جميع الأُمم فأُولئك هم الفاسقون)[١] .

وقال القرطبي في تفسير الآية : الرسول هنا محمّد ﷺ من قول عليّ وابن عبّاس .

قال المؤلف : إنّ الآيتين الآنفتين جاءتا ضمن مجموعة من الآيات التي تدّل بنفسها علىٰ ما روي عن الإمام عليّ ﷺ بدءاً من قوله تعالىٰ قبلها :

﴿ أَلَم تَرَ إِلىٰ الَّذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلىٰ كِتابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَينهم ثُمَّ يَتَوَلّىٰ فَرِيقٌ منهم وهم مُعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣] .

﴿ قُلْ إِنْ تُخفُوا ما في صُدُوركم أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ ... ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

﴿ قُلْ إِنْ كُنتُم تُحِبّونَ اللهَ فَاتَّبعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لكم ذُنُوبَكُم ... ﴾ [آل عمران : ٣١] .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ والرسولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

و في الآيات ٣٤ فما بعدها أخبر تعالىٰ ما موجزه : أنّه تعالىٰ اصطفىٰ آدم و نوحاً و ... وأنّه كيف خلق عيسىٰ وأرسله إلىٰ بني إسرائيل ، وأنّ الحواريين

---

(١) تفسير الطبري ٣/٢٣٦ و ٢٣٨ ، و زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١ / ٤١٦ ، وفي تفسير ابن كثير ١ / ٣٧٨ مع تغيير في اللفظ ، والقرطبي في تفسيره ٤ / ١٢٥ .

آمنوا به .

ثمّ قال تعالىٰ : ﴿ فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ منَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالوا ... نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلىٰ الكاذِبين ﴾ [آل عمران : ٦١].

ثمّ قال تعالىٰ : ﴿ يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحقَّ بِالباطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأنتُم تَعْلَمُون ﴾ [الآية : ٧١].

﴿ وإذْ أَخذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّين لَما آتَيْتُكُم ... ﴾ [الآية : ٨١].

هكذا يظهر من سياق الآيات أنّ المقصود من قوله تعالىٰ :

﴿ جاءكُم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لتُؤمِنُنّ به ﴾ : أخذ العهد من الأمم علىٰ الإيمان بالرسول الخاتم ﷺ كما جاء تفسيره عن الإمام عليّ، أضف إليه ما سيأتي ذكره من آيات في بحث الشريعة الخاتمة بآخر الكتاب ، أمثال قوله تعالىٰ : ﴿ يَعرِفُونَه كَما يَعرِفُونَ أبناءَهُم ﴾ أي إنّ أهل الكتاب يعرفون خاتم الرسل كما يعرفون أبناءهم . من كلّ تلكم الآيات الكريمة عرفنا أن الله سبحانه قد أخذ العهد من الأنبياء السابقين أن يبلّغوا أُممهم بوجوب الايمان بالنبي الخاتم[1] وانّ كلّ نبيّ أخذ العهد بذلك من وصيه ، كما مرّ بنا شرحه في مصادر الدراسات الإسلامية إلىٰ زمن نوح .

كان ذلكم بعض أخبار الأنبياء والأوصياء منذ عصر آدم إلىٰ عصر نوح .

وفي عصر نوح اختلط بنو شيث ببني قابيل وولدوا نسلاً فاسداً طغىٰ وبغىٰ وعبد الأصنام ، كما ندرس باذنه تعالىٰ أخبارهم ضمن خبر النبي نوح

(١) من لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن ت : ٧٤١هـ ـ ١ / ٢٥٢ ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيّان ت : ٧٤٥هـ ـ ٢ / ٥٠٨ ـ ٥٠٩ ، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ت : ٩١١هـ ـ ٢ / ٤٧ ـ ٤٨ .

فيما يأتي.

أخبار نوح عليه السلام و الأوصياء من بعده

* نوح عليه السلام .
* سام بن نوح .
* ارفخشد بن سام .
* شالح بن ارفخشد .

نوح عليه السلام

* سيرة نوح في آيات كريمة .
* شرح الكلمات .
* تفسير الآيات .
* خلاصة أخبار نوح .
* أخبار نوح في مصادر الدراسات الاسلامية .

سيرة نوح في القرآن الكريم

قال الله سبحانه :

أ ـ في سورة الحديد :

﴿ ولقد أرسَلْنا نوحاً وإبراهيمَ وَجَعلْنا في ذُرِّيّتِهما النبوّة والكِتابَ فَمِنهم مُهْتَدٍ وكَثيرٌ منهُم فاسِقونَ ﴾ [الآية : ٢٦].

ب ـ في سورة العنكبوت :

﴿ ولقد أرسَلْنا نوحاً إلىٰ قومِهِ فَلَبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلّا خَمسينَ عاماً ... ﴾ [الآية : ١٤].

ج ـ في سورة المؤمنون :

﴿ فقالَ يا قومِ اعْبُدوا اللهَ ما لكُم مِنْ إلهٍ غيرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * فقالَ المَلأُ الّذينَ كَفروا مِن قَومِهِ ما هذا إلّا بَشرٌ مثلُكُم يُريدُ أنْ يَتفضَّلَ عَليكم وَلو شاءَ اللهُ لأنْزلَ ملائِكةً ما سَمِعْنا بهذا في آبائنا الأوّلينَ * إنْ هو إلّا رجُلٌ بِهِ جِنّةٌ فَتربَّصوا بِهِ حَتّىٰ حِينٍ ﴾ [الآيات : ٢٣ ـ ٢٥].

د ـ في سورة الشعراء :

﴿ ... قالَ لَهم أخوهُمْ نوحٌ ألا تَتّقون * إنّي لكُم رسولٌ أمينٌ * فاتّقوا اللهَ وأطِيعُونِ ﴾ [الآيات : ١٠٦ ـ ١٠٨].

هـ ـ في سورة يونس :

﴿ فإن توَلَّيتُم فما سألتُكُم من أجرٍ إنْ أجْري إلّا علىٰ اللهِ وأُمِرْتُ أن أكونَ مِنَ المُسْلِمينَ ﴾ [الآية : ٧٢].

و ـ في سورة الشعراء أيضاً :

﴿ قالوا أَنُؤْمِنُ لك واتَّبعكَ الأرْذَلُونَ * قالَ وما عِلْمي بِما كانوا يَعْمَلُونَ * إنْ حِسابُهُم إلّا علىٰ رَبِي لَوْ تَشْعُرونَ * وَما أنا بِطارِدِ المُؤمِنِينَ * إنْ أنا إلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قالوا لَئِن لم تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ ﴾ [الآيات : ١١١ ـ ١١٦].

ز ـ في سورة هود :

﴿ قالَ يا قَوم أَرَأَيْتُم إنْ كُنتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي وَآتاني رَحْمةً مِنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَليكم أَنُلْزِمُكُمُوها وأنتم لها كارِهونَ * ويا قَومِ مَنْ يَنْصُرُني مِنَ اللهِ إنْ طَرَدْتُهُم أَفَلا تَذَكَّرُونَ * ولا أقولُ لكم عندي خَزائِنُ اللهِ ولا أَعْلَم الغَيْبَ ولا أقولُ إنّي مَلَكٌ ولا أقولُ لِلّذينَ تَزْدَري أعيُنُكم لَنْ يُؤتِيهَمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أعلمُ بِما في أنْفُسِهِم إنّي إذاً لَمِنَ الظالِمِينَ * قالوا يا نوحُ قدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إنْ كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ * قالَ إنّما يأتِيكُم بِهِ اللهُ إنْ شاءَ وما أنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الآيات : ٢٨ و ٣٠ ـ ٣٣].

ح ـ في سورة نوح :

﴿ قالَ ربِّ إنّي دَعَوْتُ قَومي لَيْلاً وَنهاراً * فَلَم يَزِدْهُم دُعائي إلّا فِراراً * وإنّي كُلَّما دَعَوْتُهم لِتَغْفِرَ لهم جَعَلوا أَصابِعَهُم في آذانِهِم وَٱسْتَغْشَوا ثِيابَهُم وأَصَرّوا وٱسْتَكْبَرَوا اسْتِكْباراً * ثمّ إنّي دَعَوْتُهُم جِهاراً * ثُم إنّي أعْلَنْتُ لهم وأسْرَرْتُ لَهُم إسْراراً * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِروا رَبَّكُم إنَّهُ كانَ غَفّاراً * يُرسِل السَّماءَ عليكُم مِدْراراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لكم جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لكم أنهاراً * ما لكم لا تَرْجُون للهِ وَقاراً * وقد خَلَقَكُم أطْواراً * أَلَمْ تَرَوْا كَيفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمواتٍ طِباقاً * وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً * واللهُ أنبَتَكُم مِنَ الأرْضِ نَباتاً * ثمّ يُعِيدُكُم فيها ويُخْرِجُكُم إخراجاً * واللهُ جَعَلَ لكمُ الأرْضَ بِساطاً * لِتَسْلُكوا مِنْها

سُبُلاً فِجاجاً * قالَ نوحٌ رَبِّ إنَّهُم عَصَوْني واتَّبعوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إلّا خَساراً * وَمَكَروا مَكْراً كُبّاراً * وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يَغوثَ وَيَعوقَ وَنَسْراً * وقد أَضَلّوا كثيراً ولا تَزِدِ الظالِمينَ إلّا ضَلالاً * مِمّا خَطيئاتِهِم أُغْرِقوا فَأُدْخِلوا ناراً فَلَمْ يَجِدوا لَهُم مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصاراً * وقالَ نوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ علىٰ الأَرْضِ مِنَ الكافِرينَ دَيّاراً * إنَّكَ إنْ تَذَرْهُم يُضِلّوا عِبادَكَ ولا يَلِدوا إلّا فاجِراً كَفّاراً * رَبِّ اغْفِرْ لي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ولِلْمُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِناتِ وَلا تَزِدِ الظالِمينَ إلّا تَباراً ﴾ [الآيات: ٥ـ٢٨].

ط ـ في سورة هود أيضاً:

﴿ وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْني في الَّذينَ ظَلَموا إنَّهُم مُغْرَقون * وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عليهِ مَلأٌ مِنْ قَومِهِ سَخِروا مِنهُ قالَ إنْ تَسْخَروا مِنّا فَإنّا نَسْخَرُ مِنكُم كَما تَسْخَرُونَ * فَسوفَ تَعْلَمُون مَنْ يَأْتِيهِ عذابٌ يُخْزيهِ وَيَحِلُّ عَليه عَذابٌ مُقيمٌ * حَتّىٰ إذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلنا احْمِلْ فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إلّا مَنْ سَبَقَ عليهِ القَولُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إلّا قَليلٌ * وَقالَ ارْكَبوا فِيها بِسمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها إنَّ رَبّي لَغَفورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْري بِهِم في مَوْجٍ كَالجِبالِ وَنادىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ في مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ * قال سَآوِي إلىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُني مِنَ الماءِ قالَ لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلّا مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَينَهُما المَوْجُ فَكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ علىٰ الجُوديِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلقَومِ الظّالِمِينَ * وَنادىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إنَّ ابْني مِنْ أَهْلي وَإنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِك إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالح فَلا تَسأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنّي أَعِظُكَ أَنْ تَكونَ مِنَ الجاهِلِينَ * قالَ رَبِّ إنّي أَعوذُ بِكَ أَنْ

أسْأَلَكَ ما لَيسَ لي بِهِ عِلْمٌ وَإلّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْني أَكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ * قيلَ يا نُوحُ اَهْبطْ بِسَلامٍ مِنّا وَبَرَكاتٍ عَليكَ وَعلىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثمّ يَمَسّهُم مِنّا عَذابٌ أَليمٌ ﴾ [الآيات: ٣٧ ـ ٤٨].

ي ـ في سورة الصافات:

﴿وَجَعَلْنا ذُرِّيَّته هُمُ الباقِينَ * وَتَرَكْنا عَليهِ في الآخِرِينَ * سَلامٌ علىٰ نُوحٍ في العالَمِينَ * إنّا كـذلكَ نَـجْزِي الُـمحْسِنِينَ * إنّـهُ مِـنْ عِـبادِنا المُـؤمِنينَ ﴾ [الآيات: ٧٧ ـ ٨١].

ك ـ في سورة هود أيضاً:

﴿ تِلكَ مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ نُوحِيها إليكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أنتَ ولا قَومُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إنَّ العاقِبَةَ للمُتَّقِينَ ﴾ [الآية: ٤٩].

شرح الكلمات:

أ ـ فَعُمّيت عليكم:

عمّيت الأخبار والأمُور عنه وعليه: خفيت والتبست، وعمّي عليه طريقه: إذا التبس عليه.

ب ـ بمعجزين:

من معانيه: أعجز فلان: سبق فلم يدرك. وهذا المعنىٰ يناسب المقام.

ج ـ استَغْشوا ثِيابَهم:

استغشىٰ ثوبه، وبثوبه: تغطىٰ به كي يسمع ولا يرىٰ.

د ـ مِدْراراً :

درّت السماء أو السحابة : نزل منها المطر غزيراً متتابعاً .

هـ ـ وقاراً :

الوقار : السكون والحلم والعظمة ، ويناسب المقام معنىٰ العظمة .

و ـ أطْواراً :

الطَّور : الحال والهيئة وجمعه أطوار .

ز ـ طباقاً :

طابَقَ بين شيئين طِباقاً : جعلها علىٰ حذوٍ واحد أو جعل أحدهما فوق الآخر .

ح ـ فِجاجاً :

الفَجّ : الطريق الواسع وجمعه فِجاج .

ط ـ تباراً :

تبر تباراً : هلك .

ي ـ بِأعيُننا :

أي مَكلُوءاً بحفظنا ورعايتنا .

ك ـ التنّور :

من معانيه مفجر الماء ، وفي ترجمة نوح بمخطوطة ابن عساكر الورقة ٣٢٩ / ألف : (وكان التنّور في زاوية من مسجد الكوفة) .

ل ـ غِيضَ : غاضَ الماء غَيْضاً : نزل في الأرض وغاب فيها .

م ـ الجُوديّ :

قيل : اختلفوا في محلّه هل هو في جزيرة ابن عمر أم في نواحي الموصل أو

في الغريّ قريباً من نهر الفرات وعلىٰ ربوة النجف أم في غيرها ؟ فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: إنّ سفينة نوح استوت علىٰ جبل أرارات الواقع بين نهر أرس وبحر وان . وفي مادة الجودي من معجم البلدان : الجودي جبل مطلّ علىٰ جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من اعمال الموصل ؛ عليه استوت سفينة نوح ﷺ .

وجاء في تفسير ﴿ و ا ستوت علىٰ الجودي ﴾ من تفسير الطبري وابن كثير والسيوطي في رواية : انه في جزيرة ابن عمر ، وفي أُخرىٰ انّه في الموصل[1] ، وفي روضة الكافي : (وهو فرات الكوفة) ، وقال المجلسي في شرحه بمرآة العقول : لعلّ في الأصل : قريب الكوفة ، فصحّف[2] .

وقد كتب في جواب سؤالي عن هذا الموضوع الأُستاذ الباحث السيّد سامي البدري وقال :

(جاء في التوراة المترجمة إلىٰ العربية أنّ سفينة نوح ﷺ استقرّت علىٰ جبال (أراراط) ، وقال في قاموس الكتاب المقدّس : هذا اللفظ العبري مأخوذ من الأصل الأكادي (أورارطو) وانه أطلق علىٰ بلاد جبلية تقع شمالي شور (أي في شمال العراق) علىٰ أحد جبالها استقرّ فلك نوح).

أقول : كلمة (أورارطو) الاكادية تتألف من مقطعين هما :

١ ـ (أور) ومعناه مدينة مثل (أورشليم) أي مدينة السلام ، و (أور الكلدانيّين) أي مدينة الكلدانيين ، و (أوربيل) أي مدينة بعل .

٢ ـ (أرطو) أو (أردو) وقد جاء هذا اللفظ بمعان عديدة ؛ منها كونه اسما

---

(١) تفسير الطبري ١٢/٢٩-٣٠ ، و تفسير ابن كثير ٤٤٦-٤٤٧ ، و الدر المنثور ٣/٣٣١ ، ٣٣٤-٣٣٥
(٢) روضة الكافي ، الحديث ٤٢١ ، وراجع : البحار ١١ : ٣٠٢ و ٣١٢ و ٣٣٣ و ٣٣٨ .

لنهر الفرات ، ومنها كونه اسماً قديماً لمدينة بابل .

وفي ضوء ذلك تكون كلمة (أورارطو) معناها الأكدي مدينة الفرات ، مدينة بابل .

ويؤيد ما ذهبنا إليه أنّ الترجمة الآرامية للتوراة العبرية في عهد المسيح ﷺ المتداولة لدىٰ اليهود اليوم باسم (ترجوم أونقليوس) ترجمت (أراراط) إلىٰ (قردو) و (قردون) وعنها أخذت التوراة السريانية .

وقد ذكر علماء الآشوريات أنّ (قردو) اسم أطلق علىٰ بلاد بابل في حدود (١٥٠٠ ق . م) من قبل الكشيين الذين حكموا بابل قرابة أربعمائة سنة .

وعلىٰ ذلك يكون المراد من جبال أراراط هي جبال بابل أو جبال الفرات ، وهي مجموعة مرتفعات صخريّة وجبال صغيرة متناثرة تبدأ من ربوات النجف الثلاث وتستمر إلىٰ الشمال الغربي علىٰ جهة بحر النجف والحبّانيّة وتعرف بـ(الطارات) ، وأكثرها ارتفاعاً هي ربوة النجف التي تعرف بجبل (كوفان) في الأزمنة القديمة .

وما جاء في رواية روضة الكافي : (استوت علىٰ الجودي وهو فرات الكوفة) يؤيّده كون (جودي) و (جودا) اسم لفرات الكوفة ، كشف عنها التراث المسماري مؤخّراً ، وقد ذكرنا ذلك مُفصّلاً في بحثنا عن طوفان نوح ﷺ[1].

قال المؤلف :

ويؤيّد ذلك أنّ أراضي ما بين النهرين ـ الفرات ودجلة ـ والتي كانت تسمّىٰ بأراضي السواد لاتصال خضرة الزرع والنخيل فيها من الحيرة ـ النجف اليوم ـ إلىٰ المدائن ـ بغداد اليوم ـ حتىٰ مصبّ النهرين في البحر كانت منذ عصر آدم ﷺ حتىٰ

---

(١) للأستاذ البدري دراسات مفصّلة عن بشارات الأنبياء في التراث الشرقي القديم .

عصر العبّاسيّين من أفضل الأراضي لسكنىٰ البشر، خلافاً للجبال في شمال العراق ذات الثلوج في شتائها الطويل. وتقتضي الحكمة أن ترسو السفينة في مكان صالح لسكنىٰ البشر الذين عدموا جميع وسائل العيش.

تفسير الآيات (١):

إنّ بني آدم تكاثروا علىٰ مر السنين، ويظهر أنّهم انتشروا في الأرض الخصبة المجاورة لنهري الفرات ودجلة وفروعها المتشعّبة منهما، وتقدّمت حضارتهم في عصر نوح ﷺ ولم تكن تكفيهم ما نزلت من أحكام الإسلام للإنسان البدائي في عصر آدم ﷺ ولا ما نزل علىٰ إدريس ﷺ مكمّلاً لما يحتاجه الانسان الريفي في عصره، فبعث الله نوحاً ﷺ إلىٰ قومه بشريعة تشمل جميع التشريعات التي يحتاجها الإنسان الحضري في عصره، وكان البشر في عصره تدرّجوا إلىٰ عبادة الأصنام: ودّ وسواع ويَغوث ويعوق ونسر، وكانت تلكم الأصنام في بدايتها تماثيل صنعوها لخمسة صلحاء كانوا بين آدم ونوح، ثم استدرجهم الشيطان إلىٰ التبرك بها ثم إلىٰ عبادتها واتّخاذها آلهة لهم دون الله، فمكث نوح بينهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلىٰ عبادة الله والعمل بأحكام الإسلام ونبذ تلك الأصنام، فازدادوا بغياً وطغياناً وآذوا نبيّهم ولم يؤمنوا به. فأخذهم الله بحبس المطر عنهم، وكذلك اقتضت حكمة ربّ العالمين أن يأخذ الامم بعد تكذيبهم رسله بالبأساء والضرّاء لعلّهم يتضرّعون إلىٰ ربّهم، فطلب نوح ﷺ منهم أن يستغفروا ربّهم وبشّرهم انّهم إن فعلوا ذلك أرسل الله عليهم من السماء مطراً غزيراً، ولكنهم اصرّوا واستكبروا وازدادوا أذىً لنوح ﷺ، وكان أحدهم يأتي

---

(١) في تفسير آيات أخبار الأنبياء ندرس بإذنه تعالىٰ ما لها صلة ببحوثنا الآتية.

بولده إلىٰ نوح ﷺ ويقول له : إن عشت بعدي لاتؤمن بـهذا المـجنون ، وأخـيراً استحقّوا العذاب المهلك فعاقبهم الله أوّلاً بعقم نسائهم ، وأمر نوحاً بصنع السفينة فأتمّ صنعها بتعليم الله إيّاه ، وفار التنّور وكانت علامة لقيام الطوفان . وكان التنور كما ذكره ابن عساكر في ـ محل ـ زاوية مسجد الكوفة[١] ، وأركب في السـفينة المؤمنين به وما أمره الله أن يُركب فيها من الدوابّ ، ثمّ انفجر الماء من الأرض وسال من السماء وجرت السفينة بهم في أمواج كالجبال ، ولم يركب مع نوح ابنه ، فهاجت بنوح شفقة الابوّة التي لا يخلو منها أيّ بشر ، ونادىٰ ابنه وقال : ﴿ يا بُنَيّ اركب معنا ولا تكن معَ الكافِرين * قال سَآوي إلىٰ جَبلٍ يَعْصِمُني مِنَ الماءِ قالَ لا عاصِمَ اليومَ مِن أمر الله إلّا مَنْ رَحِمَ وحالَ بينهُما الموجُ فَكانَ مِنَ المُـغْرَقِين * فنادىٰ نوحٌ ربَّه فَقالَ رَبِّ إنَّ ابني مِـنْ أهـلي وإنَّ وَعـدَك الحـقُّ وأنتَ أحكَـم الحاكِمِين * قال يا نوح إنّهُ ليسَ مِن أهِلكَ إنّهُ عَمَلٌ غَيرُ صالحٍ فَلا تَسألْني ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْم ﴾ .

ولمّا علم نوح من خطاب الله ما لم يكن يعلم ، بأنّ ابنه استحقّ العذاب بسوء فعله قال : ﴿ رَبِّ إنّي أعوذُ بِكَ أنْ أسألكَ ما لَيسَ لِي بِهِ عِلم ... ﴾ ، ثم أهلكَ الله من لم يركب من الإنسان والحيوان في السفينة بعد ذلك وانقطع المطر وغِيضَ الماء ونزل من السفينة بأرض بابل[٢] من كان ركب فيها من انسان وما أركب فيها نوح من حيوان ، ومن بقي من البشر بعد نوح إلىٰ اليوم هم من أولاده الثـلاثة : سـام

---

(١) راجع : ترجمة نوح في تاريخ ابن عساكر ، مصوّرة المجمع العلمي الإسلامي الورقة ٣٢٩ / ألف.

(٢) قال الحموي في مادة بابل من معجم البلدان ما موجزه :

بابل اسم ناحية منها الكوفة والحلة ، وكان قد نزلها نوح هو ومن خرج معه من السفينة لطلب الدفء ، وهو أوّل من عمّرها فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح وملّكوا عليهم ملوكاً وابتنوا بها المدائن ، واتّصلت مساكنهم بدجلة والفرات إلىٰ أن بلغوا من دجلة إلىٰ أسفل كسكر ومن الفرات إلىٰ ما وراء الكوفة ، وموضعهم هو الذي يقال له السواد ، وكانت ملوكهم تنزل بابل.

وحام ويافث . ولم تكن قريش تعرف خبر نوح وكان خبره بالنسبة لهم من أنباء الغيب التي أوحىٰ الله بها إلىٰ خاتم أنبيائهﷺ .

كان ذلك موجز أخبار نوح في تفسير الآيات الكريمة وبعض ما جاء من خبره في مصادر الدراسات الإسلامية . وفي ما يأتي نذكر بحوله تعالىٰ بقية أخبار نوح في مصادر الدراسات الإسلامية :

أخبار نوح في مصادر الدراسات الإسلامية :

في تاريخ اليعقوبي ما موجزه :

أوحىٰ الله عزّوجلّ إلىٰ نوح في أيام جدّه أخنوخ ، وهو إدريس النبيّ ، وقبل أن يرفع الله إدريس أمره أن ينذر قومه وينهاهم عن المعاصي التي كانوا يركبونها ، ويحذّرهم العذاب ، فأقام علىٰ عبادة الله تعالىٰ والدعاء لقومه .

ثم ذكر اليعقوبي وغيره تفصيل ما أوردنا موجزه في تفسير الآيات الآنفة وقال اليعقوبي :

وعاش نوح ، بعد خروجه من السفينة ، ثلاثمائة وستين سنة ، ولما حضرت وفاة نوح اجتمع إليه بنوه الثلاثة : سام وحام ويافث وبنوهم ، فأوصاهم ، وأمرهم بعبادة الله تعالىٰ ، وأمر ساماً أن يدخل السفينة إذا مات ، ولا يشعر به أحد ، و يستخرج جسد آدم إلى وسط الأرض ، في المكان المقدّس ، وقال له : يا سام ؛ إنك إذا خرجت أنت وملكيزدق بعث الله معكما مَلَكاً من الملائكة يدلّكما علىٰ الطريق ، ويُريكما وسط الأرض ، فلا تعلمنّ أحداً ما تصنع ، فإن هذا الأمر وصيّة آدم التي أوصىٰ بها بنيه ، وأوصىٰ بها بعضهم بعضاً ، حتىٰ انتهىٰ ذلك إليك ، فإذا بلغتما المكان الذي يُريكما المَلَك ، فضع فيه جسد آدم ، ثم مُرْ ملكيزدق أن لا

يفارقه، ولا يكون له عمل إلّا عبادة الله سبحانه[١].

ودفن نوح ﷺ في المكان الذي توفّي فيه في العراق لِما جاء عن رسول الله ﷺ: (وَما قُبِضَ نَبيّ إلّا دُفِنَ حيثُ يُقْبَضُ)[٢] وبناءً علىٰ ذلك يكون مدفن آدم ﷺ ـ أيضاً ـ حيث قُبِض.

* * *

(١) تاريخ اليعقوبي (١ / ١٣ و ١٦)، ط. بيروت ١٣٧٩ هـ.
(٢) سيرة ابن هشام (٤ / ٣٤٣)، وسنن ابن ماجة ح ١٦٢٨، وفتح الباري (١ / ٥٢٩)، وكنز العمّال ١٨٧٦٣

سام بن نوح ﷺ

* وصيّة نوح لابنه سام.
* نقله جسد آدم من السفينة ودفنه في المكان الذي أمر أن يدفنوه فيه.
* وصيّته إلىٰ ابنه ارفخشد.

وصيّة نوح لابنه سام :

في تاريخ ابن الأثير :

و أوصىٰ ـ نوح ﷺ ـ إلىٰ ابنه سام وكان أكبر ولده[1] .

في أخبار الزمان للمسعودي :

إنّ الله جعل لسام بن نوح الرئاسة والكتب المنزلة من الأنبياء ، ووصيّة نوح في ولده خاصة دون إخوته[2] .

نقله لجسد آدم من السفينة و دفنه في المكان الذي أمرّ أن يدفنوه فيه :

في تاريخ اليعقوبي :

قام سام بن نوح ، بعد أبيه ، بعبادة الله تعالىٰ وطاعته ، وفتح السفينة ، فأخذ جسد آدم ، فهبط به سرّاً من أخويه وأهله ومعه ابنه ، فعرض لهما المَلَك ، فلم يزل معهما حتىٰ صار بهما إلىٰ الموضع الذي أُمِروا أن يضعوا جسد آدم فيه فوضعوا الجسد فيه .

وصيّته لابنه ارفخشد :

ثم حضرت سام الوفاة ، فأوصىٰ إلىٰ ابنه ارفخشد[3] .

---

(١) تاريخ ابن الأثير (١ / ٢٦) ط. مصر الأولىٰ .
(٢) أخبار الزمان ، للمسعودي (ص ٧٥ ـ ١٠٢) ، ط. بيروت ١٣٨٦ هـ.
(٣) تاريخ اليعقوبي (١ / ١٧) ، ط. بيروت ١٣٧٩ هـ.

ارفخشد بن سام

* قيامه بعد سام .
* وصيته لولده .

قيام ارفخشد بعد سام :

في مروج الذهب للمسعودي :

وكان القيم بعد سام في الأرض ولده ارفخشد[1] .

في تاريخ اليعقوبي :

ثم قام ارفخشد بن سام بعبادة الله تعالىٰ وطاعته ، وكان قد ولد له شالح بعد أن أتت عليه مائة وخمس وثمانون سنة ، وقد تفرّق ولد نوح في البلاد ، وكثرت الجبابرة والعُتاة منهم ، وأفسد ولد كنعان بن حام ، وأظهروا المعاصي[2] .

وصيّته لولده :

في تاريخ اليعقوبي :

و لمّا حضرت ارفخشد الوفاة جمع إليه ولده وأهله وأوصاهم بعبادة الله تعالىٰ ومجانبة المعاصي ، وقال لشالح ابنه : اقبلْ وصيّتي ، وقم في أهلك بعدي عاملاً بطاعة الله تعالىٰ . ومات[3] .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي (١ / ٥٤) .
(٢) تاريخ اليعقوبي (١٨/١)
(٣) تاريخ اليعقوبي (١ / ١٨) .

شالح بن أرفخشد

* قيامه في طاعة الله و وصيته
لابنه .

قيامه في طاعة الله :

في تاريخ اليعقوبي :

ثمّ قام شالح بن أرفخشد في قومه يأمرهم بطاعة الله تعالىٰ ، وينهاهم عن معاصيه ، ويحذرهم ما نال أهل المعاصي من الرجز والعذاب . وكان قد ولد له عابر بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ، ثم حضرته الوفاة ، فأوصىٰ إلىٰ ابنه عابر بن شالح ، وأمره أن يتجنّب فعل بني قابيل اللعين ؛ ومات[1] .

* * *

اختصرنا من ذكر أوصياء نوح عليه السلام غير الأنبياء علىٰ ذكر سام وارفخشد وشالح وسنذكر في ما يأتي بإذنه تعالىٰ بعض ما جاء من أخبار الأنبياء والرسل من أوصياء نوح في القرآن الكريم .

(١) تاريخ اليعقوبي (١ / ١٨).

أخبار الأنبياء من أوصياء نوح في القرآن

* هود عليه السلام .
* صالح عليه السلام .

هـــود عليه السلام

* سيرته في آيات كريمة .
* شرح الكلمات .
* تفسير الآيات .

سيرة هود عليه السلام في آيات كريمة :

قال الله سبحانه وتعالىٰ :

أ ـ في سورة الأحقاف مخاطباً نبيّه الكريم :

﴿ وَٱذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أَنْذَرَ قومَهُ بالأحْقافِ وقدْ خَلَت النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلّا تَعْبُدوا إلّا اللهَ إنّي أخافُ عليكُم عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ * قالوا أجِئتنا لتأفكَنا عَنْ آلهَتِنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إنْ كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ * قالَ إنَّما العِلمُ عِندَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُم ما أُرْسِلْتُ بِهِ وَلكِنّي أراكُم قَوماً تَجْهَلونَ * فَلمّا رَأوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِم قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ ما ٱسْتَعْجَلتُم بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كلَّ شَيءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحوا لا يُرىٰ إلّا مَساكِنُهُم كَذلِكَ نَجْزي القَومَ المجرِمِينَ ﴾

[الآيات: ٢١ـ٢٥].

ب ـ في سورة هود :

﴿ وإلىٰ عادٍ أخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَومِ ٱعْبُدوا اللهَ ما لكُم مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ إنْ أنتُم إلّا مُفْتَرونَ * يا قَومِ لا أسْأَلُكُم عليهِ أجْراً إنْ أجريَ إلّا علىٰ الّذي فَطَرَني أفَلا تَعْقِلونَ * وَيا قَومِ ٱسْتَغْفِروا ربَّكم ثُمَّ تُوبُوا إليهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عليكُم مدراراً ويزِدْكُم قُوَّةً إلىٰ قُوَّتِكم ولا تتولَّوا مُجْرمينَ * قالُوا يا هُودُ ما جِئتنا ببيِّنَةٍ وما نحنُ بتاركي آلهتنا عن قولِك وما نحنُ لك بمُؤمنينَ * إنْ نَقولُ إلّا ٱعْتراكَ بعضُ آلهتِنا بِسُوءٍ قال إنّي أُشهدُ اللهَ وٱشهدوا أنّي بريءٌ ممّا تُشركونَ * من دونه فكيدُوني

جميعاً ثُمّ لا تُنظِرُونِ ﴾ [الآيات: ٥٠ـ٥٥].

ج ـ في سورة المؤمنون:

﴿ وقال الملأُ من قومِه الّذين كفروا وكذّبوا بلقاءِ الآخرةِ وأترفناهُم في الحياةِ الدُّنيا ما هذا إلّا بشرٌ مثلُكم يأكُلُ مما تأكُلُونَ منهُ ويشربُ ممّا تشربونَ * ولئن أطعتُم بشراً مثلَكُم إنَّكُم إذاً لخاسرونَ * أيعدُكُم أنَّكُم إذا متُّم وكُنتُم تُراباً وعظاماً أنَّكُم مُخرجُونَ * هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعدُونَ * إن هي إلّا حياتُنا الدُّنيا نمُوتُ ونحيا وما نحنُ بمبعُوثينَ * إن هُو إلّا رجُلٌ آفترىٰ علىٰ الله كذباً وما نحنُ لهُ بِمُؤمنينَ * قال ربِّ انصُرني بما كذّبُونِ * قال عمّا قليلٍ ليُصبِحُنَّ نادمينَ * فأخذتهُم الصّيحةُ بالحقِّ فجعلناهُم غُثاءً فبُعداً للقومِ الظّالمينَ ﴾ [الآيات: ٣٣ـ٤١].

د ـ في سورة الأعراف:

﴿ وإلىٰ عادٍ أخاهُم هُوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُهُ افلا تتقوُن * قال الملأُ الّذين كفروا من قومِه إنّا لنراك في سفاهةٍ وإنّا لنظُنُّك من الكاذبينَ * قال يا قومِ ليس بي سفاهةٌ ولكني رسولٌ من ربِّ العالمينَ * أُبلِّغُكُم رسالاتِ ربّي وأنا لكُم ناصحٌ أمينٌ * أو عجبتُم أن جاءكُم ذكرٌ من ربِّكُم علىٰ رجُلٍ منكُم ليُنذركُم وآذكُروا إذ جعلكُم خُلفاء من بعد قوم نُوحٍ وزادكُم في الخلقِ بصطةً فاذكُرُوا آلاء الله لعلَّكُم تُفلحونَ * قالوا أجئتنا لنعبُدَ اللهَ وحدهُ ونذرَ ما كان يعبُدُ آباؤُنا فأْتنا بما تعدُنا إن كُنت من الصّادقينَ * قال قد وقع عليكُم من ربِّكُم رجسٌ وغضبٌ أتُجادلُونني في أسماءٍ سمّيتُموها أنتُم وآباؤُكُم ما نزّل اللهُ بها من سُلطانٍ فانتظروا إنّي معكُم من المنتظِرينَ * فأنجيناهُ والّذين معهُ برحمةٍ منّا وقطعنا دابرَ الذين كذّبوا بآياتنا وما كانُوا مُؤمنينَ ﴾ [الآيات: ٦٥ـ٧٢].

هـ ـ في سورة القمر :

﴿ كذَّبت عادٌ فكيف كان عذابي ونُذُر * إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يومِ نحسٍ مُستمرٍ * تنزعُ النّاس كأنَّهُم أعجازُ نخلٍ مُنقعرٍ ﴾ [الآيات : ١٨ ـ ٢٠].

شرح الكلمات :

أ ـ الأحقاف :

الحقف : ما استطال واعوجّ من الرمل وجمعه : الأحقاف ، والمقصود هنا مجتمع رمال بين عمان إلىٰ حضرموت ؛ راجع تفصيل خبره في مادة الأحقاف من معجم البلدان .

ب ـ لتأْفكنا :

الإفك : أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ، والمقصود هنا تصرفنا عن آلهتنا بكذبك وافترائك .

ج ـ عارض :

العارض : ما اعترض في الأفق فسدّه من سحاب أو جراد أو نحل .

د ـ أترفناهمُ :

التّرف : التنعّم ، وأترفناهم أي نعّمناهم بأنواع النعم من المال والولد والمساكن الطيّبة .

هـ ـ هيهات :

هيهات هذا الأمر : أي بعُد .

و ـ بصطة :

البصطة لغة في البسطة . والبصطة في العلم : السعة والفضيلة والزيادة . وفي

الجسم : زيادة تهيب العدوّ ، والمقصود هنا المعنىٰ الثاني .

ز ـ رجس :

الرِّجس هنا : العذاب الذي يقع بسبب ما يستقبح .

ح ـ قطعنا دابرهُم :

قطعُ الدابر كناية عن الاستئصال ، وقطع الله دابرهم : أفناهم عن آخرهم .

موجز تفسير الآيات :

كانت قبيلة عاد من ذرية نوح النبي قد بلغوا درجة من الحضارة تناسبهم شريعة نوح الواسعة ، واستطاع الشيطان أن يستدرجهم إلىٰ عبادة الأوثان ، فأرسل الله لهدايتهم نبيّه هوداً ﷺ من أفراد قبيلتهم ، فدعاهم إلىٰ عبادة الله وحده والعمل بدين الإسلام الذي شرّعه لهم ربّ العالمين وجاء به نوح ﷺ ووعظهم ولكنّهم طغوا وبغوا ، فحبس الله عنهم المطر لعلّهم يتضرّعون ، وبشّرهم إن آمنوا واستغفروا أن يرسل السماء عليهم مدراراً ، وأنذرهم عذاب الله ، ولكنّهم ازدادوا عتوّاً فأرسل الله عليهم ريحاً سوداء ، فلمّا رأوها ظنوا أنّها سحابة مُمطرة ولكنّها كانت ريحاً أهلكتهم وبقيت مساكنهم . وكذلك كان شأن قبيلة ثمود الآتي خبرهم بإذنه تعالىٰ :

* * *

صالح

- سيرته في آيات كريمة .
- شرح الكلمات .
- تفسير الآيات .

قال الله سبحانه وتعالىٰ :

أ ـ في سورة النّمل :

﴿ ولقد أرسلنا إلىٰ ثمُود أخاهُم صالحاً أن آعـبُدوا اللهَ فـإذا هُـم فـريقانِ يختصمونَ * قال يا قوم لم تستعجلونَ بالسَّيِّئةِ قبل الحسنةِ لولا تسـتغفرُونَ اللهَ لعلَّكُم تُرحمُونَ * قالُوا آطَّيَّرنا بك وبمن معك قال طائرُكُم عند اللهِ بل أنتُم قـومٌ تُفتنُونَ ﴾ [الآيات : ٤٥ ـ ٤٧].

ب ـ في سورة الشعراء :

﴿ كذَّبت ثمُودُ المُرسلينَ * إذ قال لهُم أخوهُم صالحٌ ألا تتَّقُونَ * إنّي لكُم رسولٌ أمينٌ * فاتَّقوا اللهَ وأطيعُونِ * وما أسألُكُم عليه من أجرٍ إن أجري إلّا علىٰ ربِّ العالمينَ * أتُتركُون في ما هاهُنا آمنينَ * في جنّاتٍ وعُيُونٍ * وزُرُوعٍ ونخلٍ طلعُها هضيمٌ * وتنحتُونَ من الجبالِ بُيُوتاً فارهينَ * فاتَّقوا اللهَ وأطيعُونِ * ولا تُطيعُوا أمرَ المُسرفينَ * الّذين يُفسدُون في الأرضِ ولا يُصلحُونَ * قالُوا إنّما أنت من المُسحَّرينَ * ما أنت إلّا بشرٌ مثلُنا فأتِ بآيةٍ إن كُنت من الصّادقينَ * قال هذه ناقةٌ لها شربٌ ولكُم شربُ يومٍ معلُومٍ ﴾ [الآيات : ١٤١ ـ ١٥٥].

ج ـ في سورة هـود :

﴿ وإلىٰ ثمُودَ أخاهُم صالحاً قال يا قومِ آعبُدوا اللهَ ما لكُم من إلهٍ غيرُهُ هُو أنشأكُم من الأرضِ وآستعمركُم فيها فاستغفرُوهُ ثمَّ تُـوبُوا إليـه إنَّ ربّـي قـريبٌ مُجيبٌ * قالُوا يا صالحُ قد كُنت فينا مرجُوّاً قبل هذا أتنهانا أن نعبُدَ ما يعبُدُ آباؤُنا وإنَّنا لفي شكٍّ ممّا تدعونا إليه مُريبٍ * قال يا قومِ أرأيتُم إن كُنتُ علىٰ بيِّنةٍ من

ربِّي وآتاني منهُ رحمةً فمن ينصُرُني من اللهِ إن عصيتُهُ فما تزيدُونني غيرَ تخسيرٍ * ويا قومِ هذه ناقةُ اللهِ لكُم آيةً فذرُوها تأكُلْ في أرضِ اللهِ ولا تمسُّوها بسُوءٍ فيأخُذكُم عذابٌ قريب * فعقرُوها فقال تمتَّعوا في دارِكُم ثلاثةَ أيّامٍ ذلك وعدٌ غيرُ مكذُوبٍ * فلمّا جاء أمرُنا نجَّينا صالحاً والّذين آمنوا معهُ برحمةٍ منّا ومن خزي يومئذٍ إنَّ ربَّك هُو القويُّ العزيزُ * وأخذ الّذين ظلمُوا الصَّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا إنّ ثمُودَ كفروا ربَّهُم ألا بُعداً لثمُودَ ﴾ [الآيات: ٦١ ـ ٦٨].

د ـ في سورة الأعراف:

﴿ وإلىٰ ثمُودَ أخاهمُ صالحاً قال يا قوم اعبُدوا اللهَ ما لكُم من إلهٍ غيرُهُ قد جاءتكُم بينةٌ من ربّكُم هذه ناقةُ اللهِ لكُم آيةً فذروها تأكُلْ في أرضِ اللهِ ولا تمسُّوها بسُوءٍ فيأخُذكُم عذابٌ أليمٌ * واذكرُوا إذ جعلكُم خُلفاءَ من بعدِ عادٍ وبوَّأكُم في الأرضِ تتَّخذونَ من سُهُولِها قُصُوراً وتنحتُون الجبالَ بُيُوتاً فاذكرُوا آلاءَ اللهِ ولا تعثوا في الأرض مُفسدينَ * قال الملأُ الّذين استكبرُوا من قومِه للّذين استُضعفُوا لمن آمن منهُم أتعلَمونَ أنَّ صالحاً مُرسلٌ من ربّه قالُوا إنّا بما أُرسلَ به مُؤمنونَ * قال الّذين استكبروا إنّا بالّذي آمنتُم به كافرونَ * فعقروا الناقةَ وعتوا عن أمر ربّهم وقالُوا يا صالحُ ائتنا بما تعدُنا إن كُنت من المُرسلينَ * فأخذتهُمُ الرَّجفةُ فأصبحُوا في دارِهم جاثمينَ * فتولّىٰ عنهُم وقال يا قومِ لقد أبلغتُكُم رسالة ربّي ونصحتُ لكم ولكن لا تُحبّون النّاصحينَ ﴾ [الآيات: ٧٣ ـ ٧٩].

هـ ـ في سورة النمل:

﴿ وكان في المدينةِ تسعةُ رهطٍ يُفسدون في الأرضِ ولا يُصلحونَ * قالُوا تقاسمُوا باللهِ لنُبيّتنَّهُ وأهلَهُ ثُمَّ لنقُولنَّ لوليّه ما شهدنا مهلِكَ أهلِه وإنّا لصادقونَ *

ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهُم لا يشعُرونَ * فانظُرْ كيف كان عاقبةُ مكرِهم أنّا دمَّرناهُم وقومَهُم أجمعينَ * فتلكَ بيُوتُهُم خاويةً بما ظلموا إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعلمونَ * وأنجينا الّذين آمنوا وكانوا يتّقونَ ﴾ [الآيات: ٤٨ ـ ٥٣].

شرح الكلمات:

أ ـ اطَّيَّرنا وطائرُكم:

تطيَّر واطَّيَّر: تشاءم. وطائركم هنا بمعنىٰ شؤمكم.

ب ـ هضيم:

هضيم: الناضج من الثمر. واللطيف: الليّن والمتدلّي.

ج ـ فارهين:

الفاره: الأشر والحاذق في عمله، وكلا المعنيين يناسبان المقام.

د ـ جاثمين:

جثم جثُوماً: لزم مكانه لاصقاً بالأرض لا يبرحها.

هـ ـ بوّأكُم:

بوّأهُ منزلاً: أنزله فيه.

و ـ لا تعثوا:

عاث وعثا: أفسد أشدّ الإفساد.

ز ـ عُتُوّاً:

عتا عُتوّاً: استكبر، جاوز الحدّ في الطغيان.

ح ـ الرَّجفة :

رجف : تحرّك واضطرب اضطراباً شديداً ، والرجفة : المرّة منه .

ط ـ الرَّهط :

الرَّهط هنا بمعنىٰ دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة .

موجز تفسير الآيات :

كانت قبيلة ثمود ـ أيضاً ـ من ذريّة نوح ، وعاشت بعد قوم عاد وسكنت القصور الفارهة بين الشام والمدينة[١] وعتت وطغت وعبدت الأصنام دون الله ، فأرسل الله إليهم نبيّه صالحاً من أفراد قبيلتهم بشيراً ونذيراً فجرىٰ بينهم ما مرّ بنا في الآيات الآنفة .

وأخيراً طلبوا من نبيّهم أمراً تعجيزياً حين طلبوا منه أن يخرج لهم من الجبل ناقة عشراء تكون آية علىٰ صدق مُدّعاه ، فآتاهم الله تلك الآية وتمخّض الجبل عن ناقة عشراء عظيمة الجثة وولدت أمامهم ، واتفق نبيّ الله صالح معهم أن تشرب الناقة من نهرهم يوماً ولا يرد النهر غيرُها ، ويكون لبنها في ذلك اليوم بديلاً لهم عن ماء النهر ، وفي اليوم الآخر يكون ماء النهر لهم ولدوابّهم . وجرىٰ الأمر بينهم علىٰ ذلك ، حتىٰ تعاقد تسعة من طغاتهم علىٰ عقرها ، وعقروها فأخذتهم الصّيحة والرّجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

(١) مرّ رسول الله ﷺ علىٰ منازلهم في مسيره إلىٰ غزوة تبوك ، راجع : أخبار غزوة تبوك في مغازي الواقدي وإمتاع الأسماع .

نتيجة البحث :

أرسل الله كلّاً من هود وصالح عليهما السلام بشيرين ونذيرين إلىٰ قومهما يدعوانهم للعمل بشريعة نوح عليه السلام ، وكذلك كان كلّ من جاء بعد نوح عليه السلام ممن بلّغ شرائع الدين كان وصيّاً علىٰ شريعة نوح عليه السلام سواء أكان رسولاً مثل هود عليه السلام وصالح عليه السلام أو لم يكن رسولاً مثل سام بن نوح عليه السلام ومن جاء بعده من الأوصياء ، إلىٰ أن بعث الله إبراهيم عليه السلام بالشريعة الحنيفية ، كما ندرس أخباره في ما يأتي بحوله تعالىٰ .

إبراهيم ﷺ خليل الرحمن

* مشاهد من أخبار إبراهيم في القرآن الكريم .
* إبراهيم مع المشركين .
* إبراهيم مع لوط .
* إبراهيم و إسماعيل و بناء البيت و النداء بالحج .
* إبراهيم و إسحاق و يعقوب .

مشاهد من أخبار إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم :

المشهد الأول ـ إبراهيم مع المشركين :

قال الله سبحانه وتعالىٰ :

أ ـ في سورة الشعراء :

﴿ واتلُ عليهم نبأ إبراهيمَ * إذ قال لأبيه وقومِه ما تعبُدونَ * قالُوا نعبُدُ أصناماً فنظلُّ لها عاكفينَ * قال هل يسمعونكم إذ تدعُونَ * أو ينفعونكم أو يضُرُّونَ * قالُوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلونَ * قال أفرأيتُم ما كُنتُم تعبُدُونَ * أنتُم وآباؤُكُمُ الأقدمونَ * فإنَّهُم عدوٌّ لي إلّا ربَّ العالمينَ * الّذي خلقني فهُو يهدينِ * والّذي هُو يُطعمُني ويسقينِ * وإذا مرضتُ فهُو يشفينِ * والذي يُميتُني ثُمَّ يُحيينِ * والّذي أطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدّينِ ﴾ [الآيات: ٦٩ـ٨٢].

ب ـ في سورة الأنعام :

﴿ وإذ قال إبراهيمُ لأبيه آزرَ أتتَّخذُ أصناماً آلهةً إنّي أراك وقومَك في ضلالٍ مُبينٍ * وكذلك نُري إبراهيمَ ملكُوتَ السّمٰواتِ والأرضِ وليكُونَ من المُوقنينَ * فلمّا جنّ عليه اللّيلُ رأىٰ كوكباً قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لا أُحبُّ الآفلينَ * فلمّا رأىٰ القمرَ بازغاً قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكُوننَّ من القوم الضّالّينَ * فلمّا رأىٰ الشّمس بازغةً قال هذا ربّي هذا أكبرُ فلمّا أفلت قال يا قوم إنّي بريءٌ ممّا تُشركونَ * إنّي وجّهتُ وجهيَ للّذي فطر السمٰواتِ والأرضَ حنيفاً وما أنا من المُشركينَ * وحاجّهُ قومُهُ قال أتُحاجُّونّي في اللهِ وقد هداني ولا أخافُ ما تُشركون به إلّا أن يشاء ربّي شيئاً وسع ربّي كُلَّ شيءٍ علماً

أفلا تتذكَّرونَ * وكيف أخافُ ما أشركتُم ولا تخافُون أنَّكُم أشركتُم باللهِ ما لم يُنزِّل به عليكُم سلُطاناً فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمنِ إن كُنتُم تعلمُونَ ﴾ [الآيات: ٧٤ـ ٨١].

ج ـ في سورة العنكبوت:

﴿ وإبراهيمَ إذ قال لقومِهِ اعبُدوا اللهَ واتَّقوهُ ذلكُم خيرٌ لكُم إن كُنتم تعلمونَ * إنَّما تعبُدونَ من دُون اللهِ أوثاناً وتخلُقُون إفكاً إنَّ الَّذين تعبُدون من دُون اللهِ لا يملكون لكُم رزقاً فابتغوا عند اللهِ الرِّزقَ واعبدُوهُ واشكُروا لهُ إليه تُرجعونَ * وإن تُكذِّبوا فقد كذَّب أُممٌ من قبلكُم وما علىٰ الرَّسولِ إلَّا البلاغُ المُبينُ * ..... * فما كان جواب قومِهِ إلَّا أن قالُوا اقتُلُوهُ أو حرِّقوهُ فأنجاهُ اللهُ من النَّارِ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يُؤمنون * وقال إنَّما اتخذتُم من دُون اللهِ أوثاناً مودَّة بينِكُم في الحياةِ الدُّنيا ثُمَّ يومَ القيامةِ يكفُرُ بعضُكُم ببعضٍ ويلعنُ بعضُكم بعضاً ومأواكُمُ النَّارُ وما لكُم من ناصرينَ ﴾ [الآيات: ١٦ـ ١٨ و ٢٤ ـ ٢٥].

د ـ في سورة الصافات:

﴿ سلامٌ علىٰ نوُحٍ في العالَمين * ..... * وإنَّ من شيعته لإبراهيمَ * إذ جاء ربَّهُ بقلبٍ سليمٍ * إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبُدونَ * أإفكاً آلهةً دُون الله تُريدونَ * فما ظنُّكُم بربِّ العالمينَ * فنظر نظرةً في النُّجُومِ * فقال إنِّي سقيمٌ * فتولَّوا عنهُ مُدبرينَ * فراغ إلىٰ آلهتِهم فقال ألَا تأكُلونَ * ما لكُم لا تنطقُونَ * فراغ عليهم ضرباً باليمينِ * فأقبلُوا إليه يزفُّونَ * قال أتعبُدونَ ما تنحتُونَ * واللهُ خلقكُم وما تعملونَ * قالُوا ابنُوا لهُ بُنياناً فألقُوه في الجحيمِ * فأرادُوا بهِ كيداً فجعلناهُمُ الأسفلينَ ﴾ [الآيات: ٧٩ و ٨٣ـ ٩٨].

هـ ـ في سورة الأنبياء :

﴿ ولقد آتينا إبراهيمَ رُشدهُ من قبلُ وكُنّا به عالمينَ * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التّماثيلُ الّتي أنتُم لها عاكفُونَ * قالُوا وجدنا آباءَنا لها عابدينَ * قال لقد كُنتُم أنتُم وآباؤُكُم في ضلالٍ مُبينٍ * قالُوا أجئتنا بالحقِّ أم أنت من اللّاعبينَ * قال بل ربُّكُم ربُّ السّماواتِ والأرضِ الّذي فطرهُنَّ وأنا علىٰ ذلكُم من الشّاهدين * وتاللهِ لأكيدنَّ أصنامَكُم بعد أن تُولُّوا مُدبرينَ * فجعلهُم جُذاذاً إلّا كبيراً لّهم لعلّهم إليه يرجعونَ * قالُوا من فعل هذا بآلهتِنا إنّهُ لمن الظّالمينَ * قالُوا سمعْنا فتىً يذكُرُهُم يُقالُ لهُ إبراهيمَ * قالُوا فأتُوا به علىٰ أعيُنِ النّاسِ لعلّهم يشهدونَ * قالوُا أأنت فعلت هذا بآلهتِنا يا إبراهيمُ * قال بل فعلهُ كبيرُهُم هذا فاسألوهُم إن كانوا ينطقونَ * فرجعوا إلىٰ أنفُسِهم فقالوا إنكُم أنتمُ الظالمُونَ * ثُمَّ نُكسُوا علىٰ رُؤوسِهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقُونَ * قال أفتعبُدون من دُونِ اللهِ ما لا ينفعُكُمْ شيئاً ولا يضُرُّكم * أُفٍّ لكُم ولما تعبُدُون من دُون الله أفلا تعقلونَ * قالُوا حرِّقُوه وانصُروا آلهتَكم إن كُنتُم فاعلينَ * قُلنا يا نارُ كُوني برداً وسلاماً علىٰ إبراهيمَ * وأرادُوا به كيداً فجعلناهُمُ الأخسرينَ ﴾ [الآيات : ٥١ ـ ٧٠].

و ـ في سورة البقرة :

﴿ ألم تر إلىٰ الّذي حاجَّ إبراهيمَ في ربّه أن آتاهُ اللهُ المُلكَ إذ قال إبراهيمُ ربّي الّذي يُحيي ويُميتُ قال أنا أُحيي وأُميتُ قال إبراهيمُ فإنَّ اللهَ يأتي بالشّمسِ من المشرقِ فأتِ بها من المغربِ فبُهت الّذي كفر واللهُ لا يهدي القومَ الظالمينَ ﴾ [الآية : ٢٥٨].

المشهد الثاني - إبراهيم ولوط عليهما السلام:

أ ـ في سورة العنكبوت:

﴿ فآمن لهُ لُوطٌ وقال إنّي مُهاجرٌ إلىٰ ربّي إنَّهُ هُو العزيزُ الحكيمُ * ووهبنا لهُ إسحاقَ ويعقُوبَ وجعلنا في ذُرِّيتِه النُّبُوَّةَ والكتابَ وآتيناهُ أجرَهُ في الدُّنيا وإنّهُ في الآخرةِ لمن الصّالحينَ * ... * ولمَّا جاءت رُسُلُنا إبراهيمَ بالبُشرىٰ قالُوا إنّا مُهلكو أهلِ هذه القريةِ إنَّ أهلَها كانُوا ظالمينَ * قال إنَّ فيها لُوطاً قالُوا نحنُ أعلمُ بمن فيها لنُنجّينَّهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ كانت من الغابرينَ ﴾ [الآيات: ٢٦ـ٢٧، ٣١ـ٣٢].

ب ـ في سورة هـود:

﴿ ولقد جاءت رُسُلُنا إبراهيمَ بالبُشرىٰ قالُوا سلاماً قال سلامٌ فـما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذٍ * فلمّا رآىٰ أيديَهُم لا تصلُ إليه نكرهُم وأوجس منهُم خيفةً قالُوا لاتخف إنّا أُرسلنا إلىٰ قومِ لُوطٍ * وامرأتُهُ قائمةٌ فضحكت فبشّرناها بإسحاقَ ومن وراءِ إسحاقَ يعقُوبَ * قالت يا ويلتىٰ أألدُ وأنا عجُوزٌ وهذا بعلي شيخاً إنَّ هـذا لشيءٌ عجيبٌ * قالُوا أتعجبين من أمرِ اللهِ رحمةُ اللهِ وبركاتُهُ عليكُم أهلَ البيت إنَّهُ حميدٌ مجيدٌ * فلمّا ذهب عن إبراهيمَ الرَّوعُ وجاءتهُ البُشرىٰ يُـجادلُنا فـي قـومِ لُوطٍ * إنّ إبراهيمَ لحليمٌ أوّاهٌ مُنيبٌ * يا إبراهيمُ أعرض عن هذا إنَّهُ قد جاء أمرُ ربّك وإنَّهُم آتيهم عذابٌ غيرُ مردُودٍ ﴾ [الآيات: ٦٩ـ٧٦].

ج ـ في سورة الذاريات :

﴿ هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيمَ المُكرمينَ * إذ دخلوا عليه فقالُوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ مُنكرونَ * فراغ إلىٰ أهلِه فجاء بعجلٍ سمينٍ * فقرَّبهُ إليهم قال ألا تأكُلُونَ * فأوجس منهُم خيفةً قالُوا لا تخف وبشَّرُوهُ بغُلامٍ عليمٍ * فأقبلت امرأتُهُ في صرَّةٍ فصكَّت وجهَها وقالت عجُوزٌ عقيمٌ * قالوا كذلكِ قال ربُّكِ إنَّهُ هُو الحكيمُ العليمُ * قال فما خطبُكُم أيُّها المُرسلُونَ * قالُوا إنَّا أرسلنا إلىٰ قومٍ مُجرمينَ * لنُرسلَ عليهم حجارةً من طينٍ * مُسوَّمةً عند ربِّك للمُسرفينَ * فأخرجنا من كان فيها من المؤمنينَ * فما وجدنا فيها غيرَ بيتٍ من المسلمينَ * وتركنا فيها آيةً للَّذينَ يخافُونَ العذابَ الأليمَ ﴾ [الآيات : ٢٤ ـ ٣٧].

د ـ في سورة الشعراء :

﴿ كذَّبت قومُ لُوطٍ المُرسلينَ * إذ قال لُهم أخوهُم لُوطٌ ألا تتَّقونَ * إنِّي لكُم رسُولٌ أمينٌ * فاتّقوا اللهَ وأطيعُونِ * وما أسألُكُم عليه من أجرٍ إن أجري إلّا علىٰ ربِّ العالمينَ * أتأتُون الذُّكرانَ من العالمينَ * وتذرُونَ ما خلق لكُم ربُّكُم من أزواجِكُم بل أنتُم قومٌ عادُونَ * قالُوا لئن لم تنتهِ يا لُوطُ لتكُوننَّ من المُخرجينَ * قال إنِّي لعملِكُم من القالينَ * ربِّ نجِّني وأهلي ممَّا يعملونَ * فنجَّيناه وأهلَهُ أجمعينَ * إلَّا عجُوزاً في الغابرينَ * ثُمَّ دمَّرنا الآخرينَ * وأمطرنا عليهِم مطراً فساء مطرُ المُنذرينَ ﴾ [الآيات : ١٦٠ ـ ١٧٣].

المشهد الثالث ـ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبناء البيت والنداء بالحج.

أ ـ في سورة إبراهيم :

﴿ وإذ قال إبراهيمُ ربِّ اجعل هـذا البـلدَ آمـناً واجـنبني وبـنيَّ أن نـعبُدَ الأصنامَ * ربِّ إنَّهُنَّ أضللنَ كثيراً من النّاسِ فمن تبعني فإنَّهُ منّي ومن عصاني فإنَّك غفُورٌ رحيمٌ * ربَّنا إنّي أسكنتُ من ذُريَّتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ عـند بـيتِك المحرَّمِ ربَّنا ليُقيموا الصَّلاةَ فاجعل أفئدةً من النّاسِ تهوي إليهم وارزقـهُم مـن الثَّمراتِ لعلَّهم يشكُرونَ * ... * الحمدُ للهِ الَّذي وهب لي علىٰ الكبرِ إسماعيلَ وإسحاقَ إنَّ ربّي لسميعُ الدُّعاءِ * ربِّ اجعلني مُقيمَ الصَّلاة ومن ذُرِّيَّـتي ربَّـنا وتـقبَّل دُعـاءِ * ربَّـنا اغـفر لي ولوالديَّ وللـمُؤمنينَ يـومَ يـقُومُ الحسـابُ ﴾

[الآيات : ٣٥ ـ ٣٧ و ٣٩ ـ ٤١].

ب ـ في سورة الحج :

﴿ وإذ بوَّأنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ أن لا تُشركْ بي شيئاً وطهِّرْ بيتيَ للطائفينَ والقائمينَ والرُّكعِ السُّجُودَ * وأذِّن في النّاسِ بالحجِّ يأتُوك رجالاً وعلىٰ كُلِّ ضامرٍ يأتين من كُلِّ فجٍّ عميقٍ * ... * وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هُو اجتباكُم وما جعل عليكُم في الدّينِ من حرجٍ ملَّةَ أبيكُم إبراهيمَ هُو سمّاكُم المُسلمينَ من قبلُ ... ﴾

[الآيات : ٢٦ ـ ٢٧ و ٧٨].

ج ـ في سورة البقرة :

﴿ وإذ ابتلىٰ إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ قال إنّي جاعلُك للنّاسِ إماماً قال

ومن ذُرِّيَّتي قال لا ينالُ عهدي الظَّالمينَ * وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للنَّاسِ وأمناً واتَّخذوا من مقامِ إبراهيمَ مُصلّىً وعهدنا إلىٰ إبراهيمَ وإسماعيلَ أن طهِّرا بيتيَ للطَّائفينَ والعاكفينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ * وإذ قال إبراهيمُ ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزُق أهلهُ من الثَّمراتِ من آمن منهُم باللهِ واليومِ الآخرِ قال ومن كفر فأُمتِّعُهُ قليلاً ثُمَّ أضطرُّهُ إلىٰ عذابِ النَّارِ وبئس المصيرُ * وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعد من البيتِ وإسماعيلُ ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السَّميعُ العليمُ * ربَّنا واجعلنا مُسلمينِ لك ومن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسلمةً لك وأرنا مناسكَنا وتُب علينا إنَّك أنت التَّوَّابُ الرَّحيمُ * ربَّنا وابعث فيهم رسُولاً منهُم يتلُو عليهم آياتك ويُعلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ ويُزكِّيهم إنَّك أنت العزيزُ الحكيمُ ﴾ [الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٩].

د ـ في سورة الصافات:

﴿ وقال إنِّي ذاهبٌ إلىٰ ربِّي سيهدينِ * ربِّ هب لي من الصالحينَ * فبشَّرناهُ بغُلامٍ حليمٍ * فلمَّا بلغ معهُ السَّعيَ قال يا بُنيَّ إنِّي أرىٰ في المنامِ أنِّي أذبحُك فانظُر ماذا ترىٰ قال يا أبتِ افعل ما تُؤمرُ ستجدُني إن شاء اللهُ من الصَّابرينَ * فلمَّا أسلما وتلَّهُ للجبينِ * وناديناهُ أن يا إبراهيمُ * قد صدَّقت الرُّؤيا إنَّا كذلك نجزي المُحسنينَ * إنَّ هذا لهُو البلاءُ المُبينُ * وفديناهُ بذبحٍ عظيمٍ ﴾ [الآيات: ٩٩ ـ ١٠٧].

هـ ـ آل عمران:

﴿ يا أهل الكتابِ لم تُحاجُّون في إبراهيمَ وما أُنزلت التَّوراةُ والإنجيلُ إلَّا من بعده أفلا تعقلونَ * ... * ما كان إبراهيمُ يهُوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً

مُسلماً وما كان من المُشركينَ * إنّ أولىٰ النّاسِ بإبراهيمَ للّذين آتّبعُوهُ وهذا النّبيُّ والّذين آمنوا واللهُ وليُّ المُؤمنين * ... * قُل صدق ٱللهُ فاتّبعوا ملّة إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المُشركينَ ﴾ [الآيات: ٦٥ و ٦٧ ـ ٦٨ و ٩٥].

و ـ في سورة النحل:

﴿ ثُمَّ أوحينا إليك أن آتّبع ملّة إبراهيمَ حنيفاً وما كـان مـن المُشـركينَ ﴾ [الآية: ١٢٣].

ز ـ في سورة النساء:

﴿ ومن أحسنُ ديناً ممّن أسلم وجهَهُ للهِ وهُو مُحسنٌ وآتّبع ملّة إبراهيمَ حنيفاً وآتّخذ اللهُ إبراهيم خليلاً ﴾ [الآية: ١٢٥].

المشهد الرابع ـ إبراهيم وإسحاق ويعقوب:

قال الله سبحانه:

أ ـ في سورة مريم:

﴿ فلمّا آعتزلهُم وما يعبُدُونَ من دُونِ ٱللهِ وهبنا لهُ إسحاقَ ويعقُوبَ وكُـلّاً جعلنا نبيّاً * ... وجعلنا لهُم لسانَ صدقٍ عليّاً ﴾ [الآيتان: ٤٩ ـ ٥٠].

ب ـ في سورة الأنبياء:

﴿ ووهبنا لهُ إسحاقَ ويعقُوبَ نافلةً وكُلّاً جعلنا صالحينَ * وجعلناهُم أئمّةً يهدُون بأمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيراتِ وإقامَ الصّلاةِ وإيتاءَ الزّكاةِ وكانوا لنا

عابدينَ ﴾ [الآيتان : ٧٢ ـ ٧٣] .

ج ـ في سورة مريم :

﴿ أولئك الَّذين أنعم اَللهُ عليهم من النَّبيِّينَ من ذُرِّيَّةِ آدمَ وممَّن حملنا مع نُوحٍ ومن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ وإسرائيلَ .... ﴾ [الآية : ٥٨] .

شرح الكلمات :

أ ـ حَنِيفاً :

الحَنِيف : المُخلص الذي أسلم لأمر الله فلم يلتو في شيء من دينه ، المائل عن الضلالة إلىٰ الاستقامة .

الحَنَف : ميل عن الضلالة إلىٰ الاستقامة .

والجَنَف : ميل عن الاستقامة إلىٰ الباطل .

ب ـ فراغ :

راغ : أقبل ومال .

ج ـ يَزِفُّون :

زفّ : أسرع ، ويزفُّون : يسرعون .

د ـ افٍّ :

كلمة : تضجر وتأفف .

هـ ـ جُذاذاً :

جَذَّه : قطعه وكسره ـ في حالة استقذار الشيء ـ وفتّته فالشيء مجذوذ .

و ـ بُهِتَ :

بَهَتَ الرجل : دهش مأخوذاً بالحجّة وتحيّر .

ز ـ بوّأنا :

بوّأه منزلاً : أنزله ، وبوّأ المنزل : أعدّه وهيّأه .

ح ـ ضامِر :

ضمُر الجمل ونحوه : هزل وقلّ لحمه ، والضامر منه : الهزيل .

ط ـ فجّ عميق :

الفجّ : الطريق الواسع .

ي ـ مثابة :

المثاب والمثابة : البيت والملجأ .

ك ـ تَلَّهُ :

تلّه هنا بمعنىٰ : ألقاه علىٰ عنقه وخدّه .

ل ـ قانِتاً :

قَنَتَ لله : لزم طاعته وأطال القيام في الصلاة والدعاء .

م ـ أوّاه :

الأوّاه : الكثير الدعاء . الرحيم : الرقيق القلب .

ن ـ مُنِيب :

ناب إليه : رجع إليه مرّة بعد أخرىٰ ، ناب إلىٰ الله : تاب ورجع .

س ـ صرّة :

الصرّة : الصيحة والضجّة .

ع ـ فصكّت :

صكّت هنا بمعنىٰ لطمت وجهها تعجّباً .

ف ـ نافِلة :

النافِلة : من معانيها المناسبة للمقام : الشيء الزائد من الخير والبرّ وما هو محمود ، وولد الولد لأنّه زيادة علىٰ الولد .

ص ـ اسرائيل :

إسرائيل : لقب يعقوب ومن ثمّ سمّيت ذرّيّته بني إسرائيل[١] .

* * *

(١) قاموس الكتاب المقدّس مادّة اسرائيل .

مواضع العبرة في تفسير الآيات الآنفة

في مشاهد من أخبار إبراهيم الخليل عليه السلام

و يتضح منها أسلوب الأنبياء في طرح عقائد الإسلام

في المشهد الأول، إبراهيم مع المشركين:

انتشرت في بابل موطن إبراهيم عليه السلام علىٰ عهده ثلاثة أنواع من العبوديّة لغير الله جلّ جلاله :

أ ـ عبادة النجوم .

ب ـ عبادة الأصنام .

ج ـ عبادة طاغوت العصر نمرود .

لم يعتمد خليل الرحمن عليه السلام في احتجاجه علىٰ المشركين الأدلّة العقليّة البحتة، كما فعله علماء الكلام بعد انتشار تراجم كتب الفلسفة اليونانية منذ القرن الثاني الهجري حتىٰ اليوم، ولم يعتمد في احتجاجه علىٰ بحوث : (ممكن الوجود وممتنع الوجود وواجبه) وإنّما اعتمد الأدلّة المحسوسة المعقولة في احتجاجه معهم كالآتي بيانه :

أوّلاً ـ مع عَبَدة النجوم النيّرة :

استدرجهم الخليل عليه السلام في الكلام وقال لهم : إنّكم تتّخذون النيّرات أرباباً، ولكنّ القمر أكبر نوراً ؛ هذا ربّي !؟ إنّه استدراج طبيعي محسوس معقول ؛ ويتسلسل الاستدراج بعد ذلك ويوجّه أذهانهم مرّة ثانية إلىٰ الشمس ويقول : هذا

ربّي ، هذا أكبر ! ؟ ويستمرّ الاستدراج حين يوجّه أذهانهم بعد أُفول الشمس إلىٰ زوال نورها وأنّ الزائل لا يُعبَد حيث قال : ﴿ إنّي بريءٌ ممّا تُشركُونَ * إنّي وجّهتُ وجهيَ للّذي فطرَ السّماواتِ والأرضَ ... ﴾ .

ثانياً ـ مع عُبّاد الأصنام :

كان عُبّاد الأصنام يدعون الأصنام ويطلبون منها إنزال المطر ، ومنها يستشفعون ويستنصرون في دفع العدوّ ، ويخاطبونها في قضاء حوائجهم سرّاً وإعلاناً ! وليس هناك أدلّ علىٰ إظهار عجز تلك الآلهة عن كلّ ما يعتقدون فيها ولها من كسرها والاستهزاء بهم في ما يعتقدون ! وكذلك فعل بطل التوحيد وأمعن في كسرها حتىٰ جعلها جذاذاً ، ووضع فأسه علىٰ عاتق كبير الأصنام ! ولمّا رجعوا من عيد لهم وشاهدوا ذلك المشهد المثير تساءلوا في ما بينهم : من فعل هذا بآلهتنا ؟ قالوا : سمعنا فتىٰ يذكرهم بالاستهزاء يقال له : إبراهيم ، قالوا : ﴿ فأتوا به علىٰ أعين الناس لعلّهم يشهدون ﴾ ، وأتوا به وقالوا له : ﴿ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعلهُ كبيرُهُم هذا فاسألُوهُم إن كانُوا ينطقُون ﴾ ، فظهرت حجّة إبراهيم عليه السلام بأجلىٰ ما يكون من ظهور الحجة ، ورجع المشركون إلىٰ أنفسهم وقالوا: ﴿ انّكم أنتم الظالمون ﴾ ، ثم نكسوا علىٰ رؤوسهم ـ ولم يحروا جواباً ـ ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون !

ولمّا عجزوا عن مقابلة أدلّة إبراهيم علىٰ عجز الأصنام بعجزها عن الدفاع عن أنفسها فضلاً عن نفعها لغيرها من الخلق ﴿ فما كان جواب قومه ـ عندئذ ـ إلّا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه ﴾ .. ﴿ وقالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم ﴾ وقالوا : ﴿ حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً علىٰ

إبراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴾ .

ثالثاً ـ مع طاغوت عصره :

احتجّ إبراهيم ﷺ علىٰ طاغوت عصره نمرود الّذي ادّعىٰ الربوبية بدليل انّه ملك مجتمعه كما أخبر الله تعالىٰ عنه وقال : ﴿ أَلم تر إلىٰ الّذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه أن آتاهُ اللهُ المُلكَ ﴾ وكما هو دأب القرآن الكريم في ذكر موضع العبرة من الاحتجاج قال تعالىٰ بعده : ﴿ إذ قال إبراهيمُ ربّي الّذي يُحيي ويُميت ﴾ لابدّ أن يكون هذا الكلام في مقابل ادّعاء الطاغية نمرود الربوبيّة ، وذكر القرآن بعد هذا ردّ نمرود علىٰ إبراهيم حيث قال : ﴿ أنا أُحيي وأُميت ﴾ وفعلاً أمر بإنسان بريء فقتل! وأمر بإطلاق سراح محكوم بالقتل ، وزعم أنّ ذلك تحقيق لقوله : أنا أُحيي وأُميت هنا لم يخض إبراهيم معه احتجاجاً عقلياً ليبرهن أنّ قتل البريء والعفو عن المجرم ليسا بإحياء حقيقي وإماتة حقيقية ، بل قدّم دليلاً محسوساً معقولاً آخر وقال : ﴿ فَإِنَّ الله يأتي بالشَّمسِ من المشرقِ فأتِ بها من المغربِ ﴾ ﴿ فبُهت الَّذي كفر ﴾ ولم يحر جواباً !

هكذا اعتمد خليل الرحمن الأدلّة المحسوسة المعقولة في محاججة المشركين . وكذلك فعل سائر الأنبياء في احتجاجهم مع المشركين في عصورهم ، و كذلك ـ أيضاً ـ حاجج القرآن أصناف المشركين ، حيث خاطب الناس ـ كلّ الناس ـ ولم يخصّ بالاستدلال الفلاسفة والمثقّفين منهم ، وضرب للناس ـ كلّ الناس ـ مثلاً محسوساً معقولاً حين قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ قد ضُرب مثلٌ فاستمعُوا لهُ إنَّ الّذين تدعُون من دُون الله لن يخلُقُوا ذُباباً ﴾ انه تعالىٰ ذكره اختار للمثل ذكر حشرة يتقذر منها جميع البشر ومنتشرة في جميع مجتمعاتهم ، وقال

سبحانه : ﴿ إنّ الّذين تدعُون من دُون الله ﴾ لقضاء حوائجكم في حياتكم عاجزون عن خلق حشرة قذرة ـ الذبابة ـ وأكّد ذلك بلفظ (لن) التي تفيد التأبيد ، ثم أوضح أكثر من ذلك علىٰ ضعف الآلهة التي يعبدونها بقوله جل اسمه : ﴿ وإن يسلُبهُم الذُّبابُ شيئاً لا يستنقذوه ﴾ وإنَّ الذبابة لو امتصّت شيئاً من دم فرعون طاغوت مصر أو الأبقار آلهة الهنود وما شاكلها من آلهة البشر لا تستطيع تلك الآلهة أن تستنقذ حقها من تلك الحشرة الضعيفة القذرة المهانة ؛ ثم أربىٰ علىٰ ذلك و قال سبحانه وتعالىٰ ذكره : ﴿ وما قدروا الله حقَّ قدره ﴾ حين يشركون به ـ وهو خالق السماوات والأرض ـ تلك المخلوقات الضعيفة !

هكذا كان احتجاج الله ورسله ، وليس في كلّها شيء من أساليب علماء علم الكلام في مؤلّفاتهم ، فأيّ الطريقين أجدر أن نسلكه في المناظرة والاحتجاج ؟

كانت مقابلة إبراهيم مع عبّاد الكواكب والأصنام والطاغوت في موطنه بابل ، وبعد ذلك هاجر إلىٰ بلاد الكنعانيين في الشام وجرىٰ له فيها ما يأتي :

المشهد الثاني ـ في موقف إبراهيم في خبر لوط وقومه :

قال سبحانه في سورة العنكبوت :

﴿ فآمَنَ له لوط ... ﴾ [الآية : ٢٧].

يظهر من هذه الآية أنّ لوطاً ﷺ كان يعمل بشريعة الخليل إبراهيم و أنَّ الله أرسله إلىٰ القرية التي تعمل الخبائث[١] ، بشريعة إبراهيم ﷺ حين قال تعالىٰ في سورة الصافات : ﴿ وإنَّ لُوطاً لمن المرسلين ﴾ [الآية : ١٣٣].

ومن مشاهد خبر إبراهيم مع لوط موقفه من نزول العذاب علىٰ قوم لوط ﷺ

---

(١) راجع تفسير الآية في تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير والسيوطي.

كما قال سبحانه في سورة العنكبوت : ﴿ قال إنَّ فيها لُوطاً قالوا نحنُ أعلَم بمن فيها لنُنجِّيَنَّهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ كانت من الغابرينَ ﴾ [الآية : ٣٢].

و قال سبحانه في سورة هـود :

﴿ فلمّا ذهب عن إبراهيم الرَّوعُ وجاءتهُ البُشرىٰ يُجادلُنا في قومِ لُوطٍ * إنَّ إبراهيمَ لحليمٌ أواهٌ مُنيبٌ * يا إبراهيمُ أعرض عن هذا إنَّهُ قد جاء أمرُ ربِّك وإنَّهُم آتيهم عذابٌ غيرُ مردُودٍ ﴾ [الآيات : ٧٤ ـ ٧٦].

و كان جدال إبراهيم الذي أخبر الله عنه مع الملائكة عندما أخبروه أنّ الله أرسلهم ليهلكوا قوم لوط أنّه قال لهم : إن كان في القرية كذا نفر من المسلمين أتهلكون أهلها ؟

و في رواية قال : أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين ، فقالوا : ان كان فيها خمسون لم نعذّبهم ، قال : أربعون ، قالوا : وأربعون ، قال : ثلاثون ، قالوا : وثلاثون ، حتىٰ بلغ عشرة ، قالوا : و إن كان فيها عشرة .

و يظهر من قوله تعالىٰ : ﴿ قال : إنّ فيها لوطاً ﴾ انه بلغ في ذكر العدد الواحد ، وقالت الملائكة له ان كان فيها مسلم واحد لم نعذبهم ، فقال لهم عندئذٍ : إنّ فيها لوطاً فقالوا في جوابه : لننجينّه . ولموقف إبراهيم ﷺ في الرحمة بقوم لوط و سعيه لدفع العذاب عنهم أثنىٰ الله تعالىٰ عليه وقال : ﴿ إنَّ إبراهيم لحليمٌ أوّاهٌ مُنيبٌ ﴾ .

المشهد الثالث ـ خبر إبراهيم مع إسماعيل وبناء البيت ونداؤه بالحج :

أباحت سارة زوجة إبراهيم ﷺ وابنة خالته لزوجها إبراهيم ﷺ أن يطأ جاريتها هاجر فحملت منه وولدت إسماعيل ﷺ ، فغارت سارة من أمتها هاجر

وابنها اسماعيل وطلبت من زوجها إبراهيم ﷺ أن يبعد الأمة هاجر وابنها إسماعيل عنها ويسكنها في أرض غير ذات زرع ، وأمره الله أن يُنفّذ رغبتها فأركبهما إبراهيم دابّة وسار بهما إلىٰ البرّ ، وكلما مرّ بأرض ذات زرع وماء وأراد أن ينزلهما هناك منعه أمين وحي الله جبرئيل عن ذلك حتىٰ بلغ بهم مكّة في أرض فاران بين جبال سود وأرض غير ذات زرع وماء ، وعند بيت الله الحرام الذي طاف حوله آدم ومن جاء بعده من الأنبياء طلب منه جبرئيل أن ينزلهما هناك ، فأنزلهما وقال : ﴿ ربنا إنّي أسكنتُ من ذرّيّتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ عند بيتِك المُحرَّم ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناسِ تهوي إليهم ﴾ وعاد إبراهيم لتوّه إلىٰ مسكنه في الشام ، ونفد الماء الذي كان مع هاجر وجفّ لبنها وأشرف الوليد علىٰ الهلاك في حرّ الحجاز وأخذ يفحص برجليه الأرض ، فركضت هاجر والهة إلىٰ جبل الصفا وصعدت عليه علّها ترىٰ بالوادي أحداً ، ولم تر أحداً ولم تسمع صوتاً غير رجع صداها ، فنزلت من الصفا وسارت إلىٰ جبل المروة وصعدته وكرّرت ما فعلته علىٰ جبل الصفا ثم أعادت الكرة إلىٰ الصفا، وكل ما وصلت في مسيرها إلىٰ ما يحاذي وليدها هرولت في سيرها ، وبعد الشوط السابع من سعيها بين الجبلين تقدّمت إلىٰ وليدها تنظر إليه وإذا بها ترىٰ الماء يجري من تحت قدمي وليدها ، فحوّطت التراب حول الماء فتوقف عن الجري وارتوت منه وأروت ابنها وأرضعته ، ومرّت سابلة من جرهم فرأوا طيراً في الجوّ هناك وتحقّقوا من أمره فرأوا الماء والتقوا هاجر ووليدها ، فاستأذنوها أن يسكنوا معها فأذنت لهم ، ولمّا نشأ إسماعيل وتزوّج منهم زارهم إبراهيم وأمره الله ببناء البيت فبناه مع ابنه إسماعيل وأراه الله مناسك الحجّ ودعا ربّه وهو يبني البيت وقال: ﴿ ربّنا واجعلنا مُسلمين لك ومن ذريتنا أمّة مُسلمة لك ﴾ وقال: ﴿ واجعلني مقيم الصلاة ومن

ذريتي ﴾ ، و وصّىٰ بها بنيه ﴿ إنّ الله اصطفىٰ لكم الدين فلا تموتُنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾ ، ثم ذهب إبراهيم مع ابنه إسماعيل لأداء مناسك الحجّ ، فلما عادا من عرفات إلىٰ منىً وأخبر إبراهيم إسماعيل بأنّه رأىٰ في المنام أنّه يذبحه ، ورؤيا الأنبياء نوع من الوحي ، قال إسماعيل : ﴿ يا ابتِ أفعل ما تؤمر ستجدُني إن شاء الله من الصابرين ﴾ فلمّا ألقاه إبراهيم ﷺ علىٰ وجهه باشر بالذبح وأمرّ السكين علىٰ رقبة إسماعيل ، لم تحزّ رقبته ، فناداه الله : ﴿ يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا ﴾ ؛ لأنّه كان قد رأىٰ أنّه يذبحه ولم ير أنّه قد ذبحه وقد فعل ما رآه في المنام ، و فَداه الله بكبش أحضره جبرائيل ، فذبحه إبراهيم وأتمّ مناسك الحجّ ، وبعد قيام إبراهيم بكلّ ما سبق وما يأتي ، جعله الله إماماً للناس ، وأمره الله أن ينادي بالحجّ ليأتي النّاس علىٰ كلّ جمل ضامر من كل طريق بعيد ، وكذلك أصبح الحجّ إلىٰ بيت الله الحرام أساس شريعة إبراهيم الحنيفة وعماد ملته التي قال الله في شأنها : ﴿ واتّبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً ﴾ .

و بعد اجتياز خليل الله إبراهيم المراحل المذكورة جعله الله إماماً للناس و قال سبحانه : ﴿ و إِذِ ابتَلَى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إنّي جاعِلُكَ للنَّاسِ إماماً قالَ وَ مِن ذُرِّيَّتي قالَ لاَ يَنَالُ عَهْدي الظَّالِمينَ ﴾ .

وجدنا في سيرة إبراهيم ﷺ ظاهرتين خاصتين به من بين الأنبياء والرسل :

أ ـ خصيصة إكرام الضيف والاهتمام بإطعامه كما أخبر الله عنه وقال : ﴿ فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ ﴾ أي بادر بتهيئة الطعام لضيوف لا يعرفهم ، ويظهر أنّ إطعامه للضيف كانت ميزة تلازمه ولم يقتصر علىٰ هؤلاء الضيوف .

ب ـ اهتمامه بتعمير البيت ودعوته الناس لأداء مناسك الحجّ حيث قال تعالىٰ : ﴿ وطهِّر بيتيَ للطائفينَ والقائمينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ * وأذِّن في النَّاسِ بِالحَجِّ

يأتُوك رجالاً وعلىٰ كُلِّ ضامرٍ يأتين من كُلِّ فجٍّ عميقٍ ﴾ .

و سوف ندرس في أوصياء إبراهيم ﷺ من ورث عنه هاتين الخصيصتين الظاهرتين في حياته إن شاء الله تعالىٰ .

المشهد الرابع - إبراهيم مع فرعين من ذريته ﷺ .

بعد نقل إبراهيم ﷺ إسماعيل وهاجر إلىٰ مكة وبنائه مع ولده إسماعيل البيت وأدائه مناسك الحجّ ، وعودته إلىٰ موطنه في الشام ونزول العذاب علىٰ قوم لوط ، وهب الله له إسحاق وحفيده يعقوب نافلة له وجعلهم الله أئمة يهدون بأمره ، و أوحىٰ إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

و من ثمّ تفرّعت النبوّة والوصاية بعد إبراهيم الخليل ﷺ إلىٰ فرعين :

الفرع الأول : فرع ابنه اسماعيل وأولاده في مكّة وهم أوصياء إبراهيم علىٰ شريعته الحنيفة .

الفرع الثاني : فرع ابنه إسحاق وابنه يعقوب وأولاده في فلسطين الذين خصّهم الله بشريعة تكاملت في شريعة موسىٰ ﷺ .

و سوف ندرس بإذنه تعالىٰ أخبار كلّ واحد من الفرعين علىٰ حدة ، ونبدأ بدراسة أخبار فرع الابن الأصغر إسحاق ﷺ وبنيه في ما يأتي :

أخبار إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وابنه يعقوب عليه السلام

إسرائيل وبنيه بني إسرائيل

لم نجد في أخبار إسحاق ما يدلّ علىٰ انّه خُصّ بشريعة دون شريعة أبيه إبراهيم ، وإنما وجدنا ذلك في ما أخبر الله عن ابنه يعقوب والملقّب بإسرائيل كما سندرسه بإذنه تعالىٰ في ما يأتي :

يعقوب بن إسحاق ﷺ

* لقبه اسرائيل وبنوه بنو إسرائيل .
* تشريع الله جل اسمه لهم أحكاماً استثنائية .
* آيات كريمة .
* شرح الكلمات .
* تفسير الآيات .

يعقوب بن إسحاق الملقب بإسرائيل وبنوه بنو إسرائيل

وما شرّع الله لهم من أحكام

قال الله سبحانه وتعالىٰ :

أ ـ في سورة آل عمران :

﴿ كُلُّ الطَّعامِ كان حلاً لبني إسرائيلَ إلّا ما حرَّم إسرائيلُ علىٰ نفسِه من قبلِ أن تُنزَّل التَّوراةُ قُل فأتُوا بالتَّوراةِ فاتلُوها إن كُنتُم صادقِينَ ﴾ [الآية: ٩٣].

ب ـ في سورة الإسراء :

﴿ وآتينا مُوسىٰ الكِتاب وجعلناهُ هُدىً لبني إسرائيل ... ﴾ [الآية: ٢].

ج ـ في سورة السجدة :

﴿ ولقد آتينا مُوسىٰ الكتابَ فلا تكُن في مريةٍ من لقائِه وجعلناهُ هُدىً لبني إسرائيل ﴾ [الآية: ٢٣].

د ـ في سورة المائدة :

﴿ إنّا أنزلنا التَّوراةَ فيها هُدىً ونُورٌ يحكُمُ بها النَّبيُّون الّذين أسلموا للَّذين هادوا والرَّبانيُّون والأحبارُ بما أستُحفظوا من كتابِ اللهِ وكانوا عليه شُهداءَ فلا تخشوُا النّاسَ وأخشونِ ولا تشترُوا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكُم بما أنزل اللهُ فأُولئك هُمُ الكافرُونَ ﴾ [الآية: ٤٤].

هـ ـ في سورة الصف :

﴿ وإذ قال مُوسىٰ لقومِه يا قومِ لمَ تُؤذُونني وقد تعلمُونَ أنّي رسُولُ اللهِ إليكُم ﴾ [الآية: ٥].

و ـ في سورة آل عمران :

﴿ ... يا مريمُ إنَّ الله يُبشِّرُكِ بكلمةٍ منهُ آسمُهُ المسيحُ عيسىٰ ابنُ مريم وجيهاً في الدُّنيا والآخرةِ ومن المُقربينَ * ... * ورسولاً إلىٰ بني إسرائيلَ ... ﴾

[الآيتان : ٤٥ و ٤٩].

ز ـ في سورة الصف أيضاً :

﴿ وإذ قال عيسىٰ ابنُ مريمَ يا بني إسرائيل إنِّي رسُولُ اللهِ إليكم ... ﴾

[الآية : ٦].

شرح الكلمات :

أ ـ هادُوا :

هاد هنا بمعنىٰ دان باليهودية .

ب ـ الربّانيون :

الربّاني : العالم الراسخ في علوم الدين .

ج ـ الأحبار :

جمع الحبر بكسر الحاء وفتحها : العالم ، وأطلق الحبر في القرآن علىٰ علماء أهل الكتاب .

د ـ كلمة :

الكلمة هنا بمعنىٰ المخلوق الّذي خلقه الله تعالىٰ بكلمة (كن) أو نحوها دون توسط المألوف من أسباب الخلق .

هـ ـ المسيح :

لقب نبي الله عيسىٰ ﷺ لأنّه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ ، وقالوا غير ذلك

ولكنّا فضّلنا هذا المعنىٰ علىٰ غيره مما ذكروا في معنىٰ المسيح .

تفسير الآيات :

أحكام استثنائية لقوم في ظروف استثنائية :

عاش بنو إسرائيل في ديار الغربة بمصر حياة الذلّة والقلّة : استعبدهم الأقباط وقتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم ، ولمّا نجّاهم الله من مصر كان عليهم أن يقاتلوا أقواماً طغاة جبابرة في الشام بعد أن تجسّدت فيهم روح الاستضعاف والخوف والجبن والهلع علىٰ أثر استعبادهم في مصر نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل ، فاقتضت الحكمة الربانية أن يشرّع لحياتهم نظاماً يقوّي فيهم روح الاعتماد علىٰ النفس والاعتزاز بآبائهم الأنبياء والرسل وأنّهم متميّزون عن الأقوام الكافرة الطاغية الذين يقاتلونهم ، وكان أوّل ما شرّع لهم في هذا السبيل تحريم ما حرّم أبوهم نبي الله إسرائيل علىٰ نفسه ليشعروا بامتياز نبوّة إسرائيل نبي الله ، ثم أتمّ التشريع الخاص لهم بإنزال التوراة علىٰ موسىٰ والانجيل علىٰ عيسىٰ ، وسوف نذكر بعض ذلك بعد دراسة خبر شُعيب حفظاً لتسلسل أخبار الأنبياء حسب تسلسل زمانهم .

شعيب عليه السلام

* سيرته مع قومه في آيـات كريمة.
* شرح الكلمات.
* تفسير الآيات.

قال الله سبحانه وتعالىٰ :

أ ـ في سورة هـود :

﴿ وإلىٰ مدينَ أخاهُم شُعيباً قال يا قومِ اعبُدوا اللهَ ما لكُم من إلهٍ غيرُهُ ولا تنقُصُوا المكيالَ والميزانَ إنّي أراكُم بخيرٍ وإنّي أخافُ عليكُم عذابَ يومٍ مُحيطٍ * ويا قومِ أوفُوا المكِيال والميزان بالقسطِ ولا تبخسُوا النَّاسَ أشياءَهُم ولا تعْثوا في الأرضِ مُفسدينَ * بقيَّةُ اللهِ خيرٌ لكُم إن كُنتُم مُؤمنينَ وما أنا عليكُم بحفيظٍ * قالوا يا شُعيبُ أصلاتُك تأمُرُك أن نترُكَ ما يعبُدُ آباؤنا أو أن نفعلَ في أموالِنا ما نشاءُ إنّك لأنت الحليمُ الرَّشيدُ * قال يا قومِ أرأيتُم إن كُنتُ على بينةٍ من ربّي ورزقني منهُ رزقاً حسناً وما أُريدُ أن أُخالفَكُم إلىٰ ما أنهاكُم عنهُ إن أُريد إلّا الإصلاحَ مَا استطعتُ وما توفيقي إلّا باللهِ عليه توكّلتُ وإليه أُنيبُ * ويا قومِ لا يجرمنَّكُم شقاقي أن يُصيبَكُم مثلُ ما أصاب قومَ نُوحٍ أو قوم هُودٍ أو قوم صالحٍ وما قومُ لُوطٍ منكُم ببعيدٍ * واستغفروا ربَّكُم ثُمَّ توبوا إليه إنّ ربّي رحيمٌ ودُودٌ * قالُوا يا شُعيبُ ما نفقهُ كثيراً ممّا تقُولُ وإنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطُك لرجمناك وما أنت علينا بعزيزٍ * قال يا قومِ أرهطي أعزُّ عليكُم من اللهِ واتَّخذتُمُوهُ وراءكُم ظهريّاً إنّ ربّي بما تعملون مُحيط * ويا قومِ اعملوا علىٰ مكانتِكُم إنّي عاملٌ سوف تعلمُون من يأتيه عذابٌ يُخزيه ومن هُو كاذبٌ وارتقبوا إنّي معكُم رقيبٌ * ولمّا جاء أمرُنا نجّينا شُعيباً والّذين آمنوا معهُ برحمةٍ منّا وأخذت الّذين ظلمُوا الصَّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمينَ * كأن لم يغنوا فيها ألا بُعداً لمدينَ كما بعدت ثمُودُ ﴾ [الآيات : ٨٤ ـ ٩٥].

ب ـ في سورة الأعراف :

﴿ قال الملأُ الّذين آستكبروا من قومِه لنُخرجنَّك يا شُعيبُ والّذين آمنوا معك من قريتِنا أو لتعُودُنَّ في ملَّتنا قال أولو كُنّا كارهينَ * قد افترينا علىٰ اللهِ كذباً إن عُدنا في ملَّتِكُم بعد إذ نجّانا اللهُ منها ... ﴾ [الآيتان : ٨٨ ـ ٩٨] .

شرح الكلمات :

أ ـ مَدْيَن :

مَدْيَن : اسم قوم شُعيب وباسمهم سُمّيت مدينتهم ، وفي معجم البلدان أنّها علىٰ بحر القلزم ـ البحر الأحمر ـ محاذية لتبوك نحو ست مراحل .

وقيل : إنّها بين وادي القرىٰ والشام ، ووادي القرىٰ مجموعة قرىً كانت قريبة من المدينة .

ب ـ لا يَجْرِمَنَّكُم :

جرم الشيء : كسب المكروه ، وجرمه الشيء أكسبه المكروه ، وجرمه : حمله عليه .

ج ـ شِقاقي :

شاقّه شِقاقاً : خالفه وعاداه .

د ـ تَعثوا :

عثا : أفسد أشدّ الإفساد .

هـ ـ بقيّة الله :

البقيّة اسم للشيء الباقي ، والبقيّة هنا بمعنىٰ طاعة الله وما ادُّخر عنده من ثواب .

العبرة في تفسير الآيات :

أرسل الله شُعيباً إلىٰ مَدْيَن بشيراً ونذيراً فقام بدعوتهم إلىٰ العمل بشريعة إبراهيم ﷺ الحنيفة ، وكان قومه أهل مدين كسائر الأُمم المشركة بالله التي تتّصف بذمائم الأخلاق موبوءون بأفسد الأخلاق الذميمة ، وكان أهل مدين قوم شعيب يبخسون الناس أشياءهم وينقصون المكيال والميزان ويرون ذلك من حقّهم لأنّهم أحرار في التصرّف بأموالهم ، ولم تنفعهم دعوة شعيب ونصحه وتنبيههم إلىٰ ما أصاب الأقوام المشركة قبلهم من العذاب ؛ وقالوا له : ﴿لَنُخرجنَّك ومن ٱتّبعك من قريتنا أو لتعُودُنَّ في ملَّتنا﴾ ؛ إذاً فإنّ قوم شعيب كانوا يرون لأنفسهم الحريّة في ظلم الآخرين وهضم حقوقهم ولا يرون ذلك لشعيب والمؤمنين في عبادتهم لله وحده وترك الأخلاق الذميمة ، وتارة يستهزئون بشعيب ويقولون له : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو نفعل في أموالنا ما نريد ؟ ويزدادون عتوّاً وظلماً ويقولون له : لو لا رهطك فينا لرجمناك ، ومن هذه الآية وممّا نعلم من نسب خاتم الأنبياء ﷺ ندرك أنّ الله كان يصطفي رسله من أعزّ رهط في قومه ليدافع رهطه عنه في تبليغه رسالات الله .

ولما كذّبوه وٱستضعفوه وسائر المؤمنين معه استحقّوا العذاب فأهلكهم بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، وأرسل الله بعد شعيب موسىٰ ﷺ وسائر انبياء بني اسرائيل كما نورد اخبارهم في ما يأتي باذنه تعالىٰ :

اخبار بني اسرائيل وانبيائهم
وتفصيل حالاتهم الاستثنائية
في القرآن الكريم

* ولادة موسىٰ وتبني فرعون اياه .
* آيات الله التسع .
* بنو اسرائيل في سيناء .
* داود وسليمان عليهما السلام .
* زكريا ويحيىٰ عليهما السلام .
* عيسىٰ بن مريم عليه السلام .

المشهد الأول

ولادة موسى وتبني فرعون إيّاه

قال الله سبحانه وتعالىٰ في سورة القصص :

أ ـ ﴿ وأوحينا إلىٰ أُم مُوسىٰ أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادُّوهُ إليك وجاعلُوهُ من المُرسلينَ * فالتقطهُ آلُ فرعونَ ليكُون لهُم عدُوّاً وحزناً إنَّ فرعونَ وهامانَ وجُنُودَهُما كانُوا خاطئينَ * وقالت امرأةُ فرعونَ قُرَّتُ عيْنٍ لّي ولك لا تقتُلُوهُ عسىٰ أن ينفعنا أو نتَّخذهُ ولداً وهُم لا يشعُرُونَ * وأصبح فُؤادُ أُمّ مُوسىٰ فارغاً إن كادت لتُبدي به لولا أن رَّبطنا علىٰ قلبها لتكوُنَ من المُؤمنينَ * وقالت لأُختِه قُصّيه فبصُرت به عن جُنُبٍ وهُم لا يشعُرُون * وحرَّمنا عليه المراضعَ من قبلُ فقالت هل أدُلُّكُم علىٰ أهلِ بيتٍ يكفُلُونه لكُم وهُم لهُ ناصحُونَ * فرددناهُ إلىٰ أُمِه كي تقرّعينُها ولا تحزن ولتعلم أنَّ وعدَ الله حقٌّ ولكنَّ أكثرهُم لا يعلمُونَ ﴾[1] [الآيات : ٧ ـ ١٣].

شرح الكلمات :

أ ـ فارغا :

ذاهلاً من الحزن .

ب ـ قصّيه : تتبّعي أثره .

ج ـ فبصرت به عن جُنبٍ : عن بعد .

---

(١) وراجع : سورة طـه : [الآيات : ٣٨ ـ ٤٧].

المشهد الثاني

آيات الله التسع

قال الله سبحانه :

أ ـ في سورة النمل :

﴿ إذ قال مُوسىٰ لأهلِه إنّي آنستُ ناراً سآتيكُم منها بخبرٍ أو آتيكُم بشهابٍ قبسٍ لَّعلَّكُم تصطلُونَ * فلمَّا جاءها نُودي أن بُورك من في النَّارِ ومن حولهَا وسُبحان اللهِ ربِّ العالمين * يا مُوسىٰ إنَّهُ أنا اللهُ العزيزُ الحكيمُ * وألقِ عصاك فلمَّا رءاها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولَّىٰ مُدبراً ولم يُعقّب يا مُوسىٰ لا تخف إنّي لا يخافُ لديَّ المُرسلُون * إلَّا من ظلم ثُمَّ بدَّل حُسناً بعد سُوءٍ فإنّي غفُورٌ رحيمٌ * وأدخل يدك في جيبك تخرُجْ بيضاء من غيرِ سُوءٍ في تسعِ آياتٍ إلىٰ فرعونَ وقومِه إنَّهُم كانُوا قوماً فاسقين ﴾ [الآيات : ٧ ـ ١٢] .

ب ـ في سورة الاعراف :

﴿ ثُمَّ بعثنا من بعدهم مُوسىٰ بآياتنا إلىٰ فرعون وملائه فظلمُوا بها فانُظر كيف كان عاقبةُ المُفسدينَ * وقال مُوسىٰ يا فرعونُ إنّي رسُولٌ من ربِّ العالمينَ * حقيقٌ علىٰ أن لا أقُول علىٰ الله إلَّا الحقَّ قد جئتُكُم ببيّنةٍ من ربّكُم فأرسل معي بني إسرائيلَ * قال إن كُنتَ جئت بآيةٍ فأتِ بها إن كُنت من الصادقينَ * فألقىٰ عصاهُ فإذا هي ثُعبانٌ مُبينٌ * ونزع يدَهُ فإذا هي بيضاءُ للنَّاظرينَ * قال الملأُ من قومِ فرعونَ إنَّ هذا لساحرٌ عليمٌ * يُريدُ أن يُخرجكُم من أرضِكُم فماذا تأمُرُونَ * قالُوا أرجه وأخاهُ وأرسلْ في المدائنِ حاشرينَ * يأتُوك بكُلِّ ساحرٍ

عليم * وجاء السحرةُ فرعونَ قالُوا إنَّ لنا لأجراً إن كنَّا نحنُ الغالبينَ * قال نعم وإنَّكُم لمن المُقرَّبين * قالُوا يا مُوسىٰ إمَّا أن تُلقي وإمَّا أن نَّكُون نحنُ المُلقينَ * قال ألقُوا فلمَّا ألقوا سحرُوا أعيُن النَّاسِ واسترهبُوهُم وجاءوا وبسحرٍ عظيمٍ * وأوحينا إلىٰ مُوسىٰ أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقفُ ما يأفكُونَ * فوقع ألحقُّ وبطل ما كانُوا يعملُونَ * فغُلبُوا هُنالك وأنقلبُوا صاغرين * وأُلقي السحرةُ ساجدينَ * قالُوا آمنَّا بربِّ العالمينَ * ربِّ مُوسىٰ وهارُونَ * قال فرعونُ آمنتُم به قبل أن آذن لكُم إنَّ هذا لمكرٌ مكرتُمُوهُ في المدينة لتُخرجُوا منها أهلَها فسوف تعلمُونَ * لأُقطِّعنَّ أيديكُم وأرجُلكُم من خلافٍ ثُمَّ لأُصلِّبنَّكُم أجمعينَ * قالُوا إنَّا إلىٰ ربِّنا مُنقلبُونَ * وما تنقمُ منَّا إلَّا أن آمنَّا بآياتِ ربِّنا لمَّا جاءتنا ربَّنا أفرغ علينا صبراً وتوفَّنا مُسلمين * وقال الملأُ من قوم فرعونَ أتذرُ مُوسىٰ وقومَهُ ليُفسدُوا في الأرض ويذرَك وآلهتَك قال سنُقتِّلُ أبناءَهُم ونستحيي نساءَهُم وإنَّا فوقهُم قاهرُونَ * قال مُوسىٰ لقومه أستعينُوا بالله وأصبرُوا إنَّ الأرضَ للهِ يُورثُها من يشاءُ من عبادِهِ والعاقبةُ للمُتَّقينَ * قالُوا أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسىٰ ربُّكُم أن يُهلكَ عدُوَّكُم ويستخلفكُم في الأرضِ فينظُر كيف تعملُونَ * ولقد أخذنا آل فرعونَ بالسِّنين ونقصٍ من الثَّمراتِ لعلَّهُم يذَّكَّرُونَ * فإذا جاءتهُمُ الحسنةُ قالُوا لنا هذه وإن تُصبهُم سيئةٌ يطَّيَّرُوا بمُوسىٰ ومن مَّعهُ ألا إنَّما طائرهم عند اللهِ ولكنَّ أكثرهُم لا يعلمُونَ * وقالُوا مهما تأتنا به من آيةٍ لتسحرنا بها فما نحنُ لك بمُؤمنين * فأرسلنا عليهمُ الطُّوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضَّفادعَ والدَّمَ آياتٍ مُفصَّلاتٍ فاستكبروا وكانُوا قوماً مُجرمينَ * ولمَّا وقع عليهمُ الرجزُ قالُوا يا موسىٰ أدعُ لنا ربَّك بما عهد عندك لئن كشفت عنَّا الرِّجزَ لنُؤمننَّ لك ولنُرسلنَّ معك بني إسرائيل * فلمَّا كشفنا عنهُمُ الرجزَ إلىٰ أجلٍ هُم بالغُوهُ إذا هُم

ينكثُون ﴾[١] [الآيات : ١٠٣ـ١٣٥].

ج ـ في سورة الشعراء :

﴿ فأخرجناهُم مّن جنَّاتٍ وعُيُونٍ * وكُنُوزٍ ومقامٍ كريمٍ * كذلك وأورثناها بني إسرائيل * فأتبعُوهُم مُشرقين * فلمَّا ترىٰ الجمعان قال أصحابُ مُوسىٰ إنَّا لمُدركُون * قال كلّا إنَّ معِيَ ربِّي سيهدين * فأوحينا إلىٰ مُوسىٰ أن اضرب بّعصاك البحر فانفلق فكان كُلُّ فرقٍ كالطَّود العظيم * وأزلفنا ثمَّ الآخرين * وأنجينا مُوسىٰ ومن مَّعهُ أجمعين * ثُمَّ أغرقنا الآخرين ﴾ [الآيات : ٥٧ ـ ٦٦].

د ـ في سورة يونس :

﴿ وجاوزنا ببني اسرائيلَ البحرَ فأتبعهم فرعونُ وجنودُه بغياً وعدواً حتىٰ إذا أدركه الغرقُ قال آمنت أنه لا إله إلّا الذي آمنت به بنو إسرائيلَ وأنا من المسلمين * الآن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدينَ * فاليوم ننجّيك ببدنِك لتكونَ لمنْ خلفكَ آيةً وإن كثيراً من الناسِ عن آياتِنا لغافلونَ ﴾ [الآيات : ٩٠ـ٩٢].

المشهد الثالث ـ بنو اسرائيل في سيناء :

أخبار طغيان بني إسرائيل في زمان موسىٰ ﷺ وما بعده :

أ ـ في سورة الأعراف :

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيلَ البحرَ فأتوا علىٰ قومٍ يعكُفُونَ علىٰ أصنامٍ لهُم

---

(١) وراجع : سورة الانبياء [الآيات : ١٠٠ ـ ١٠٤]، وسورة الشعراء : [الآيات : ١٠ ـ ٥٥] وسورة طه : [الآيات : ٩ ـ ٢٤].

قالُوا يا موسىٰ ٱجعل لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ قال إنَّكُم قومٌ تجهلُونَ * إنّ هؤلاء مُتبَّرٌ ما هُم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملونَ * قال أغير الله أبغيكُم إلهاً وهُو فضَّلكُم علىٰ العالمينَ * ... * وقطَّعناهُمُ ٱثنتي عشرة أسباطاً أُمماً وأوحينا إلىٰ مُوسىٰ إذ ٱستسقاهُ قومُهُ أن ٱضرب بعصاك الحجرَ فانبجست منهُ ٱثنتا عشرةَ عيناً قد علم كُلُّ أُناسٍ مشربَهُم وظلَّلنا عليهمُ الغمامَ وأنزلنا عليهمُ المنَّ والسَّلوىٰ كُلُوا من طيِّباتِ ما رزقناكُم وما ظلمُونا ولكن كانوا أنفُسهم يظلمونَ * وإذ قيل لهُم ٱسكُنوا هذه القريةَ وكُلوا منها حيثُ شئتُم وقُولوا حِطَّةٌ وادخُلوا البابَ سُجَّداً نغفرْ لكُم خطيئاتِكُم سنزيدُ المُحسنينَ * فبدَّل الَّذين ظلموا منهُم قولاً غير الَّذي قيل لهُم فأرسلنا عليهم رجزاً من السَّماء بما كانوا يظلمون * واسألهُم عن القرية الَّتي كانت حاضرةَ البحرِ إذ يعدُون في السَّبتِ إذ تأتيهم حيتانُهُم يومَ سبتهم شُرَّعاً ويوم لا يسبتُون لا تأتيهم كذلك نبلُوهُم بما كانوا يفسُقُونَ * ... * فلمّا عتوا عن ما نُهُوا عنهُ قُلنا لهُم كونوا قردةً خاسئينَ ﴾ [الآيات: ١٣٨ـ ١٤٠ و ١٦٠ ـ ١٦٤ و ١٦٦].

ب ـ في سورة طه:

﴿ يا بني إسرائيلَ قد أنجيناكُم من عدُوِّكُم وواعدناكُم جانبَ الطُّورِ الأيمنَ ونزَّلنا عليكُمُ المنَّ والسَّلوىٰ * كُلوا من طيِّباتِ ما رزقناكُم ولا تطغوا فيه فيحلَّ عليكُم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ * وإنّي لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثُمَّ ٱهتدىٰ * وما أعجلك عن قومِك يا موسىٰ * قال هُم أُولاءِ علىٰ أثري وعجلتُ إليك ربِّ لترضىٰ * قال فإنّا قد فتنّا قومَك من بعدِك وأضلَّهُمُ السّامريُّ * فرجع موسىٰ إلىٰ قومِه غضبانَ أسفاً قال يا قومِ ألم يعدكُم ربّكُم وعداً حسناً أفطال عليكُمُ العهدُ أم أردتُم أن يحلَّ عليكُم غضبٌ من ربِّكُم فأخلفتُم

موعدي * قالوا ما أخلفنا موعدَك بملكِنا ولكنّا حُمّلنا أوزاراً من زينةِ القومِ فقذفناها فكذلك ألقىٰ السّامريُّ * فأخرج لهم عجلاً جسداً لهُ خُوارٌ فقالوا هذا إلهُكُم وإلهُ مُوسىٰ فنسيَ * أفلا يرون ألّا يرجعُ إليهم قولاً ولا يملكُ لهُم ضرّاً ولا نفعاً * ولقد قال لهُم هارونُ من قبلُ يا قومِ إنّما فُتنتُم بهِ وإنّ ربّكُمُ الرّحمنُ فاتّبعُوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفينَ حتّىٰ يرجعَ إلينا مُوسىٰ * قال يا هارُونُ ما منعك إذ رأيتهُم ضلّوا * ألّا تتّبعنِ أفعصيت أمري * قال يابن أُمَّ لا تأخُذ بلحيتي ولا برأسي إنّي خشيتُ أن تقُول فرّقت بين بني إسرائيلَ ولم ترقُب قولي * قال فما خطبُك يا سامريُّ * قال بصُرتُ بما لم يبصُروا به فقبضتُ قبضةً من أثرِ الرّسُولِ فنبذتُها وكذلك سوّلت لي نفسي * قال فاذهب فإنّ لك في الحياةِ أن تقول لا مساس وإنّ لك موعداً لن تُخلَفهُ وانظُر إلىٰ إلهِك الّذي ظلت عليه عاكفاً لنُحرّقنّهُ ثُمّ لننسفنّهُ في اليمّ نسفاً * إنّما إلهكُمُ اللهُ الّذي لا إله إلّا هو وسع كُلّ شيءٍ علماً ﴾ [الآيات: ٨٠ـ٩٨].

ج ـ في سورة البقرة:

﴿ وإذ واعدنا مُوسىٰ أربعينَ ليلةً ثمّ اتّخذتُمُ العجلَ من بعدِهِ وأنتُم ظالمون * ... * وإذ قال موسىٰ لقومه يا قوم إنّكم ظلمتُم أنفُسَكُم باتّخاذكُمُ العجل فتُوبوا إلىٰ بارئكُم فاقتُلوا أنفُسكُم ذلكُم خيرٌ لكم عند بارئِكم فتاب عليكُم إنّهُ هُو التّوّابُ الرّحيمُ * وإذ قُلتُم يا موسىٰ لن نُؤمنَ لك حتّىٰ نرىٰ اللهَ جهرةً فأخذتكُمُ الصّاعقةُ وأنتُم تنظُرونَ * ثُمّ بعثناكُم من بعد موتِكُم لعلّكم تشكرونَ * وظلّلنا عليكُمُ الغمامَ وأنزلنا عليكُمُ المنّ والسّلوىٰ كُلُوا من طيّباتِ ما رزقناكُم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفُسهم يظلمونَ ﴾ [الآيات: ٥١ و ٥٤ـ٥٧].

د ـ في سورة الأعراف ـ أيضاً ـ:

﴿ واختار موسىٰ قومَهُ سبعينَ رجُلاً لميقاتِنا فلمّا أخذتهُمُ الرَّجفةُ قال ربِّ لو شئت أهلكتهُم من قبلُ وإيّاي أتُهلكُنا بما فعل السُّفهاءُ منّا إن هي إلّا فتنتُك ... ﴾ [الآية: ١٥٥].

هـ ـ في سورة البقرة ـ أيضاً ـ:

﴿ وإذ قُلتُم يا موسىٰ لن نصبرَ علىٰ طعامٍ واحدٍ فادعُ لنا ربَّك يخرجْ لنا ممّا تُنبتُ الأرضُ من بقلِها وقثّائِها وفُومِها وعدسِها وبصلِها قال أتستبدلُونَ الّذي هُو أدنىٰ بالّذي هُو خيرٌ اهبطوا مصراً فإنَّ لكُم ما سألتُم وضُربت عليهمُ الذِّلّةُ والمسكنةُ وباؤُوا بغضبٍ من اللهِ ذلك بأنّهُم كانوا يكفُرون بآياتِ اللهِ ويقتُلُونَ النَّبيِّين بغير الحقِّ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدُونَ ﴾ [الآية: ٦١].

و ـ في سورة المائدة:

﴿ وإذ قال موسىٰ لقومِه يا قومِ اذكُروا نعمةَ اللهِ عليكُم إذ جعل فيكُم أنبياءَ وجعلكُم مُلُوكاً وآتاكُم ما لم يُؤتِ أحداً من العالمينَ * يا قومِ ادخُلوا الأرضَ المُقدَّسةَ الّتي كتب اللهُ لكُم ولا ترتدّوا علىٰ أدبارِكُم فتنقلبوا خاسرينَ * قالوا يا مُوسىٰ إنَّ فيها قوماً جبّارينَ وإنّا لن ندخُلَها حتّىٰ يخرُجوا منها فإن يخرُجوا منها فإنّا داخلونَ * قال رجُلانِ من الّذين يخافون أنعم اللهُ عليهما ادخُلوا عليهمُ البابَ فإذا دخلتُموه فإنّكُم غالبونَ وعلىٰ اللهِ فتوكّلوا إن كُنتُم مؤمنينَ * قالوا يا موسىٰ إنّا لن ندخُلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا هاهُنا قاعدونَ * قال

ربِّ إنّي لا أملكُ إلّا نفسي وأخي فافرُق بيننا وبين القومِ الفاسقينَ * قال فـإنّها مُحرَّمةٌ عليهم أربعينَ سنةً يتيهون في الأرضِ فلا تأسَ علىٰ القومِ الفـاسقينَ ﴾ [الآيات: ٢٠ـ٢٦].

ز – في سورة القصص:

﴿ إنَّ قارونَ كانَ مِنَ قَوْمِ مُوسىَ فَبَغى عَلَيْهِم وَ آتَيْناهُ مِنَ الكُـنوزِ مَـا إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنوأُ بِالعُصْبَةِ أُولى القُوَّةِ إذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَح إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَرِحينَ * وَ ابتَغِ فيما ءاتَاكَ اللهُ الدّارَ الآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنيا وَ أَحْسِن كَما أَحْسَنَ اللهُ إلَيْكَ وَ لاَ تَبْغِ في الأَرضِ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفسدين * قال إنَّما أُوتيتُهُ عَلى عِلمٍ عندي أوَ لَمْ يَعْلَمْ أنّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ القُرونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنهُ قُوَّةً وَ أكْثَرُ جَمعاً وَ لا يُسئَلُ عَن ذُنوبِهِمُ المُجرِمونَ * فَخرجَ على قَومِهِ في زينَتِهِ قالَ الَّذينَ يُريدونَ الحَياةَ الدُّنيا يا لَيْتَ لَنا مِثلَ ما أُوتي قارونُ إنَهُ لَذُو حَظٍّ عَظيمٍ * وَ قالَ الَّذينَ أُوتوا العِلمَ وَيْلَكُم ثَوابُ اللهِ خَيرٌ لِمَن ءامَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُـلَقّاها إلاّ الصّابِرونَ * فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرونَهُ مِن دونِ اللهِ وَ ما كانَ مِنَ المُنتَصرينَ ﴾ [الآيات: ٧٦ – ٨١].

شرح الكلمات :

١ ـ جيبك :

جيب القميص : ما ينفتح علىٰ النحر .

٢ ـ ملائه :

الملأ : اشراف القوم و وجوههم و ربما اطلق علىٰ الجماعة بـجملتهم و لا يخصّ بالاشراف .

٣ ـ ارجه :

أرجأ الامر : أخره وأجَّله ، وارجه وأخاه : أخِّر أمرهما .

٤ ـ حاشرين :

حشرهم : جمعهم ، وحاشرين : جامعين يجمعون السحرة .

٥ ـ تلقف :

لقف الطعام : بلعه ، وتلقف : تَبْلعَ ما صنعه السحرة .

٦ ـ يأفكون :

أَفِك يافَكُ : كَذِبَ وافترىٰ : ويأفِكون : يقلبونه عن وجهه .

٧ ـ صاغرين : اذلّاء .

٨ ـ من خِلاف :

قطع الايدي والارجل من خلاف : قطع اليد اليمنىٰ والرجـل اليسـرىٰ أو بالعكس .

٩ ـ افرغ :

افرغ الله الصبر علىٰ القلوب : أنزَله عليها .

١٠ ـ السِنين :

جمع السَّنة : الجدب والشِدّة يقال : اصابتهم السّنة .

١١ ـ يطّيروا ، وطائرهم معهم :

تطير : تشاءم ، والطائر هنا : شؤمهم وخيرهم وشرهم . ومعهم اي كل ذلك من انفسهم وليس من غيرهم .

١٢ ـ الطوفان :

المطر الذي طاف بهم .

١٣ ـ الجراد :

أي اكل الجراد كل ما كان عندهم من النبت والشجر .

١٤ ـ القُمَّل :

قالوا في معناه : دويبة من جنس القردان . صغار الذباب والقَمْل .

١٥ ـ الرجز : العذاب .

١٦ ـ ينكثون : ينقضون عهدهم .

١٧ ـ الطود : الجبل العظيم الصاعد في السماء .

١٨ ـ ازلفنا : ادنيناهم وقرّبناهم من موسىٰ وقومه ليروهم ويتبعوهم حتىٰ يغرقوا .

١٩ ـ متبّر :

تبّره : اهلكه ، ومُتبّر : مُهلَكٌ .

٢٠ ـ اسباطاً :

الاسباط : القبائل كل قبيلة من نسل رجل .

٢١ ـ انبجست : انفجرت .

٢٢ ـ المَن و السلوىٰ :

المن : فسّر بأنه ندىٰ يشبه العسل الجامد ينزل من السماء علىٰ شجر أو حجر ينعقد كالأقراص .

و السلوىٰ : طائر صغير من رتبة الدجاجيات يدعىٰ بالسمان يستوطن البحر ويهاجر .

٢٣ ـ حطّة : حط الله وزره : وضعه عنه وقولوا حطّة : اي قولوا ربّنا حُطّ عنا وزرنا وذنوبنا حطّاً .

٢٤ ـ يعدون : يظلمون .

٢٥ ـ بقلها وقثائها وفومها : بقلها : اطائب الخضر التي تؤكل كما هي ، القثاء نوع من البطيخ شبيه الخيار وفومها : الحنطة أو الخبز أو الثوم .

٢٦ ـ لا تأسَ علىٰ القوم : لا تحزن عليهم .

٢٧ ـ عتوا : استكبروا وجاوزوا الحدّ .

٢٨ ـ شُرّعا : ظاهرة علىٰ الماء .

٢٩ ـ خاسئين : اذلاّء مطرودين .

٣٠ ـ خوار : خار الثور والعجل خواراً : صاح .

٣١ ـ لا مساس : مسّه وماسّه مساساً اجرىٰ يده عليه من غير حائل ولا مساس هنا المعنىٰ لا تمسّني .

٣٢ ـ يعكفون وعاكفين :

عكف في المكان : اقام فيه ولزمه ، وفي المسجد : اقام فيه بنيّة العبادة .

٣٣ ـ نبذتها : طرحتها .

٣٤ ـ سوّلت لك نفسك : اغرتك وزينت لك العمل .

٣٥ ـ ننسفنه : نسفت الريح التراب فرّقته وذرته ، والمعنىٰ هنا نذريه في البحر .

٣٦ ـ فتنتك : اختبارك .

٣٧ ـ المسكنة : الفقر والضعف .

٣٨ ـ لن نبرح : لن نزول عن عبادة العجل .

٣٩ ـ لم ترقب : لم تحفظ .

٤٠ ـ خطبك : حالك وشأنك .

مواضع العبرة في تفسير الآيات :

كان فرعون يذبح الذكور من مواليد بني اسرائيل لما بلغه انّه يولد فيهم ولد يكون هلاكه وهلاك قومه علىٰ يده ، وشاءت حكمة الربوبيّة ان يربي فرعون بنفسه ذاك الوليد ، وكان ما شاء الله ونشأ الوليد في بيت فرعون حتىٰ بلغ اشدَّه[١] وخرج من قصر فرعون ذات يوم ودخل المدينة علىٰ غفلة منهم فرآى قبطياً وسبطياً[٢] يقتتلان ، فاستغاثه السبطي علىٰ القبطي فوكز القبطي وقضىٰ عليه فأتمر قوم فرعون علىٰ قتله فخرج من مصر خائفاً يترقب ، وسار حتىٰ بلغ مدين فاستاجره نبيّ الله شعيب لرعي ما شيته ثماني سنوات أو عشراً ويزوجه احدىٰ ابنتيه ، واعطاه عصا ورثها من الانبياء لرعي الماشية[٣] فلمّا قضىٰ موسىٰ الاجل سار بأهله حتىٰ بلغ وادي سيناء ، فتراءت له نارٌ في ليلة باردة فسار اليها ليأتي منها بقبس أو يجد علىٰ النار من يرشده الى الطريق فلما أتاها نودي : يا موسىٰ اني انا

(١) بلغ اشده : اكتمل وبلغ قوته .
(٢) السبطي من اسباط بني اسرائيل والقبطي من أهل مصر .
(٣) جاء ذلك في الروايات .

الله ربّ العالمين[١] وألقِ عصاك فلمّا رآها تهتز كأنّها جان ولّىٰ مدبرا ولم يُعقّب فناداه الله : يا موسىٰ لا تخف سنعيدها سيرتها الاولىٰ فمدّ يده اليها فعادت كما كانت عصا من خشب ، وقال الله له : وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، اذهب بهما في تسع آيات الى فرعون وقومه قال : رب ارسل معي أخي هارون هو افصح مني لساناً ، قال سنشُدُّ عضدك باخيك اذهبا الى فرعون انه طغىٰ و قولا له قولا ليّنا لعلّه يذّكّر أو يخشىٰ فأْتياه فقولا إنّا رسولا ربّك فأرسل معنا بني إسرائيل و لا تعذّبهم . و بلّغ كليم الله رسالة الله إلى فرعون وملأه و أراهم الله علىٰ يد موسىٰ آياته التسع ، فكذب فرعون وابىٰ وقال : اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسىٰ ؟ فلنأتينك بسحر مثله ، فجمع السحرة في يوم عيد لهم ، فقالوا : يا موسىٰ إمّا ان تلقي و إما ان نكون اوّل من ألقىٰ قال : بل القوا فلمّا القوا سحروا اعين الناس و استرهبوهم و جاءوا بسحر عظيم .

وماجت الساحة في اعين الناس بالحيّات الزاحفة ، فقال الله سبحانه لموسىٰ : ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون ، فلم يبق في ساحة العرض الواسعة اثر مما ألقوا ، عند ذاك مدّ موسىٰ ﷺ يده إلى الثعبان العظيم الذي ابتلع كلّ تلك الحبال والعصيّ فعاد في يده عصا كما كانت . وادرك السحرة ان ابتلاع عصا موسىٰ كل تلكم الحبال والعصيّ وافناءها ابد الدهر ليس من باب السحر بل هو من آيات الله الكبرىٰ ، فالقي السحرة سجّداً قالوا : آمنا بربّ العالمين ربّ موسىٰ وهارون ، قال فرعون : آمنتم به قبل ان آذن لكم لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأُصلّبنّكم قالوا : لا ضير انا الىٰ ربنا منقلبون ، وتوالت علىٰ فرعون انواع العذاب من الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم ، وكلمّا وقع عليهم رجز قالوا

---

(١) جمعنا بين سياق الآيات في سورة القصص والنمل والاعراف وطه والشعراء .

: يا موسىٰ ادع لنا ربّك لئن كشف عنّا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ، وكشف الله عنهم الرجز بعد الرجز بدعاء موسىٰ واذا هم ينكثون العهد ، فاوحىٰ الله الىٰ موسىٰ ان اسر بعبادي فسار بهم ليلاً الىٰ البحر الاحمر ، فاتبعهم فرعون وجنوده وادركوهم صباحاً ، فقال بنو اسرائيل : إنّا لمدركون ، فأمر الله موسىٰ فضرب بعصاه البحر فانفلق عن اثني عشر طريقاً يبسا ، فاتبعهم فرعون وجنوده حتى اذا خرج آخر اسرائيلي من البحر ودخل آخر قبطي فيه اطبقت المياه عليهم اجمعين ، فقال فرعون : آمنت أن لا إله الاّ الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ، فقال له : الآن وقد عصيت من قبل فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية . وصدق الله العظيم فان جسده المحنّط لا يزال في متاحف مصر معروضاً للمشاهدين وكنت ممّن شاهده واعتبر به .

وبعد ان جاوز الله ببني اسرائيل البحر واغرق عدوهم وساروا في صحراء سيناء مرّوا علىٰ قوم يعبدون اصناماً لهم ، فقالوا : يا موسىٰ اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة ، قال : انكم قوم تجهلون ان هؤلاء باطل عملهم ، اغير الله اطلب لكم الهاً وهو فضلّكم علىٰ العالمين ـ في عصرهم ـ؟ بارسال الانبياء منهم وفيهم ، واتم عليهم أنواع النعم ظلل عليهم الغمام يحميهم حر الشمس واطعمهم المنّ والسلوىٰ ، ولكنّهم عصوا امر الله عندما امرهم ان يدخلوا الباب سُجّدا شكراً لله ويقولوا : حطّ ذنوبنا حطّاً ، فدخلوا الباب من ادبارهم وقالوا : حنطة حمراء و ـ ايضاً ـ عصىٰ امر الله منهم سكان القرية جيران البحر الذين نهاهم الله عن صيد السمك يوم السبت حين تأتيهم الاسماك ظاهرة علىٰ الماء ، فعصوا امره واصطادوها يوم السبت فمسخهم الله قردة خاسئين : وبعد ان ملك بنو اسرائيل امرهم في سيناء واصبحوا مجتمعاً انسانياً واحتاجوا شريعة لمجتمعهم واعد الله نبيه موسىٰ جانب جبل الطور

الايمن ان يؤتيه التوراة بعد ثلاثين ليلة وذهب لمناجاة ربّه وخلف في قومه اخاه هارون وأكمل رب العالمين موعده مع موسىٰ بعشر ليالٍ فتمّ ميقات ربّ العالمين أربعين ليلة ، ففتنهم السامري واضلّهم وجمع منهم حُليّ الذهب التي كانوا قد استعاروها من قوم فرعون وأذابها وصنع لهم منها مجسّمة كالعجل والقىٰ في فيه من تراب موطئ حافر فرس جبرائيل ، وكان قد تمثّل بصورة انسان راكب علىٰ فرس عندما هبط علىٰ موسىٰ .

وبسبب ذلك كان يخرج من فم مجسمة العجل صوت يشبه خوار العجل وكان ذلك كل ما امتازت به تلكم المجسّمة ، كذلك سوّلت للسامري نفسه وأغرته بذلك ، فقال له موسىٰ ﷺ : اذهب طريداً في البراري ان مسّك أحد تاخذك واياه الحمىٰ . فتقول لامساس لا تمسّوني ولك بعد ذلك موعد يوم القيامة بعذاب الله ، وانظر الىٰ إلهك الذي عكفت علىٰ عبادته لنحرّقنه بالنار ثم نذريه في البحر ، إن إلهكم الله جل وعلا .

وبعد فناء العجل المعبود وهرب السامري الىٰ البراري ادرك عُبّاد العجل من بني اسرائيل خطأهم ، واستسلموا لأمر الله ليقتلهم المؤمنون الذين لم يعبدوا العجل منهم ، وكان ذلك توبتهم من حوبتهم ، وبعد مباشرتهم بذلك تقبّل الله توبتهم بشفاعة نبيهم موسىٰ ﷺ وايضاً لم يقبل بنو اسرائيل من موسىٰ انه كليم الله وانّه جاءهم منه بالتوراة ، وطلبوا منه ان يشهدوا ذلك ويروه بانفسهم ، فاختار منهم سبعين رجلاً وذهب بهم لجبل الطور ، ولما سمعوا كلام الله قالوا : ارنا الله جهرة فاخذتهم الزلزلة وهلكوا ، فخشي موسىٰ ان لا يصدقه بنو اسرائيل ان أخبرهم بذلك ، فتضرّع الىٰ الله و استجاب الله دعاءه و احياهم .

وايضاً قال لهم موسىٰ ﷺ : يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتبها لكم،

قالوا : يا موسىٰ ان فيها قوماً جبّارين و لن ندخلها ابداً حتىٰ يخرجوا منها فاذهب انت وربّك وقاتلا انا ها هنا قاعدون ، و قال لهم كالب و يوشع : ادخلوا عليهما الباب فانكم غالبون ، وقال موسىٰ : ربّ اني لا املك الاّ نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، فقال الله سبحانه : فانّها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس علىٰ القوم الفاسقين . فتاهوا فيها اربعين سنة يسيرون في بـرد الليل إلىٰ الصباح فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه ، وتوفي في التيه هارون ثم موسىٰ ﷺ و سار بهم وصيّ موسىٰ يوشع و حارب الجبارين الذين كانوا في بلاد الشام و دخلها مع بني اسرائيل . و والىٰ الله ارسال الانبياء من اوصياء شريعة موسىٰ الىٰ بني اسرائيل ، وانتهىٰ العهد الى نبيّ الله داود و سليمان كما نقرأ خبرهما في ما ياتي بإذنه تعالىٰ .

المشهد الرابع

داود وسليمان عليهما السلام

أ ـ في سورة « ص » :

﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب * إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشي والاشراق * والطير محشورةً كل له أوّابٌ * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمةَ وفصلَ الخطابِ * ..... * يا داود انا جعلناك خليفةً في الارضِ فاحكم بين الناس بالحق .... ﴾ [الآيات : ١٧ ـ ٢٠ و ٢٦].

ب ـ في سورة سبأ :

﴿ ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبالُ أوّبي معهُ والطّيرَ وألنَّا لهُ الحديدَ * أن اعمل سابغاتٍ وقدّر في السَّردِ .... ﴾ [الآيتان : ١٠ و ١١].

ج ـ في سورة الانبياء :

﴿ وسخَّرنا مع داوُدَ الجبالَ يُسبّحن والطَّيرَ وكنّا فاعلينَ * وعلَّمناهُ صنعةَ لبُوسٍ لَّكُم لتُحصنكُم مّن بأسكُم فهل أنتُم شاكرُونَ ﴾ [الآيتان : ٧٩ و ٨٠].

د ـ في سورة « ص » :

﴿ ووهبنا لسليمانَ داودَ نعم العبدُ انه أوّابٌ * قال ربِّ اغفر لي وهب لي مُلكاً لّا ينبغي لأحدٍ مّن بعدي إنَّك أنت الوهَّابُ * فسخَّرنا لهُ الرّيحَ تجري بأمرِه رُخاءً حيثُ أصاب * والشَّياطين كُلَّ بنَّاءٍ وغوَّاصٍ * وآخرينَ مُقرَّنين في

الأصفادِ﴾ [الآيات: ٣٤ـ٣٨].

هـ ـ في سورة النمل:

﴿ولقد آتينا داوُد وسُليمان علماً وقالا الحمدُ لله الَّذي فضَّلنا علىٰ كثيرٍ من عبادِه المؤمنينَ * وورث سُليمانُ داوُدَ وقال يا أيُّها النَّاسُ عُلِّمنا منطق الطَّيرِ وأُوتينا من كُلّ شيءٍ إنَّ هذا لهُو الفضلُ المُبينُ * وحُشر لسُليمان جُنُودُهُ من الجنِّ والإنسِ والطَّيرِ فهُم يُوزعُونَ * حتَّىٰ إذا أتوا علىٰ وادِ النَّملِ قالت نملةٌ يا أيُّها النَّملُ ادخُلُوا مساكنكُم لا يحطمنَّكُم سُليمانُ وجُنُودُهُ وهُم لا يشعُرُونَ * فتبسَّم ضاحكاً من قولها وقال ربِّ أوزعني أن أشكُر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلىٰ والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاهُ وأدخلني برحمتِك في عبادِك الصَّالحينَ * وتفقَّد الطَّير فقال مالي لا أرىٰ الهُدهُدَ أم كان من الغائبينَ * لأُعذِّبنَّهُ عذاباً شديداً أو لأذبحنَّهُ أوليأتينِّي بسُلطانٍ مُبينٍ * فمكث غير بعيدٍ فقال أحطتُ بما لم تُحط به وجئتُك من سبإٍ بنبإٍ يقينٍ * إنِّي وجدتُ امرأةً تملكُهُم وأُوتيت من كُلّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيمٌ * وجدتُّها وقومَها يسجُدُون للشَّمسِ من دُون اللهِ وزيَّن لهُمُ الشَّيطانُ أعمالهَم فصدَّهُم عن السَّبيلِ فهُم لا يهتدُونَ * ... * قال سننظُرُ أصدقت أم كُنت من الكاذبينَ * اذهب بّكتابي هذا فألقه إليهم ثُمَّ تولَّ عنهُم فانظُر ماذا يرجعُونَ * قالت يا أيُّها الملأُ إنِّي أُلقي إليَّ كتابٌ كريمٌ * إنَّهُ من سُليمانَ وإنَّهُ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ * ألَّا تعلُوا عليَّ وأتُوني مُسلمينَ * قالت يا أيُّها الملأُ أفتُوني في أمري ما كُنتُ قاطعةً أمراً حتَّىٰ تشهدُونِ * قالُوا نحنُ أُولُو قُوَّةٍ وأُولُو بأسٍ شديدٍ والأمرُ إليك فانظُري ماذا تأمُرينَ * قالت إنَّ الملوك إذا دخلُوا قريةً أفسدُوها وجعلُوا أعزَّةَ أهلها أذلَّةً وكذلك يفعلُونَ * وإنِّي مُرسلةٌ إليهم بهديَّةٍ

فناظرةٌ بم يرجعُ المُرسلُونَ * فلمَّا جاء سُليمانَ قال أتُمدُّونَنِ بمالٍ فما آتانيَ اللهُ خيرٌ ممّا آتاكُم بل أنتُم بهديَّتكُم تفرحُونَ * ارجع إليهم فلنأتينَّهُم بجنُودٍ لَّا قبل لهُم بها ولنُخرجنَّهُم منها أذلَّةً وهُم صاغرُونَ * قال يا أيُّها الملأُ أيُّكُم يأتيني بعرشِها قبل أن يأتُوني مُسلمينَ * قال عفريتٌ من الجنِّ أنا آتيك به قبل أن تقُوم من مقامِك وإنِّي عليه لقويٌّ أمينٌ * قال الَّذي عندهُ علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفُك فلمَّا رآهُ مُستقرّاً عندهُ قال هذا من فضلِ ربِّي ليبلُوني أشكُرُ أم أكفُرُ ومن شكر فإنَّما يشكُرُ لنفسِه ومن كفر فإنَّ ربِّي غنيٌّ كريمٌ * قال نكِّرُوا لها عرشَها ننظُر أتهتدي أم تكُونُ من الَّذين لا يهتدُونَ * فلمَّا جاءت قيل أهكذا عرشُكِ قالت كأنَّهُ هُو وأُوتينا العلمَ من قبلها وكُنَّا مُسلمينَ * وصدَّها ما كانت تَّعبُدُ من دُونِ اللهِ إنَّها كانت من قوم كافرينَ * قيل لها ادخُلي الصَّرحَ فلمَّا رأتهُ حسبتهُ لُجَّةً وكشفت عن ساقيها قال إنَّهُ صرحٌ مُّمرَّدٌ من قواريرَ قالت ربِّ إنِّي ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مع سُليمانَ للهِ ربِّ العالمينَ ﴾ [الآيات: ١٥ ـ ٢٤ و ٢٧ ـ ٤٤].

و ـ في سورة سبأ:

﴿ ولسُليمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شهرٌ ورواحُها شهرٌ وأسلنا لهُ عينَ القطرِ ومن الجنِّ من يعملُ بين يديه بإذنِ ربِّه ومن يزغ منهُم عن أمرِنا نُذقهُ من عذابِ السَّعيرِ * يعملُون لهُ ما يشاءُ من مَّحاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجوابِ وقُدُورٍ رَّاسياتٍ اعملُوا آلَ داوُدَ شُكراً وقليلٌ من عباديَ الشَّكُورُ * فلمَّا قضينا عليه الموتَ ما دلَّهُم علىٰ موتِه إلَّا دابَّةُ الأرض تأكُلُ منسأتهُ فلمَّا خرَّ تبيَّنت الجنُّ أن لَّو كانُوا يعلمُون الغيب ما لبثُوا في العذابِ المهينِ ﴾ .

شرح الكلمات :

أ ـ ذا الايد : آد يئيدُ أيداً : اشتد وقوي ، وذا الأيد صاحب القوة .

ب ـ أوّاب : آب إلىٰ الله : رجع عن ذنبه وتاب ، فهو آئبٌ و أوّاب . والمعنىٰ هنا : رجع الىٰ مرضاة الله .

ج ـ أوّبي : أي رجّعي معه في التسبيح .

د ـ سابغات : سبغ الشيء سبوغا : تم وطال واتسع ، وسابغات أي دروعاً تامّات الصنع .

هـ ـ قدّر في السرد : السرد : نسج الدروع ، ومعنىٰ قدّر في السرد : انسج الدروع متناسبةً مساميرها وتقويها فلا تتقلقل ولا تنفصم .

و ـ رُخاء : ليّنة .

ز ـ مقرّنين في الاصفاد : مقرّنين : مشدودين بعضهم ببعض ، والاصفاد جمع الصفد ، ما يشدّ به . والمعنىٰ : مشدودين بعضهم ببعضٍ في ما شدّوا به .

ح ـ محشورةً : حشرهم : جمعهم وساقهم .

ط ـ يوزعون : وزع الجيش : رتّب فرقه وسوّاهم وصفّهم للحرب .

ي ـ عفريت : أقوى الجانّ واخبثه .

ك ـ صرحٌ ممّردٌ من قوارير : الصرح : البيت المزيّن والبناء العالي ، ويعبّر عنه المعاصرون بـ« العمارات » . وممرّدٌ : مملّسٌ . وقوارير : الزجاج . والمعنىٰ : بناءٌ مزينٌ عالٍ ارضه من زجاجٍ املس .

ل ـ لُجّة : اللّجّة وجمعها اللُجج : الماء الكثير تصطخب امواجه .

م ـ اسلنا له عين القطر : سال المائع : جرىٰ ، والقطر : النحاس المذاب .

والمعنى : اجرينا له عين النحاس المذاب .

ن ـ يزغ عن امرنا : زاغ عن الطريق : عدل ، والمعنى : ومن يـخالف مـن الجنّ امر سليمان نبيّ الله نعذّبه .

س ـ السّعير : النار ولهبها .

ع ـ جفان كالجوابي : جفان ، جمع جفنة : وعاء كبيرٌ للطعام ، والجوابي : حوض كبير . والمعنى : اوعية للطعام كالبئر في سعته .

ف ـ قدور راسيات : قدر راسيةٌ : قدر كبيرةٌ لا يطاق تحويلها من مكانها لكبرها . والراسي : الجبل الثابت الراسخ . ومع كل ذلك الملك والسلطة .

ص ـ دابّة الارض : حشرة الأرضة التي تأكل الخشب .

ق ـ المنسأة : العصا .

تفسير الآيات :

واذكر يا رسول الله عبد الله داود القويّ الأوّاب إلى مرضاة الله إذ سخّر الله له الجبال تسبّح بتسبيحه صباحاً ومساءً والطيور مجتمعه عليه تسبّح معه وقوّى ملكه بالهيبة والجنود وآتاه النبوّة والاصابة في الامور والقـول البـيّن الذي فـيه فيصل الامور ، وليّن في يده الحديد ليعمل منه دروعاً متقنة النسيج ، وهو أول من صنع الدروع للحروب .

ووهب الله له ابنه سليمان وكان اوّابا لمرضاة الله وإنّ سليمان قـال : ربِّ اغفر لي وامنحني ملكاً لا يكون مثله لأحدٍ من بعدي فسـخّر الله الريـح تـطيعه وتجري بامره حيث شاء ، وجعل له جنوداً من الجنّ والانس والطير وعلّمه منطق غير الإنسان ، وسخّر له الجنّة تبني له ما أراد وتغوص في البـحر وتسـتخرج له

اللؤلؤ وبعضهم مقيّدون في الاغلال ، وانّه مرّ بجيشه علىٰ وادي النمل فسمع نملة تنذر النمل وتقول : يا ايّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بذلك ؛ فشكر سليمان ما انعم الله عليه وعلىٰ والديه وتفقّد الطير ولم يرَ الهدهد بين الطير فوق رأسه فقال لأُعذّبنّه أو لأذبحنّه او يأتيني بعذر بيّن لغيبته فلم يمكث زماناً طويلاً اذ جاءه الهدهد يخبره عن سبأ وهم أهل اليمن ، وقال : وجدت امرأة تملكهم ولها سرير ملك عظيم وهي وقومها يسجدون للشمس ولا يسجدون لله ، قال سليمان : سننظر في قولك اصدقت ام انت من الكاذبين ، اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم وابتعد عنهم وانظر ماذا يقولون ، وكان فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ألّا تعلوا عليّ واتوني مسلمين .

يدلّنا هذا الكتاب علىٰ أنّ الاسلام كان اسماً للشرايع السابقة ، وان البسملة كانت مستعملة في شرايعهم ، و لمّا تلقّت الملكة بلقيس الكتاب استشارت قومها في ما تجيب به سليمان فقالوا : نحن اصحاب شجاعة و شوكة و جنود والامر اليك بعد ذلك ، قالت : إنّ الملوك إذا دخلوا بلدة أفسدوها و جعلوا أعزّة اهلها اذلّة وسأُرسل إلىٰ سليمان بهديّة و أنظر ماذا يكون الجواب ، و قال سليمان للرسل الذين حملوا إليه الهدايا ما آتاني الله خير مما آتاكم وردّها إليهم وقال : فلنأتينّهم بجنود لا طاقة لهم بها ولنخرجنّهم من بلدهم اذلّاء . ثم خاطب من حضره من جنوده وقال : من يأتيني بعرشها ؟ قال عفريت ما رد قويّ من الجنّ : ان آتيك بعرشها قبل ان تقوم من مجلسك ، وكان مدّة جلوسه نصف يوم ، وقال الذي عنده علم من الكتاب ـ الكتب المنزلة ـ قيل كان ذلك الشخص وزيره آصف بن برخيا : انا آتيك به قبل ان تحرّك اجفانك فلّما أحضرها أمامه شكر الله على ما انعم عليه وقال : غيّروا هيئة عرشها لنختبر عقلها ، ثم سألوها وقالوا لها : أهذا عرشك ؟

قالت : كأنّه هو . ثم قيل لها : ادخلي القصر وكانت ارضه من زجاج أبيض تحته ماء فظنّته ماء وكشفت عن ساقها في مشيها فأخبروها بانه من زجاج املس تحته ماء واسلمت بلقيس بعد مُشاهدتها ما يعجز البشر عن الاتيان بمثله .

وكذلك اجرىٰ الله لسليمان ﷺ عين النحاس المذاب وكانتِ الجنّة تعمل له ما يشاء من ابنية رفيعة وتماثيل من جذوع الشجر وامثاله ، واوعية للطعام كبيرة عميقة كالبئر وقدور كبيرة لا يطاق تحويلها لكبرها . وصعد ذات يوم سطح قصره وأتّكأ على عصاه مشرفاً علىٰ عمل العاملين له من الجنّ الدائبة في ما سخّرها لعمله فأماته الله كذلك وبقي ايّاماً بهيئة الواقف المشاهد للاعمال ، والجنّة دائبة في عمل ما سخّرها له ولا تعلم بموت سليمان حتىٰ اكلت الارضة عصاه التي كانت من خشب ، فسقط جسده من السطح الىٰ الأرض . وبذلك علم أنّ الجنّة لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا بعد موته في العذاب المهين الشاقّ !

المشهد الخامس ـ زكريا ويحيى :

قال الله سبحانه :

أ ـ في سورة مريم :



﴿ كهيعص * ذكرُ رحمتِ ربّك عبدهُ زكريّا * إذ نادىٰ ربَّهُ نداءً خفيّاً * قال ربّ إنّي وهن العظمُ منّي وٱشتعل الرَّأسُ شيباً ولم أكُن بدُعائك ربّ شقيّاً * وإنّي

خفتُ الموالي من ورائي وكانت أمرأتي عاقراً فهب لي من لَّدُنك وليّاً * يـرثُني ويرثُ من آل يعقُوب وأجعلهُ ربِّ رضيّاً * يا زكريّاً إنَّا نُبشّرُك بغُلامٍ اسمُهُ يحيىٰ لم نجعل لَّهُ من قبلُ سميّاً * قال ربِّ أنَّى يكُونُ لي غُلامٌ وكانت أمرأتي عاقراً وقد بلغتُ من الكبرِ عتيّاً * قال كذلكَ قال ربُّكَ هُو عليَّ هيّنٌ وقد خلقتُكَ من قبلُ ولم تكُ شيئاً * قال ربِّ أجعل لي آيةً قال آيتُك ألَّا تُكلم النَّاسَ ثلاثَ ليالٍ سويّاً * فخرج علىٰ قومه من المحرابِ فأوحىٰ إليهم أن سبّحُوا بُكرةً وعشيّاً * يا يحيىٰ خُذ الكتابَ بقُوَّةٍ وآتيناهُ الحُكمَ صبيّاً * وحناناً من لَّدُنَّا وزكاةً وكـان تـقيّاً * وبـرًّا بوالديّه ولم يكُن جبَّاراً عصيّاً * وسلامٌ عليه يوم وُلد ويوم يمُوتُ ويوم يُـبعثُ حيّاً﴾ [الآيات : ١ ـ ١٥].

ب – في سورة آل عمران

﴿ هُنالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَب لي مِن لَّدنكَ ذُرِّيةً طَيِّبَةً إنَّكَ سَميعُ الدّعاءِ * فَنادَتهُ المَلائِكةُ وَ هُوَ قائمٌ يُصَلّي في المِحرابِ أَنَّ اللهَ يُـبَشِّرُكَ بِـيَحيىَ مُصَدِّقاً بِكَلمَةٍ مِن اللهِ وَ سَيّداً وَ حَصوراً وَ نَبيّاً مِنَ الصّـالحينَ * قـالَ رَبِّ أنّـى يَكونُ لِي غُلامٌ وَ قَد بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَ امرَأَتِي عاقِرٌ قَالَ كَذلكَ اللهُ يَفعَلُ مَا يَشاءُ * قَالَ ربِّ اجْعَل لي ءَاية قَال ءَايَتُكَ ألاَ تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَةَ أيّامٍ إلاَ رَمـزاً وَ اذكُـر رَبّكَ كَثيراً وَ سَبّح بِالعَشِيّ وَ الإبكارِ ﴾ [الآيات : ٣٨ـ ٤١]

شرح الكلمات :

أ ـ اشتعل الرأس شيباً : شبّه سبحانه الشيب في بياضه بالنار وانتشاره في الشعر باشتعالها .

ب ـ عاقراً : امرأة لاتلد .

ج ـ عتيّاً : أسنَّ وكبر أو بلغ اليبس والجفاف .

د ـ سويّاً : أي وانت سليم لا آفة فيك .

هـ ـ فأوحىٰ اليهم : اومأ اليهم .

و ـ خذ الكتاب بقوة : خذ التوراة بجدّ .

ز ـ آتيناه الحكم صبيّاً : آتيناه النبوّة صبيّاً ابن ثلاث سنين .

ح ـ حناناً : رحمة منا عليه .

تفسير الآيات :

بلغ زكريّا الشيخوخة وضعفت عظامه وابيضّ شعره ، فدعا ربّه وقال : اني بلغت الشيخوخة وزوجتي امرأة لاتلد واخاف العاقبة من بني عمي الذين يرثوني من بعدي ، فهب لي ولداً يرثني ويرث آل يعقوب واجعله مرضيّاً عندك ، فاستجاب الله دعاءه وبشّره بولد اسمه يحيىٰ لم يسمّ احد قبله بهذا الاسم ، فقال زكريّا : كيف يولد لي ولد وقد كبرت وجفّ جسدي ويبس وامرأتي عاقر لا تلد ؟ قال الله سبحانه : هو علي هيّن وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ، قال زكريّا ربّ اجعل لي علامة ، فقال له سبحانه : علامة ذلك انك لا تستطيع التكلم ثلاث ليال وانت سالم ، فخرج من محرابه واشار الىٰ قومه ان سبّحوا الله صباحاً ومساءً ، ووهب الله ليحيىٰ الّذي اوحى اليه : يا يحيىٰ خذ التوراة بقوّة وآتاه الله النبوّة وفهم التوراة وهو صبيّ .

المشهد السادس ـ عيسى بن مريم ﷺ :

قال سبحانه :

أ ـ من سورة مريم :

﴿ وآذكُر في الكتابِ مريمَ إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيّاً * فاتَّخذت من دُونهم حجاباً فأرسلنا إليها رُوحَنا فتمثَّل لها بشراً سويّاً * قالت إني أعُوذُ بالرَّحمٰنِ منك إن كُنت تقيّاً * قال إنَّما أنا رسُولُ ربّك لأهب لكِ غُلاماً زكيّاً * قالت أنَّىٰ يكون لي غُلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغيّاً * قال كذلكِ قال ربُّكِ هُو عليَّ هيّنٌ ولنجعلهُ آيةً للنَّاسِ ورحمةً منَّا وكان أمراً مقضيّاً * فحملتهُ فانتبذت به مكاناً قصيّاً * فأجاءها المخاضُ إلىٰ جذعِ النَّخلةِ قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكُنتُ نسياً مَّنسيّاً * فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربُّك تحتك سريّاً * وهُزّي إليك بجذعِ النَّخلةِ تُساقطْ عليك رُطباً جنيّاً * فكُلي واشربي وقرّي عيناً فإمَّا ترينَّ من البشر أحداً فقُولي إنّي نذرتُ للرَّحمٰن صوماً فلن أُكلّم اليوم إنسيّاً * فأتت به قومها تحملُهُ قالُوا يا مريمُ لقد جئت شيئاً فريّاً * يا أُخت هارُون ما كان أبُوك امرأ سوءٍ وما كانت أُمُّكِ بغيّاً * فأشارت إليه قالُوا كيف نُكلّمُ من كان في المهدِ صبيّاً * قال إنّي عبدُ الله آتاني الكتابَ وجعلني نبيّاً * وجعلني مُباركاً أين ما كُنتُ وأوصاني بالصَّلاة والزَّكاة ما دُمتُ حيّاً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبَّاراً شقيّاً * والسَّلامُ عليَّ يوم وُلدتُّ ويوم أمُوتُ ويوم أُبعثُ حيّاً ﴾ [الآيات : ١٦ ـ ٣٣] .

أخبار بني إسرائيل مع عيسى بن مريم ﷺ .

أ ـ في سورة آل عمران :

﴿ إذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ الله يُبشِّرُك بكلمةٍ منهُ اسمُهُ المسيحُ عيسىٰ ابنُ مريمَ وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المُقرَّبينَ ۞ ويُكلّمُ النّاسَ في المهدِ وكهلاً ومن الصّالحينَ ۞ قالت ربِّ أنّىٰ يكونُ لي ولدٌ ولم يمسسني بشرٌ قال كذلكِ اللهُ يخلُقُ ما يشاءُ إذا قضىٰ أمراً فإنَّما يقولُ لهُ كُن فيكُونَ ۞ ويُعلِّمُهُ الكتابَ والحكمةَ والتَّوراةَ والإنجيلَ ۞ ورسولاً إلىٰ بني إسرائيلَ أنّي قد جئتُكُم بآيةٍ من ربّكُم أنّي أخلُقُ لكُم من الطّينِ كهيئةِ الطَّيرِ فأنفُخُ فيه فيكونُ طيراً بإذنِ اللهِ وأُبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وأُحيي الموتىٰ بإذن الله وأُنبّئُكُم بما تأكُلون وما تدَّخرون في بُيُوتِكم إنَّ في ذلك لآيةً لكُم إن كُنتُم مُؤمنينَ ۞ ومُصدّقاً لما بين يديَّ من التَّوراةِ ولأُحلَّ لكُم بعضَ الّذي حُرِّم عليكُم وجئتُكم بآيةٍ من ربّكُم فاتَّقوا اللهَ وأطيعُونِ ۞ إنَّ اللهَ ربّي وربُّكُم فاعبُدوهُ هذا صراطٌ مُستقيمٌ ۞ فلمّا أحسَّ عيسىٰ منهُمُ الكُفرَ قال من أنصاري إلىٰ اللهِ قال الحواريُّونَ نحنُ أنصارُ اللهِ آمنّا باللهِ واشهد بأنّا مُسلمونَ ﴾

[الآيات : ٤٥ ـ ٥٢] .

ب ـ في سورة الصف :

﴿ وإذ قال عيسىٰ بنُ مريمَ يا بني إسرائيلَ إنّي رسُولُ اللهِ إليكُم مُصدّقاً لما بين يديَّ من التّوراةِ ومُبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمُهُ أحمدُ فلمّا جاءهُم بالبيّناتِ قالوا هذا سحرٌ مُبينٌ ﴾ [الآية : ٦].

ج ـ في سورة النساء :

﴿ فبما نقضِهم ميثاقَهُم وكُفرهم بآياتِ اللهِ وقتلهمُ الأنبياءَ بغَير حقٍّ وقولِهم قُلُوبُنا غُلفٌ بل طبع اللهُ عليها بكُفرِهم فلا يُؤمنونَ إلّا قليلاً * وبكُفرِهم وقولِهم علىٰ مريمَ بُهتاناً عظيماً * وقولِهم إنّا قتلنا المسيحَ عيسىٰ ابن مريمَ رسولَ اللهِ وما قتلُوهُ وما صلبُوهُ ولكن شُبِّه لُهم وإنّ الّذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منهُ ما لُهم به من علمٍ إلّا اتّباع الظّنّ وما قتلُوهُ يقيناً * بل رفعهُ اللهُ إليه وكان اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾ [الآيات : ١٥٥ ـ ١٥٨].

شرح الكلمات :

أ ـ الكلمة : معناها : المخلوق الذي خلقه الله تعالىٰ بكلمة « كن » ونحوها دون توسّط المألوف من اسباب الخلق .

ب ـ انتبذت : اعتزلت .

ج ـ زكيّاً : طاهراً من الادناس صالحاً .

د ـ سريّاً : نهراً صغيراً .

هـ ـ الجنيّ : ما جني لساعته من ثمر .

ل ـ فريّا : امراً عجيباً منكراً .

خ ـ الأكمه : الذي يولد مطموس العين .

ط ـ مصدّقا : لمّا جاءت البشارة به في التوراة فكان مجيئه بتلك الصفات تصديق للتوراة .

و ـ بغيّاً : الفاجرة التي تكتسب بفجورها .

تفسير الآيات :

خبر عيسىٰ آخر انبياء بني اسرائيل وامّه مريم في القرآن الكريم .

ان الملائكة نادت مريم وبلغّتها بشارة الله ايّاها بالمسيح عيسىٰ الّذي يخلقه الله بكلمته « كن » دون توسط المألوف من اسباب الخلق ، وانه يبلغ الناس كلام الله من المهد إلىٰ الكهولة . فقالت : ربِّ كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ فبلغها جبرائيل قول الله تعالىٰ لها : ان الله يخلق ما يشاء بلا اسباب بكلمته « كن » فيكون ؛ كما يخلقهم باسباب ، وكان ما شاء الله فنفخ جبرائيل في فتحة قميصها من قبل رقبتها ، فلمّا احسّت بالجنين في احشائها ابتعدت مكاناً بعيداً عن اهلها ، فألجأها وجع الولادة إلىٰ ساق نخلة استندت اليها وقالت : ليتني متّ قبل هذا و كنت نسيّاً منسيّاً ، فناداها من تحتها عيسىٰ أو جبرائيل : الّا تحزني قد جعل الله تحتك نهراً صغيراً ، و هُزّي اليك بجذع النخلة اليابسة تساقط عليك رطباً طرياً ، فكلي و اشربي وقرّي عيناً وإذا رأيت أحداً من الناس قولي له : إنّي نذرت للرحمن صوماً فلن اكلّم اليوم إنسيّاً ، وحملته الىٰ قومها فاستنكروا منها ذلك و قالوا لها : يا ابنة هارون لقد جئت امراً منكراً ما كان ابوك زانيا ولم تكن امّك بغيّاً !! فأشارت الىٰ عيسىٰ ان كلّموه ليجيبكم فقالوا : كيف نكلّم صبيّاً في المهد ؟ فأنطقه الله جلّ اسمه فقال : اني عبدالله آتاني كتاب الإنجيل وجعلني نبيّاً مباركاً معلّماً للخير اينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً وبرّاً بوالدتي .

و ارسل الله عيسىٰ الىٰ بني اسرائيل وآتاه الله من الآيات علىٰ صدق رسالته انّه كان يعمل من الطين صورة طير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، و يبرئ الاكمه و الابرص ويحيي الموتىٰ باذن الله و يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم و ما

يدخّرون و مصدّق بما فيه من صفات بما جاء قبله في التوراة ، و كذلك بشّر ببعثة خاتم الانبياء أحمد ﷺ فلم يؤمن بنو اسرائيل و كفروا به و قالوا : هـذا سـحر واضح . فلما احسّ عيسىٰ منهم الكفر قال : من انصاري الىٰ الله ؟ قال الحواريون : نحن انصار الله آمنّا بالله واشهد بأنّا مسلمون . ونقضت بنو إسرائيل ميثاقهم مع الله الذي أخذه موسىٰ بما نزل في التوراة من الإيمان بعيسىٰ وبعده خـاتم الانـبياء محمد ﷺ .

ويهتوا مريم بهتاناً عظيماً حيث قالوا : إنّها حملت بعيسىٰ من رجل نـجّار اسمه يوسف و أرادوا صلبه فألقىٰ الله شبهه علىٰ من دلّ اليهود عليه فصلبوه وظنّوا انّهم صلبوا عيسىٰ بن مريم ورفع الله تعالىٰ عيسىٰ اليه .

* * *

عصر الفترة

* معنى عصر الفترة .
* الأنبياء والأوصياء في عصر الفترة من غير آباء النبي ﷺ .
* أخبار فرع إسماعيل من وصيّ إبراهيم عليه السلام .
* آباء النبي المبلّغون في عصر الفترة .

معنى عصر الفترة

قال الله سبحانه وتعالىٰ :

أ ـ في سورة المائدة :

﴿ ... قد جاءكُم رسولُنا يُبيِّنُ لكم علىٰ فترةٍ من الرُّسُل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكُم بشيرٌ ونذيرٌ واللهُ علىٰ كُلِّ شيءٍ قدير ﴾ [الآية : ١٩].

ب ـ في سورة ياسين :

﴿ يس * والقُرآن الحكيمِ * إنَّك لمن المُرسلينَ * ... * لتُنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهُم غافلونَ ﴾ [الآيات : ١ ـ ٣ و ٦].

ونظيرها في سورة القصص ٢٨ والسجدة ٣ وسبأ ٣٤ و ٤٤.

ج ـ في سورة الشورىٰ :

﴿ وكذلك أوحينا إليك قُرآناً عربيّاً لتُنذر أُمَّ القُرىٰ ومن حولها... ﴾ [الآية : ٧].

د ـ سورة سبأ :

﴿ وما أرسلناك إلّا كافَّةً للنّاسِ بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثر النّاسِ لا يعلمونَ ﴾ [الآية : ٢٨].

شرح الكلمات :

أ ـ فترة :

الفترة في اللغة : المدّة تقع بين زمانين .

وفي المصطلح الإسلامي : الزمان الذي يقع بين رسول بشير ونذير ورسول

آخر بشير ونذير .

ب ـ أُم القرىٰ : مكة .

ج ـ كافّة :

الكافة : الجميع ، وكافّة أي جميعاً .

قال الإمام عليّ ﷺ : (أرسلهُ علىٰ حين فترةٍ من الرُّسُل وهجعةٍ من الأُمم وانتقاضٍ من المُبرم)(١) .

الهجعة : النوم ليلاً ، والمعنىٰ هنا نوم الغفلة في ظلمات الجهالة ، وانتقاض المُبرم أي انتقاض الأحكام الإلهيّة التي أُبرمت علىٰ ألسنة الأنبياء .

تفسير الآيات :

لقد جاء خاتم الرسل محمّد ﷺ علىٰ حين فترة من الرسل وليس علىٰ فترة من الأنبياء ، فإنّ الله جلّ اسمه لم يبعث بعد عيسىٰ بن مريم ﷺ رسولاً بشيراً ونذيراً ومعه آية من ربّه ، حتىٰ بعث الله خاتم الأنبياء والرسل ﷺ بشيراً ونذيراً ومعه القرآن آية من ربّه ، لينذر أُمّ القرىٰ ومن حولها خاصّة والناس كافّة ، أمّا الأنبياء والأوصياء فلم يكن لينقطع وجودهم من بين الناس أكثر من خمسمائة سنة ويترك الله جميع الناس هملاً كل هذه المدّة ، بل قيّض مبلّغين لدينه أوصياء علىٰ شريعة عيسىٰ وحنيفيّة إبراهيم كما ندرسها بإذنه تعالىٰ في الأخبار الآتية .

---

(١) نهج البلاغة شرح محمّد عبده ط . مطبعة الاستقامة بمصر (٢ / ٦٩) ، الخطبة ١٥٦ وقريب منه في الخطبة ١٣١ .

الأنبياء والأوصياء في عصر الفترة

من غير آباء النبي ﷺ

في السيرة الحلبية ما موجزه :

لم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد إسماعيل إلّا محمّد ﷺ ، أمّا خالد ابن سنان وبعده حنظلة فإنّهما لم يبعثا بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسىٰ ﷺ ، وكان بين حنظلة وبين عيسىٰ ثلاثمائة سنة[1] .

وممن ذكر المسعودي وغيره في الفترة بين المسيح ومحمّد عليهما الصلاة والسّلام :

خالد بن سنان العبسي وان رسول الله قال فيه : « ذلك نبي أضاعه قومه » .

إلىٰ آخرين ذكرهم ممن كانوا بين المسيح ومحمّد صلوات الله عليهما[2] .

وكذلك نقل المجلسي تفصيل أخبارهم في موسوعة البحار[3] باب ما حدث بعد رفع عيسىٰ ﷺ وزمان الفترة بعده إلىٰ آخر الجزء الرابع عشر .

ومن جاءت أخبارهم من الرسل والأوصياء في القرآن الكريم وتفاسيره وسائر مصادر الدراسات الإسلامية إنما هم من بعثهم الله لهداية الناس في الجزيرة العربية وحواليها إلىٰ عصر أوصياء إبراهيم الخليل ﷺ علىٰ شريعة الاسلام الحنيف والأوصياء منهم علىٰ شريعة موسىٰ وعيسىٰ ﷺ ، ولنا أن نعدّ من الأوصياء علىٰ شريعة عيسىٰ ﷺ من تلمذ عليهم الصحابي سلمان الفارسي المحمّدي من الرهبان[4] كالآتي خبره :

في مسند أحمد وسيرة ابن هشام ودلائل النبوة لأبي نعيم في ما رووه في

(١) السيرة الحلبية (١ / ٢١) ، و تاريخ ابن الأثير ط . مصر الأولىٰ (١٣١/١) ، و تاريخ الخميس (١ / ١٩٩) .

(٢) مروج الذهب للمسعودي (١ / ٧٨) ، وتاريخ ابن كثير (٢ / ٢٧١) .

(٣) البحار (١٤ / ٣٤٥) .

(٤) راجع أخبارهم في سيرة ابن هشام (١ / ٢٢٧) .

خبر الصحابي سلمان الفارسي مع آخر من صحبه من أوصياء عيسىٰ بن مريم ﷺ وكان في عمورية[١] بقوله :

« ... لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال : أقم عندي ، فأقمت مع رجل علىٰ هدي أصحابه وأمرهم . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلمّا حُضِرَ قلت له : إني كنت مع فلان فأوصىٰ بي فلان إلىٰ فلان ، وأوصىٰ بي فلان إلىٰ فلان ، ثم أوصىٰ بي فلان إليك ، فإلىٰ من توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني ! والله ما أعلمه أصبح علىٰ ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلّك زمان نبيّ هو مبعوث بدين إبراهيم ﷺ يخرج بأرض العرب مهاجراً إلىٰ أرض بين حرّتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفىٰ ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . قال : ثم مات وغيّب ... الحديث[٢] .

كان ذلكم بعض أخبار أوصياء عيسىٰ ﷺ في عصر الفترة ، أما الأوصياء علىٰ حنيفية إبراهيم فسوف ندرسها في ما يأتي بدءاً بدراسة شيء من سيرة اسماعيل : الفرع الأول من وصيّي إبراهيم ﷺ ثم ندرس ما تيسّر لنا من سيرة الأوصياء من بنيه بإذنه تعالىٰ .

* * *

---

(١) في معجم البلدان للحموي (ت : ٦٢٦ هـ) : عمورية : بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم (ت : ٢٢٧ هـ) عام ٢٢٣ هـ .

(٢) مسند أحمد (٤ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣) ، وسيرة ابن هشام (ت : ٢١٣ هـ) (١ / ٢٢٧) ، ودلائل النبوة لأبي نعيم (ت : ٤٣٠ هـ) ، خبر سلمان .

بعض اخبار فرع اسماعيل ﷺ

وصي ابراهيم ﷺ على شريعته الحنيفة

* وصية ابراهيم ﷺ لإسماعيل ﷺ أن يقيم مناسك الحج .
* نبوّته و دعوته العماليق و جرهم و قبائل اليمن الى عبادة الله .

نبوّته في القرآن الكريم:

أ – في سورة مريم:

﴿ وَ اذْكُرْ فِي الكِتابِ إسماعيلَ إنّهُ كَانَ صادِقَ الوَعْدِ وَكانَ رَسُولاً نَبِيّاً * وَكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ وَكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ [الآيتان: ٥٤ و ٥٥].

ب – في سورة النساء:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنا إلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إلىٰ إبراهيمَ وَ إسمَاعِيلَ وَ إسحَاقَ وَ يَعقوبَ وَ الأَسبَاطَ وَ عِيسىٰ وَ أَيّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ ءَاتَيْنَا داوُدَ زَبُوراً ﴾ [الآية: ١٦٣].

نبوّته في المصادر:

عاش إسماعيل ﷺ في مكة منذ عصر أبيه خليل الرحمن ﷺ يقوم بأداء شعائر الحج دعامة شريعة إبراهيم الحنيفية حسب وصية أبيه، كما قام بأداء واجب تبليغ الرسالة كالآتي بيانه:

أ ـ في تاريخ اليعقوبي:

فلمّا فرغ إبراهيم من حجّه وأراد أن يرتحل أوصىٰ إلىٰ ابنه إسماعيل أن يقيم عند البيت الحرام، وأن يقيم للناس حجّهم ومناسكهم، وعمّر إسماعيل بيت الله الحرام بعد أبيه وقام بمناسك الحج[1].

ب ـ في أخبار الزمان:

نبّأه الله وأرسله إلىٰ العماليق وجرهم وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الأوثان فآمنت به طائفة منهم وكفر أكثرهم ... وجاء هذا الخبر في مرآة الزمان مع

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٢١/١

اختلاف في اللفظ[١] .

كذلكم استمرّ إسماعيل أيام حياته في أداء ما أوصاه به والده إبراهيم ﷺ حتىٰ توفّي ودفن بمكّة ، وقام مقامه في أداء هذا الواجب من بعده الأمثل فالأُمثل من نسله كما نذكر بعضهم في ما يأتي بإذنه تعالىٰ .

* * *

(١) أخبار الزمان ص ١٠٣ ، و مرآة الزمان ص ٣٠٩-٣١٠.

أخبار بعض آباء النبي ﷺ في عصر الفترة

عدنان . مضر . وغيرهم

* إلياس بن مضر .
* كنانة بن خزيمة .
* كعب بن لؤي .

انتشار عبادة الأصنام وموقف آباء الرسول ﷺ منها .

* قصي .
* عبد مناف .
* هاشم .
* عبد المطلب .
* خلاصة بحث فرع إسماعيل .
* أبوا النبي ﷺ عبدالله و ابو طالب .

في سبل الهدىٰ عن ابن عباس انه قال :

مات أدد والد عدنان ومضر ، و قيس عيلان ، و تـيم ، وأسـد ، و ضـبّة ، و خزيمة علىٰ الاسلام علىٰ ملّة ابراهيم[1] .

و في طبقات ابن سعد :

إنّ رسول الله قال لا تسبّوا مضر فأنّه كان قد أسلم[2] .

إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

في تاريخ اليعقوبي :

(وكان إلياس بن مضر قد شرف وبان فضله ، وكان أوّل من أنكر علىٰ بني إسماعيل ما غيّروا من سنن آبائهم ، وظهرت منه أمور جميلة ، حتّىٰ رضوا به رضاً لم يرضوه بأحد من ولد إسماعيل بعد أدد ، فردّهم إلىٰ سنن آبائهم حتّىٰ رجعت سنّتهم تامّةً علىٰ أوّلها ، وهو أوّل من أهدىٰ البُدْنَ إلىٰ البيت ، وأول من وضع الركن بعد هلاك إبراهيم ، فكانت العرب تعظّم الياس ...)[3] .

في سبل الهدىٰ : إلىٰ قوله : الىٰ سنن آبائهم حتّىٰ رجعت سنّتهم تامّة على أوّلها ، وهو أوّل من أهدىٰ البُدْنَ الىٰ البيت وأوّل من وضع الركن بعد هلاك ابراهيم

---

(١) سبل الهدىٰ والرشاد لمحمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢ هـ) ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ ،ص ٢٩١ ، وراجع : فتح الباري (٧ / ١٤٦) .

(٢) طبقات ابن سعد ط. أوربا (١ / ٣٠) ، و تاريخ اليعقوبي ٢٢٦/١ ، و كنز العمال ٥٩/١٢ باب الفضائل الباب الرابع في القبائل – مضر رقم الحديث ٣٣٩٧٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي (١ / ٢٢٧) .

فكانت العرب تعظمه كتعظيم لقمان[١].

وهكذا يكون أوصياء الرّسل أصحاب الشريعة، وبناءً عليه فهو أحد الأوصياء الحافظين لشريعة إبراهيم ﷺ الحنيفة من بعده.

كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر

كان شيخاً حسناً عظيم القدر ترجع إليه العرب لعلمه وفضله، وكان يقول: قد آن خروج نبيّ من مكّة يُدعىٰ أحمد يدعو إلىٰ الله وإلىٰ البرّ والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتّبعوه تزدادوا شرفاً وعزّاً إلىٰ عزّكم، ولا تعتدوا ـ أي تكذبوا ـ ما جاء به فهو الحقّ[٢].

يدلّ قوله هذا علىٰ أنّه كان يحمل العلم عمّن سبقه من أوصياء إبراهيم ﷺ.

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك
ابن النضر بن كنانة

في أنساب الأشراف وتاريخ اليعقوبي ـ واللفظ للأوّل ـ:

وكان عظيم القدر في العرب، فأرّخوا بموته إعظاماً له، إلىٰ أن كان عام الفيل فأرّخوا به، ثم أرّخوا بموت عبد المطّلب، وكان كعب يخطب الناس في أيّام الحجّ، فيقول: «أيّها الناس افهموا واسمعوا وتعلّموا، إنّه ليل ساج، ونهار صاح، وإنّ السماء بناء، والأرض مهاد، والنجوم أعلام لم تخلق عبثاً، فتضربوا عن أمرها صفحاً، الآخرون كالأوّلين، والدار أمامكم، واليقين غير ظنّكم. صِلوا

---

(١) سبل الهدىٰ (١ / ٢٨٩).

(٢) السيرة الحلبية (١ / ١٦)، سبل الهدىٰ، (١ / ٢٨٦) إلىٰ قوله: وعزاً إلىٰ عزكم.

أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وأوفوا بعهدكم ، وثمّروا أموالكم ، فإنّها قوام مروّاتكم ، ولا تصونوها عما يجب عليكم ، وأعظِموا هذا الحرم وتمسّكوا به ، فسيكون له نبأ، ويبعث منه خاتم الأنبياء ، بذلك جاء موسىٰ وعيسىٰ » . ثم ينشد :

علىٰ فترة يأتي نبيّ مهيمن ... يُخبّر أخباراً عليماً خبيرها

ولفظه في تاريخ اليعقوبي :

علىٰ غفلة يأتي النبيّ محمّد ... فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم يقول يا ليتني شاهد نجوىٰ دعوته[1] .

وفي سبل الهدىٰ والرشاد ما موجزه :

كان يسمّىٰ يوم الجمعة يوم العروبة ، وهو أوّل من سمّاه يوم الجمعة[2] ، ثم اورد الخبر إلىٰ آخره بتغيير يسير في ألفاظه .

إن ما ذكروه في نعته يدلّ علىٰ أنّه كان من الأوصياء بعد إبراهيم ﷺ وأنّه وإلياس كانا مصداقين لاستجابة الله لدعاء إبراهيم في حقّ ذريّته حين دعا ربّه وقال : واجعل من ذريتي امة مسلمة لك .

انتشار عبادة الأصنام في مكّة
و موقف آباء الرسول ﷺ منها

مرّ بنا في ما سبق أنّ قبيلة جرهم استأذنت هاجر في السُكنىٰ معها للارتواء من ماء زمزم فأذنت . ولمّا شبّ ابنها تزوج ابنة مضاض الجرهمي فولدت له أولاده ، وولي بعد إسماعيل ابنه ثابت حفيد مضاض الجرهمي ، وبعد وفاته غلبت

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ط. مصر عام ١٩٥٩ (١ / ١٦ و ٤١) ، وتاريخ اليعقوبي (١/٢٣٦) ط. بيروت ١٣٧٩ هـ. والسيرة الحلبية (١ / ٩ و ١٥ و ١٦) ، والسيرة النبوية بهامش الحلبية (١ / ٩) .

(٢) سبل الهدىٰ والرشاد (١ / ٢٧٨) .

جرهم علىٰ حكم مكّة وطغوا وبغوا، فحاربتهم خزاعة وتغلّبت عليهم[(١)]، فحكموا مكة وولوا أمر البيت الحرام، وتدرّج ولد إسماعيل في التفرّق في البلاد عدا بقيّة منهم لم يبرحوا الحرم[(٢)]، وبقيت خزاعة تحكم مكّة وتلي شؤون البيت الحرام كابراً بعد كابر، حتىٰ ولي منهم عمرو بن لحيّ وكان ذا ثروة عظيمة من الإبل يكثر الإطعام، فأصبح قوله وفعله كالشرع المتّبع عندهم[(٣)].

وفي سفر لعمرو بن لحيّ إلىٰ مدن الشام رآهم يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: ألا تعطوني منها صنماً فأسير به إلىٰ أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنم هبل، فقدم به مكّة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، ثم أشرك الأصنام في تلبية الحجّ وقال في تلبيته:

(لبّيك اللّهمّ لبّيك لا شريك لك، إلّا شريك هو لك تملكه وما ملك).

يقصد بشريك الله الأصنام ـ معاذ الله ـ وغيّر عمرو بن لحيّ حنيفية إبراهيم عليه السلام وشرّع ـ أيضاً ـ غير ذلك؛ فهو الذي بحّر البحيرة، والبحيرة: الناقة التي يمنح درّها ـ حليبها ـ لطواغيت والأصنام، وسيّب السوائب؛ والسائبة التي كانوا يُسيّبونها لأصنامهم فلا يحمل عليها شيء[(٤)].

هكذا انتقلت عبادة الأصنام إلىٰ بلد التوحيد، ثمّ تنامىٰ عددها وعلّقوها علىٰ جدران الكعبة، ومن مكة انتقلت عبادتها إلىٰ سائر مدن الجزيرة العربية وشتّىٰ قبائلها، واختفت معالم التوحيد من بينهم وحرّفت شريعة إبراهيم الحنيفية،

---

(١) راجع: تاريخ ابن كثير ط. الأولىٰ (٢ / ١٨٤ ـ ١٨٥).
(٢) تاريخ اليعقوبي (١ / ٢٢٢ ـ ٢٢٨).
(٣) تاريخ ابن كثير (٢ / ١٨٧).
(٤) تاريخ ابن كثير (٢ / ١٨٧ ـ ١٨٩)، وموجزه في أنساب الأشراف للبلاذري (١ / ٣٤).

وسوف ندرس موقف آباء النبي ﷺ منها بعد الانتهاء من دراسة سيرهم في ما يأتي بإذنه تعالىٰ.

قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب

بقيت خزاعة تحكم مكّة وتلي أمر البيت حتىٰ بلغ قصي رُشده، فجمع قومه وبعث إلىٰ أخيه من أمّه درّاج بن ربيعة العذري يستنصره، فأتاه بمن قدر عليه من قومه قضاعة، فاقتتلوا جميعاً مع خزاعة وكثرت القتلىٰ من الفريقين، فحكّموا عمرو بن عوف الكنانيّ، فقضىٰ بأنّ قُصيّاً أولىٰ بالبيت وأمر مكّة من خزاعة، فنفىٰ قُصيّ خزاعة من مكّة و ولي الحُكم بمكّة وسدانة البيت الحرام، فجمع قبائل قريش من الشعاب ورؤوس الجبال، وقسّم بينهم أبطح مكة وحاراتها وسُمّي لذلك مجمّعاً، وقال فيهم الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعىٰ مجمّعاً ... به جمع اللهُ القبائل من فهر

وبنىٰ لهم بمكة دار الندوة ليجتمعوا فيه ويتشاوروا في أُمورهم، وبنىٰ البيت بنياناً لم يبنه أحد قبله[1]، وكان قصي ينهىٰ عن عبادة الأصنام من دون الله.

اهتمام قصي بأمر الحق والحجيج:

أ ـ في طبقات ابن سعد:

فرض قصي علىٰ قريش السقاية والرفادة، فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإنّ الحاجّ ضيفان الله وزوّار بيته، وهم أحقّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحجّ، حتىٰ يصدروا عنكم،

---

(١) تاريخ اليعقوبي (١ / ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

ففعلوا . فكانوا يُخرجون كلّ عام من أموالهم خرجاً يترافدون ذلك فيدفعونه إليه ، فيصنع الطعام للناس أيام منىٰ وبمكة ، ويصنع حياضاً للماء من أدم فيسقي فيها بمكة ومنىٰ وعرفة ، فجرىٰ ذلك من أمره في الجاهلية علىٰ قومه حتىٰ قام الإسلام ، ثم جروا في الإسلام علىٰ ذلك إلىٰ اليوم[١] .

ب ـ في تاريخ اليعقوبي :

جمع قصي قريشاً حول البيت وحضر الحجّ ، فقال لقريش : قد حضر الحج ، و لا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام ، فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجاً ! ففعلوا ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، فلمّا جاء أوائل الحجّ نحر علىٰ كلّ طريق من طرق مكة جزوراً ، ونحر بمكة ، و جعل حظيرة ، فجعل فيها الطعام من الخبز واللحم ، وسقىٰ الماء و اللبن ، و غدا علىٰ البيت فجعل له مفتاحاً وحجبة[٢] .

و في أنساب الأشراف :

و قال : لو اتّسع مالي لجميع ذلك لقمت فيه دونكم[٣] .

ج ـ في السيرة الحلبية ما موجزه :

لما حضر الحج قال ـ قصي ـ لقريش : قد حضر الحج ، وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام ، فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجاً ففعلوا ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، فلما جاء أوائل الحج نحر علىٰ كل طريق من طرق مكة جزوراً ونحر بمكة ، وجعل

(١) طبقات ابن سعد ط. أوربا (١ / ٤١ ـ ٤٢) .
(٢) تاريخ اليعقوبي (١ / ٢٣٩ ـ ٢٤١) ، ط. بيروت ١٣٧٩ هـ.
(٣) أنساب الأشراف (١ / ٥٢) .

الثريد و اللحم و سقىٰ الماء الُمحلّىٰ بالزبيب و سقىٰ اللبن ، و هو أوّل من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر ، و حاز قصيّ شرف مكة كلّه فكان بيده السقاية و الرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة ، و كان عبد الدار أكبر أولاد قصيّ و عبد مناف أشرفهم ؛ أي أنّه شرف في زمان أبيه قصيّ وذهب شرفه كـل مذهب ، و كان يليه في الشرف أخوه المطلب و كان يقال لهما البدران ، و كانت قريش تسمي عبد مناف الفيّاض لكثرة جوده ، فقال قصي لابنه عبد الدار : أمـا و الله يا بني لألحقنّك بالقوم ـ يعني أخويه عبد مناف و المطلب ـ و ان كانوا قـد شرفوا عليك ، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتىٰ تكون أنت تفتحها له ؛ أي بسبب الحجابة للبيت ، و لا يعقد لقريش لواء لحربها إلّا أنت بيدك ؛ أي و هذا هو المراد باللواء ، و لا يشرب رجل بمكة إلّا من سقايتك ؛ و هذا هو المراد بالسقاية ، و لا يأكل أحد من أهل الموسم إلّا من طعامك : أي و هذا هو المراد بالرفادة ، و لا تقطع قريش أمراً من أمورها إلّا في دارك ـ يعني دار الندوة ـ و لا يكون أحد قائد القوم إلّا أنت و ذلك بسبب القيادة ، و لما احتضر قال لأولاده : اجتنبوا الخمرة[١] .

سبق أن درسنا في سيرة إبراهيم ﷺ ظاهرتين من خصائص سنّته :

أ ـ تعميره البيت الحرام ونداؤه بالحج واقامة شعائره .

ب ـ اهتمامه باطعام الضيف واكرامه ، ونجد في ذريته قصيّاً ومن نذكر خبره في ما يأتي يقومون بالأمرين معاً ، وهكذا يكون أوصياء الرسل والأنـبياء فـي إحيائهم سنن الرسول الذي يحفظون شريعته ويبلّغونها للناس ، أمّا تسميته ولديه بعبد المناف وعبد العزىٰ فسوف ندرس أمرهما في ذكر سيرة عبد المطلب إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) السيرة الحلبية (١ / ١٣) ، وبعضه بهامشه في السيرة النبوية لزيني دحلان .

وفاة قصي :

في تاريخ اليعقوبي :

ومات قصي ، فدفن بالحجون ، ورأس بعده عبد مناف بن قصي ، وجلّ قدره وعظم شرفه[(١)] .

عبد مناف بن قصي

في السيرة الحلبية والنبوية :

اسمه المغيرة ، ووجد كتاب في الحجر : إن المغيرة بن قصيّ أوصىٰ قريشاً بتقوىٰ الله جلّ وعلا وصلة الرحم[(٢)] .

وفي تاريخ اليعقوبي :

وانتهت الىٰ عبد مناف بن قصيّ الرئاسة ، وجلّ قدره وعظم شرفه .

هاشم بن عبد مناف

عمرو العلىٰ هو هاشم بن عبد مناف .

أ ـ في طبقات ابن سعد وتاريخ اليعقوبي ما موجزه :

وشرف هاشم بعد أبيه ، وجلّ أمره ، واصطلحت قريش علىٰ أن يولّىٰ هاشم بن عبد مناف الرئاسة والسقاية والرفادة ، فكان إذا حضر الحجّ قام في قريش خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ! إنّكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وإنّه يأتيكم في

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٤١ . إنّما فصلنا القول في أمر جرهم وخزاعة وقصي لنعرف أنّ حنيفية إبراهيم غيّرها من كان من غير ذريّة إبراهيم واسماعيل عليهما السلام .

(٢) السيرة الحلبية (١ / ٧) ، والنبوية (١ / ١٧) وسبل الهدىٰ (١ / ٢٧٤) .

هذا الموسم زوّار الله يعظمون حرمة بيته ، فهم أضياف الله ، وأحقّ الضيف بالكرامة ضيفه ، وقد خيّركم الله بذلك ، وأكرمكم به ، ثمّ حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزوّاره ، فإنّهم يأتون شُعْثاً غُبراً من كلّ بلد علىٰ ضوامر كالقداح ، وقد أعيوا وتفلوا وقملوا وارملوا ، فأقروهم وأغنوهم . فكانت قريش ترافد علىٰ ذلك .

وكان هاشم يخرج مالاً كثيراً ، ويأمر بحياض من أدم ، فتجعل في موضع زمزم ، ثمّ يسقي فيها من الآبار الّتي بمكة ، فيشرب منها الحاجّ ، وكان يطعمهم بمكّة ومنىٰ وعرفة وجمع ، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق ، و يحمل لهم المياه فيسقون بمنىٰ ، إلىٰ أن يصدروا من منىٰ فتنقطع الضيافة[١] و يتفرّق الناس إلىٰ بلادهم .

ب ـ في السيرة الحلبية والنبوية :

كان هاشم إذا هلّ هلال ذي الحجّة قام صبيحته وأسند ظهره إلىٰ الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته : يا معشر قريش إنّكم سادة العرب ، أحسنها و جوهاً وأعظمها أحلاماً ـ أي عقولاً ـ وأوسط العرب ـ أي أشرفها أنساباً ـ و أقرب العرب بالعرب أرحاماً ، يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله تعالىٰ أكرمكم الله تعالىٰ بولايته وخصّكم بجواره دون بني إسماعيل ، و إنّه يأتيكم زوّار الله يعظمون بيته ، فهم أضيافه و أحقّ من أكرم أضياف الله أنتم ، فأكرموا ضيفه و زوّاره ، فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد علىٰ ضوامر كالقداح ، فأكرموا ضيفه و زوّار بيته ، فوربّ هذه البنيّة لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه ، و أنا مُخرج

---

(١) طبقات ابن سعد (١ / ٤٦) ، وتاريخ اليعقوبي (١ / ٢٤٢) ط . بيروت ١٣٧٩ هـ وجمعت لفظهما .

من طيب مالي و حلاله ما لم يقطع فيه رحم ، و لم يؤخذ بظلم ، و لم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، و أسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوّار بيت الله وتقويتهم إلاّ طيّباً ، لم يؤخذ ظلماً ، و لم يقطع فيه رحم ، و لم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك و يخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة[1] .

ج ـ و في أنساب الأشراف وسيرة ابن هشام و المُحبّر ـ و اللفظ للأول ـ قالوا:

أصابت قريشاً سنة ذهبت بأموالهم و أقحطوا فيها ، و بلغ هاشماً ذلك و هو بالشام ، وكان متجره بغزّة[2] و ناحيتها ، فأمر بالكعك و الخبز ، فاستكثر منهما ، ثم حُملا في الغرائر على الإبل ، حتىٰ وافىٰ مكة ، فأمر بهشم ذلك الخبز والكعك ، ونُحِرت الإبل التي حملت ، فأشبع أهل مكّة و قد كانوا جهدوا ، فقال عبد الله بن الزبعرى[3] :

عمرو العُلىٰ هشم الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مسنتون عجاف
وهو الذي سنّ الرحيل لقومه رحلَ الشّتاء ورِحْلةَ الأصياف

في هذا العام أصاب القحط عامّة أهل مكّة ، وأغاثهم هاشم بما فعل مدّة محدودة من الزمن ، وبقي في مكة بعد ذلك أُناس لم تكن لهم حيلة في مقابل الجوع إلاّ الاعتفاد ، والاعتفاد : أن تخرج الاسرة بكاملها إلىٰ البرّ وتبقىٰ تحت ظلّ

(١) السيرة الحلبية (١ / ٦) والنبويّة (١ / ١٩) .
(٢) غزة مدينة في أقصىٰ الشام من ناحية مصر ؛ معجم البلدان ، والغرائر : جمع الغرارة أكياس كبيرة تنسج من الجوت .
(٣) أنساب الأشراف (١ / ٥٨) ، وسيرة ابن هشام (١ / ١٤٧) ، والمُحبّر لابن حبيب ص ١٤٦ .

وتستسلم للموت واحداً بعد الآخر حتىٰ يفنوا عن بكرة أبيهم ، وأيضاً قام هاشم ابن عبد مناف بمعالجة ذلك حتىٰ لم يبق بمكة بعد ذلك من اضطرّ إلىٰ الاعتفاد ، وخبر ما قام به كالآتي :

كيف عالج هاشم الاعتفاد بمكة :

روىٰ القرطبي عن ابن عباس ما موجزه : أن قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصة جرىٰ هو وعياله إلىٰ موضع معروف ، فضربوا علىٰ أنفسهم خباءً فماتوا ، حتىٰ كان عمرو بن عبد مناف ، وكان سيداً في زمانه ، وله ابن يقال له أسد ، وكان له تِرْب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه ، فقال له : نحن غداً نعتفد ، وتأويله : ذهابهم إلىٰ ذلك الخباء ، وموتهم واحداً بعد واحد ، قال : فدخل أسد علىٰ أمّه يبكي ، وذكر ما قاله تِربُه ، قال : فأرسلت أم أسد إلىٰ أولئك بشحمٍ ودقيق ، فعاشوا به أياماً ، ثم إنّ تِربَه ، أتاه أيضاً فقال : نحن غداً نعتفد ، فدخل أسد علىٰ أبيه يبكي ، وخبّره خبر تِربه ، فاشتدّ ذلك علىٰ عمرو بن عبد مناف ، فقام خطيباً في قريش وكانوا يطيعون أمره ، فقال : إنكم أحدثتم حدثاً تقلّون فيه وتكثر العرب ، وتذلّون وتعزّ العرب ، وأنتم أهل حرم الله جلّ وعزّ ، وأشرف ولد آدم ، والناس لكم تبع ، ويكاد هذا الاعتفاد يأتي عليكم، فقالوا : نحن لك تبع ، قال: ابتدئوا بهذا الرجل ـ يعني أبا تِرب أسد ـ فأغنوه عن الاعتفاد ، ففعلوا[1] .

ثم جمع كل بني أب علىٰ رحلتين : في الشتاء إلىٰ اليمن ، وفي الصيف إلىٰ الشام للتجارات ، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير ، حتىٰ صار فقيرهم كغنيهم ؛ فجاء الإسلام وهم علىٰ هذا ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعزّ من

---

(١) راجع : لسان العرب : مادّة عفد ، وتفسير القرطبي (٢٠ / ٢٠٤) .

قريش ، وهو قول شاعرهم :

والخـــالطون فـقيرهم بـغنيّهم حـتىٰ يـصير فـقيرهم كـالكافي

فلم يزالوا كذلك حتىٰ بعث الله رسوله محمّداً ﷺ .

وفي كيفية تسيير هاشم الرحلتين لتجارة قريش قال البلاذري :

وكان هاشم بن عبد مناف صاحب إيلاف قريش الرحلتين ، وأولّ من سنّها ؛ وذلك أنه أخذ لهم عصماً من ملوك الشام ، فتجروا آمنين ، ثم إنّ أخاه عبد شمس أخذ لهم عصماً من صاحب الحبشة ، وإليه كان متجرهم ، وأخذ لهم المطلب ابن عبد مناف عصماً من ملوك اليمن ، وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق ، فألفوا الرحلتين في الشتاء إلىٰ اليمن والحبشة والعراق ، وفي الصيف إلىٰ الشام[1] .

وقد أخبر الله عن ذلك وقال في سورة قريش :

﴿ لإيلاف قُريش * إيلافهم رحلة الشِّتاء والصَّيف * فـليعبُدوا ربَّ هـذا البيت * الَّذي أطعمهُم من جوعٍ وآمنهُم من خوف ﴾ .

كانت العرب تتسابق في إكرام الضيف وإطعامه كسباً للفخر ونشراً للـذكر الجميل في المجتمع العربي ، وربما كان المال الذي يبذلونه في هذا السـبيل قـد استولوا عليه عن طريق الغزو والسلب والنهب أو من الربا والقمار ، وان هاشماً لا يرضىٰ بذلك ، ومن ثمّ نعرف أنّه كان يريد الإنفاق في طلب رضا الله سبحانه ، ومن أجل ذلك يطعم الجائعين في سنة القحط والجدب ، ويـبدّل تـجارته إلىٰ حـمل الطعام علىٰ الابل ، وفي مكة نحر الابل التي كان يتّجر عليها وصنع منها وممّا عليها طعاماً لأهل مكة . والأهمّ من ذلك أنّه عالج الاعتقاد في قومه أبد الدهر ، والأهمّ

---

(١) أنساب الأشراف (١ / ٥٩) .

من ذلك ـ أيضاً ـ أنّه نظّم قوافل تجارية لقريش إلىٰ أنحاء المعمورة ، وكان هو يمتهن ذلك لنفسه ، وبما انّ تسيير القوافل التجارية في الجزيرة العربية في غير الأشهر الحرم كان غير ميسور ، لما اعتادت عليه القبائل من الإغارة علىٰ كلّ ذي نفس ومال يتيسّر لهم ، قام هاشم هو وإخوته باخذ العهود من ملوك الشام وايران والحبشة ، ومن القبائل العربيّة التي تمرّ علىٰ أراضيها قوافل قريش ، فقاموا يتاجرون صيفاً إلىٰ الشام وايران ، وشتاءً إلىٰ اليمن وافريقيا ، ولم يسبق لأحد أن صنع مثله من العرب وغيرهم ، مثل حاتم الجواد ومن دونه أو فوقه .

وإنّ هاشماً بما فعل كان رائد قومه في أمر معاشهم ومعادهم ، كما كان الأنبياء الذين اجتباهم الله لهداية الناس في أمر معاشهم ومعادهم ، واستطاع أن يجعل من أهل مكة أغنىٰ العرب في عصره ومن بعده .

عبد المطلب بن هاشم

أ – في سيرة ابن هشام و تاريخ الطبري ما موجزه :

سمّته أمّه شيبة لشيبة كانت في رأسه ، و لمّا ذهب عمّه المطّلب إلى المدينة و أخذه من أمّه فدخل به مكّة و قد أردفه خلفه و لمّا رأتهما كذلك قريش ظنّت أنّه عبده و قالت عبد المطّلب [١] ، و غلب عليه هذا الإسم . و يبدو أنّه كذلك كان أيضاً تسميته بعض آباء النبيّ مثل هاشم الذي غلب عليه هذا الإسم بعد أن هشم الثريد لقومه بمكة في سنة الجدب و نسي اسمه عمرو العلا[٢] ، و كان اسم عبد مناف

(١) راجع ترجمة عبد المطّلب في سيرة ابن هشام ١٤٥/١ ، و تاريخ الطبري ٢٣٥/٢ – ٢٣٦ ط.بيروت دار الفكر ، و جاء في الشعر تسميته بشيبة الحمد – كما يأتي في ص ٢٣٧ .

(٢) ، (٣) و (٤) راجع تراجمهم في ما مرّ .

(٥) طبقات ابن سعد ط . أوربا (١ / ٥٠ ـ ٥١) .

المغيرة و سمّته قريش بعبد مناف [١]، وسمّت قصيّاً مجمّعاً لأنّه جمع قريش في مكّة [٢]

ب ـ في طبقات ابن سعد :

كان عبد المطّلب أحسن قريش وجهاً ، وأمدّها جسماً ، وأحلمها حلماً ، وأجودها كفّاً ، وأبعد النّاس من كل موبقة تُفسد الرجال ، وكان يَتَألّهُ ويعظم الظلم والفجور ، ولم يره مَلِك قطّ إلّا أكرمه وشفّعه ، وكان سيّد قريش حتىٰ هلك[٣] .

ج ـ في مروج الذهب :

ممن كان مقراً بالتوحيد ، مُثبتاً للوعيد ، تاركاً للتقليد ، عبد المطلب بن هاشم... وكان أوّل من سقىٰ الماء بمكة عذباً[٤] .

حفر بئر زمزم :

في تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام ـ واللفظ له ـ عن ابن اسحاق ، روىٰ

---

(٤) مروج الذهب (٢ / ١٠٣ ـ ١٠٤) .

ذلك عن الامام عليّ عليه السلام قال:

قال عبدُ المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال: احفر طيبة[١].

قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان الغد رجعت إلىٰ مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برّة[٢]. قال: قلت: وما برّة؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان الغد رجعت إلىٰ مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة[٣].

قال: فقلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان الغد رجعت إلىٰ مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف[٤] أبداً ولا تُذَمّ[٥]، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم[٦]، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

قال ابن إسحاق:

فلمّا بيّن له شأنها، ودلّه علىٰ موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله و معه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولدٌ غيره، فحفر فيها، فلمّا بدا لعبد المطلب الطيّ كبّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصصتُ به دونكم، و أُعطيتُه من بينكم، فقالوا له:

---

(١) طاب طيبة: زكا وطهر وجاد وحسن ولذّ.

(٢) البرّة بمعنىٰ البرّ.

(٣) قيل لها مضنونة: لأنّها ضنّ بها علىٰ غير المؤمنين، فلا يتضلع منها منافق. والمضنونة: الشيء النفيس.

(٤) لا تنزف: لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٥) لا تذم: أي لا توجد قليلة الماء؛ تقول: أذممت البئر: إذا وجدتها قليلة الماء.

(٦) بين الفرث والدم محلّ ذبح القربان للآلهة وبالقرب منه كانت قرية للنمل، فلمّا أصبح عبد المطلب وذهب إلىٰ بيت الله جاء غراب أعصم فنقر الأرض في ذلك الموضع فعرف عبد المطلب مكان بئر زمزم.

فأنصفنا فإنّا غير تاركيك حتىٰ نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني و بينكم من شئتم أُحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بني سعد هُذيم[١] ، قال : نعم ، قال : وكانت بأشراف[٢] الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبدمناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر ، قال : والأرض إذ ذاك مفاوز قال : فخرجوا حتىٰ إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنىٰ ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتىٰ أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ونحن نخشىٰ علىٰ أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلمّا رأىٰ عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف علىٰ نفسه وأصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلّا تبع لرأيك ، فمرنا بما شئت ، قال : فإني أرىٰ أن يحفر كلّ رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلّما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ، حتىٰ يكون آخرُكم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً ، قالوا : نعم ما أمرت به ، فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ، ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز ، فعسىٰ الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا ، حتىٰ إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدّم عبدُالمطلب إلىٰ راحلته فركبها ، فلمّا انبعثت به انفجرت من تحت خفّها عينٌ من ماء عذب ، فكبّر عبدُالمطلب وكبّر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتىٰ ملأوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلُمّ إلىٰ الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاءوا

---

(١) كذا في الطبري ، وفي سائر الأصول : سعد بن هذيم وهو تحريف لأن هذيماً لم يكن أباه ، وإنما كفله بعد أبيه فأضيف إليه .
(٢) أشراف الشام : ما ارتفع من أرضه .

فشربوا واستقوا ، ثم قالوا : قد والله قضىٰ لك علينا يا عبدالمطلب ، والله لا نخاصمكم في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلىٰ سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلىٰ الكاهنة ، وخلّوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق :

فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام في زمزم[١] .

وكان من أمره في حفر بئر زمزم أنّه لما أُمِرَ بذلك في المنام حفرها مع ابنه البكر والوحيد يومذاك الحارث ، فنذر إن تمّ له عشرة من الأولاد أن يتقرّب إلىٰ الله بذبح أحدهم ، فلما تمّ له العدد بعبدالله والد النبي صلى الله عليه وآله قدّمهم إلىٰ فناء الكعبة وأقرع ، فصارت القرعة علىٰ عبدالله وكان أحبّ ولده إليه فقدّمه ليذبحه ، فمنعته قريش من ذلك وقالت : إن فعلت ذلك صارت سُنّة في قومك ، ولم يزل الرجل يأتي بولده إلىٰ ههنا ليذبحه ، فقال : إنّي عاهدت ربّي ، وإني موفٍ له بما عاهدته ، فقال له بعضهم : افدِه ! فقام وهو يقول :

عاهدت ربّي وأنا موفٍ عهدَهُ أخافُ ربّي إنْ تركت وعدَهُ
والله لا يحمدُ شيءٌ حمده[٢]

ثمّ أحضر مائة من الابل ، فضرب بالقِداح عليها ، وعلىٰ عبدالله ، فخرجت علىٰ الابل ، فكبّر الناس ، وقالوا : قد رضي ربّك ! فقال عبد المطلب :

لا هـمّ ربّ البَلَدِ الُمحَرَّمِ الطّـيّبِ المبارَك المعظَّمِ
أنت الذي أعنتني في زمزم[٣]

---

(١) سيرة ابن هشام (١ / ١٥٤ ـ ١٥٦) مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ.
(٢) تاريخ اليعقوبي (١ / ٢٥١) .
(٣) مروج الذهب (٢ / ١٠٤) .

قال اليعقوبي :

فضرب بالقِداح ثلاثاً فخرجت علىٰ الإبل فنحرها فصارت الدية في الإبل علىٰ ما سنّ عبد المطّلب .

وقال :

ولمّا قدم إبرهة ملك الحبشة صاحب الفيل مكّة ليهدم الكعبة تهاربت قريش في رؤوس الجبال ، فقال عبد المطلب : لو اجتمعنا فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله . فقالت قريش : لا بدّ لنا به ! فأقام عبد المطّلب في الحرم ، وقال : لا أبرح من حرم الله ، ولا أعوذ بغير الله ، فأخذ أصحاب إبرهة إبلاً لعبد المطّلب ، وصار عبد المطّلب إلىٰ إبرهة ، فلمّا استأذن عليه قيل له : قد أتاك سيّد العرب ، وعظيم قريش ، وشريف الناس ، فلمّا دخل عليه أعظمه إبرهة ، وجلّ في قلبه لما رأىٰ من جماله ، وكماله ، ونبله ، فقال لترجمانه : قل له : سل ما بدا لك ! فقال : إبلاً لي أخذها أصحابك ، فقال : لقد رأيتك ، فأجللتك ، وأعظمتك ، وقد تراني حيث نهدم مكرمتك وشرفك ، فلم تسألني الانصراف ، وتكلّمني في إبلك ؟ فقال عبد المطّلب : أنا ربّ هذه الإبل ، ولهذا البيت الذي زعمت أنّك تريد هدمه ربّ يمنعك منه . فردّ الإبل ، وداخله ذعر لكلام عبدالمطّلب ، فلمّا انصرف جمع ولده ومن معه ، ثمّ جاء إلىٰ باب الكعبة ، فتعلّق به وقال :

لهمّ ! إنْ تعفُ فإنّهم عيالك .....[1] .

يا ربّ انّ العبد يمنع رحْلَهُ فامنع رحالك

لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم أبداً محالك

---

(١) أوجزت هنا لفظ اليعقوبي في تاريخه (١ / ٢٥٠ ـ ٢٥٤) ، وجاء الخبر بالفاظ اخرىٰ في كل من سيرة ابن هشام (١ / ٥٤ ـ ١٦٨) ، وطبقات ابن سعد ط . أوربا (١ / ٢٨ ـ ٥٦) .

فأرسل الله عليهم الطير الأبابيل[١].

وفي البحار ما موجزه:

إنّ عبد المطّلب أرسل ابنه عبدالله ليأتيه بخبر الجيش ثم صار إلىٰ البيت فطاف سبعاً ثم صار إلىٰ الصفا والمروة فطاف بهما سبعاً، وصعد عبدالله جبل أبي قبيس ورآىٰ ما فعل الطير بالجيش فجاء وبشّر أباه بذلك، فخرج عبد المطّلب وهو يقول: يا أهل مكة اخرجوا إلىٰ العسكر وخذوا غنائمكم.

فأتوا العسكر وهم أمثال الخشب النخرة، وليس من الطير إلّا ما معه ثلاثة أحجار في منقاره ويديه يقتل بكلّ حصاة منها واحداً من القوم. فلمّا أتوا علىٰ جميعهم انصرف الطير فلم يُرَ قبل ذلك ولا بعده. فلمّا هلك القوم بأجمعهم جاء عبدالمطّلب إلىٰ البيت فتعلّق بأستاره وقال:

يا حابس الفيل بذي المغمس حبسته كأنّه مكوّس
في مجلس تزهق فيه الأنفس

فانصرف وهو يقول في فرار قريش وجزعهم من الحبشة:

طارت قريش إذ رأت خميسا فظلت فرداً لا أرىٰ أنيسا
ولا أحسّ منهم حسيسا إلّا أخاً لي ماجداً نفيسا
مسوّداً في أهله رئيسا[٢]

وفي مروج الذهب:

فلمّا صدهم الله عزّوجلّ ـ أي ابرهة وجيشه ـ عن الحرم أنشأ عبد المطّلب

---

(١) مروج الذهب (٢ / ١٠٥)، وسيرة ابن هشام (١ / ٥١).

(٢) البحار (١٥ / ١٣٢)، نقلاً عن مجالس الشيخ المفيد وأمالي ابن الشيخ الطوسي (ص٤٩و ٥٠)، وذي المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف؛ معجم البلدان. وكوّسه: كبّه علىٰ رأسه أو قلبه وجعل أعلاه أسفله، وتكوّس الرجل: تنكّس، والخميس: الجيش.

يقول:

إنّ للـــــبيت لَـــرَباً مـــانعاً   مَـــن يُـــرِدْهُ بِأَثـــامٍ يـــصطلم
رامـــه تُـــبّع فـــيمن جـندت   حـــمير والحـــي مـــن آل قـــدم[1]
فـــانثنىٰ عـــنه وفـــي أوداجـــه   جـــارح أمسك مـــنه بـــالكظم
قـــلت والأشـــرم تـــردى خـــيله   إن ذا الأشـــرم غـــرّ بـــالحرم
نـــحن آل الله فـــيما قـــد مـــضىٰ   لم يـــزل ذاك عـــلىٰ عـــهد ابْـرَهَمْ
نـــحن دمَّـــرنا ثـــموداً عَـــنوة   ثـــم عـــاداً قـــبلها ذات الإرم
[نـــعبد الله وفـــينا سُـــنّة   صـــلَةُ القـــربىٰ وايـــفاء الذمـــم]
لم تـــزل لله فـــينا حـــجّة   يـــدفع الله بـــها عـــنا النـــقم[2]

شرح الأبيات:

أ ـ أثام: الإثم وجزاء الإثم.

ب ـ يَصْطَلِم: اصْطَلَمَهُ وصَـلَمَهُ الدهر أو الموت أو العدوّ: استأصلهم وأبادهم.

ج ـ تُبّع: كان يقال لملوك اليمن التبابعة مثل القياصرة لملوك الروم، والأكاسرة لملوك الفرس. وكان تُبّع الحميري الذي قصد البيت أحدهم.

د ـ جارح: ما يصيد من الطير والسباع والكلاب.

هـ ـ الكظم: مخرج النفس من الحلق؛ يقال: أخذ بكظمه.

و ـ الأشرم، شرمه: شقّه من جانبه، وشرم أنفه أو اذنه: شقه من جانبه،

---

(١) وفي نسخة من آل قرم.

(٢) مروج الذهب (٢ / ١٠٦).

ولعل المراد بالأشرم مشقوق الأذن أو الأنف . ويظهر من قول عبد المطّلب أنّ ابرهة كان كذلك .

ز ـ تردى ، أرداه : أهلكه واسقطه .

ح ـ غُرَّ : غَرَّهُ غَرّاً وغُروراً : خدعه وأطمعه بالباطل فهو مغرور وغرير .

ط ـ إيرهم : مخفف من إبراهيم لضرورة الشعر .

ي ـ عنوة ، أخَذَ الشيء عنوة أي قسراً .

ك ـ إيفاء الذمم ، الذمم مفرده الذمّة : العهد ؛ أي فينا ذريّة ابراهيم ، وصلة الرحم والوفاء بالوعد ، أوفينا آل الله ، وهم الأنبياء مثل : هود وصالح وإبراهيم عليهم السلام . ومن الجائز أنّه أراد من فينا كلا القبيلين لأنّ في ذرية إبراهيم آل الله وحججه ، مثل ما كان ذلك في من سبق من أنبياء الله قبل إبراهيم مثل هود وصالح .

في هذه الأبيات يكرر عبدالمطّلب قولاً كان يلهج به من أنّ للبيت رباً يمنع من يريده بإثم ويصطلمه ، ويُذكّر في هذه الأبيات خبر تُبّع الحميري ، وكيف أخفق في ما رامه في شأن البيت . ثمّ يعود إلىٰ ذكر خبر ابرهة ويقول :

قلت حين هلكت خيل ابرهة ـ المشقوق الاذن أو الأنف ـ عندما أراد أن يهجم علىٰ البيت : إنّ هذا الأشرم قد غُرَّ بالحرم .

وبعد قوله هذا يخبر أنهم أي هو وسلسلة آبائه من ذرية إسماعيل هم آل الله منذ عهد إبراهيم مثلهم في كونهم آل الله مثل هود وصالح ، وإنّ آل الله هوداً وصالحاً هما اللّذين دمّرا قوم عادٍ ذات الإرم وبعد عادٍ قوم ثمود ، وقد ذكر الله تعالىٰ خبر ابرهة كما جاء في كتابه الكريم وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحابِ الفيلِ * ألم يجعلْ كَيدَهُم في تضليلٍ * وأرسل عليهم طيراً أبابيلَ * ترميهم بحجارةٍ من سجِّيل * فجعلُهم كعصفٍ مأكولٍ ﴾ .

وأخبر سبحانه عن قوم ثمود ومقابلتهم لصالح من آل الله حسب تعبير عبد المطّلب في سورة هود :

﴿ وإلىٰ ثمُودَ أخاهُم صالحاً قال يا قومِ اعبُدوا اللهَ ما لكُم من إلهٍ غيرهُ ... * قالوا يا صالحُ قد كُنت فينا مرجُوّاً قبل هذا أتنهانا أن نعبُد ما يعبُدُ آباؤنا وإنَّنا لفي شكٍّ مما تدعُونا إليه مُريبٍ * قال يا قومِ أرأيتُم إن كُنتُ علىٰ بيِّنةٍ من ربّي وآتاني منهُ رحمةً ... * فلمّا جاء أمرُنا نجَّينا صالحاً والّذين آمنوا معه ... * وأخذ الّذين ظلموا الصَّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين * .... ألا بُعداً لثمود ﴾ [الآيات : ٦١ ـ ٦٣ و ٦٦ ـ ٦٨] .

وكذلك جاء خبرهم في ٢٧ مورداً من القرآن الكريم[١] .

ثم أخبر عبدالمطّلب في قوله : وعاداً قبلها ذات الإرم ، إنّ عاداً الّذين دمّرهم الله كانوا قبل قوم ثمود ، وطابق قوله هذا ما جاء في سورة الأعراف [الآيات ٦٥ ـ ٧٤] وسورة هود [الآيات : ٥٠ ـ ٦٨] وسور أخرىٰ كذلك[٢] .

---

(١) راجع : مادّة ثمود من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(٢) راجع : مادّة عاد من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

وطابق إخباره بأنّ عاداً كانت ذات الإرم كقوله تعالىٰ في سورة الفجر:

﴿ ألم تر كيف فعلَ ربّك بعادٍ * إرمَ ذاتِ العمادِ * الّتي لم يُخلق مثلُها في البلادِ * وثَمودَ الّذين جابوُا الصَّخرَ بالوادِ ﴾ [الآيات: ٦ ـ ٩].

وهكذا يطابق شعر عبدالمطّلب ما جاء في الذكر الحكيم من أخبار الأنبياء والأُمم البائدة.

وفي قوله في ما يصف به آباءه ويجمعهم في الوصف مع أنبياء الله في الاتّصاف بالأخلاق الحميدة مثل: صلة الرحم والوفاء بالوعد، فقد وجدنا صدق قوله في ما مرّ بنا من سيرة آبائه.

وفي قوله: إنّهم آل الله منذ عهد إبراهيم وإنّهم يعبدون الله وإنّه لم يزل فيهم أي في الّذين يصفهم بأنّهم آل الله حجّة الله الذي يدفع الله به النقم.

أما كونهم يعبدون الله فانّ مفهومه أنّهم لا يعبدون غيره، وقد وجدنا صدق قوله في أنّا لم نجد في آباء النبي إلىٰ إسماعيل من سجد لصنم قط، أو قرّب قرباناً لصنم قطّ، أو لبّىٰ لصنم في الحج أو حلف بصنم أو أثنىٰ علىٰ صنم في بيت شعر أو قول، ورأينا أنّهم في كل هذه الموارد يسجدون لله، ويقربون القرابين لله، كما فعل عبدالمطّلب في فداء ابنه عبدالله، ويحلفون بالله وحده ويثنون عليه وحده؛ إذاً قد صدق عبدالمطّلب في قوله: إنّهم يعبدون الله.

أمّا انّه لم يزل لله فيهم حجّة: فإمّا أن يكون الله ربّ العالمين قد ترك مجاوري بيته في مكة والتي يسميها أمّ القُرىٰ، ترك من يسكن في أم القرىٰ وما حولها، وترك الوافدين من انحاء الجزيرة العربية لحج بيته الحرام، تركهم جميعاً أكثر من خمسمائة سنة هملاً ولم يجعل في ما بينهم من يجدون عنده شريعة الاسلام، حاشا لله ربّ العالمين من ذلك كما شرحنا ذلك في بحوث الربوبية في ما

سبق من هذا الكتاب ؛ وإمّا أن يكون الله ربّ العالمين لم يترك الأجيال المتعاقبة في أكثر من خمسمائة سنة في أمّ القُرىٰ وما حولها هملاً بل جعل بينهم من إذا اراد أحدهم أن يتعلّم منه أحكام دينه استطاع ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلَنَا ﴾ إذا كان الله قد جعل في أُولئكم البشر من يُتمّ بهم الحجّة علىٰ أُولئكم الأجيال ، فمن يكون ذلك الهادي إلىٰ دين الله غير عبدالمطّلب وسلسلة آبائه إلىٰ عهد إبراهيم عليه السلام ؟ إي وربّي ربّ العالمين ، جعل فيهم من ذرّيّة إبراهيم حججاً لله أتمّ بهم الحجّة علىٰ عباده أُولئكم ودفع الله بهم النقم عنهم ، وصدق عبدالمطّلب في قوله :

نحن آل الله في ما قد مضىٰ　　لم يزل ذاك علىٰ عهد ابرهم
لم تزل لله فينا حجّة　　يدفع الله بها عنّا النقم

وفي أُسلوب عبدالمطّلب في ما أنشده من شعر ، وخاصّة في هذه الأبيات التي أنشدها في مقام المباهاة علىٰ خصمه الهالك أبرهة وجيشه ما تميّز به من فضائل ومكارم ، عمّا كان دأب شعر العرب في الغابر والحاضر فلم يفتخر بأبيه هاشم وما قام به من إطعام عامّة أهل مكّة في سنة القحط بما حمّل جماله من الطعام من الشام بدل تحميله إيّاها المال الذي يتاجر به ، ونحر تلك الجمال ؛ وذلك ما لم يفعله أيُّ عربي قبله لا حاتم الطائي ولا من بعده ومن قبله ، ولا قرأنا ذلك في أخبار الأُمم ، ثم قيامه بمعالجة أمر الاعتفاد كي لا يستسلم بيت بأسره للموت جوعاً ، ثم قيامه بتعليم قريش التجارة إلىٰ أنحاء البلاد المعمورة يومذاك ، لم يُباه عبد المطّلب بذكر شيء من ذاك وكلّ ذلك ممّا انحصر فعله بأبيه هاشم من بين جميع البشر، وعدم التباهي بمثل هذه الأمور من خدمة الخلق من صفات أنبياء الله وحججه في خلقه ؛ فانّهم لا يمنّون علىٰ الناس بما يجودون به وما

يخدمونهم في أمر معاشهم ، وإنّما يخبرونهم بما خصّهم الله به وجعلهم سبيل هداية للناس ، وهذا ما فعله عبدالمطّلب عندما قال : (نحن آل الله في ما قد مضىٰ) ... الأبيات .

عبدالمطّلب في ميلاد النبيّ ﷺ :

في أنساب الأشراف عن خبر ولادة النبي ﷺ ما موجزه :

ولمّا حملت آمنة بالنبي رأت في منامها آتياً أتاها ، فقال : يا آمنة ، إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ؛ فإذا وقع في الأرض فقولي : « أُعيذُك بالواحد من شرّ كل حاسد » ؛ وسمّيه أحمد . ويقال إنه قال : سمّيه محمّداً .

فلما وضعته ، أرسلت إلىٰ عبدالمطّلب أنّه قد وُلِدَ لك غلام . فنهض مسروراً ، ومعه بنوه ، حتىٰ أتاه فنظر إليه وحدّثته بما رأت ، وبسهولة حمله وولادته ، فأخذه عبدالمطّلب في خرقة فأدخله الكعبة وقال :

الحمدُ لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيّب الأردانِ
أعيذه بالبيت ذي الأركانِ ... من كل ذي بَغْيٍ وذي شنآنِ
وحاسدٍ مضطرب العنان

وفي تاريخ ابن عساكر وابن كثير :

أضاف إليها أبياتاً جاء في آخرها :

أنت الذي سُمّيت في الفرقان ... في كتب ثابتة المبان
أحمد مكتوب علىٰ اللسان[1]

(١) أنساب الأشراف (١ / ٨٠ ـ ٨١) ، ويختلف لفظه مع لفظ طبقات ابن سعد (١ / ١٠٣) ، وتاريخ ابن عساكر (١ / ٦٩) ، وابن كثير (٢ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥) ، وراجع : الدلائل للبيهقي (١ / ٥١).

في هذه الأبيات يخبر عبدالمطّلب أنّ حفيده سُمّي في الكتب أحمد .

وفي طبقات ابن سعد ما موجزه :

إنّ حليمة مرضعة النبي تخوّفت علىٰ رسول الله ﷺ فقدمت به إلىٰ أمه لتردّه وهو ابن خمس سنين فأضلّها في النّاس فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبدالمطّلب فأخبرته ، فالتمسه عبد المطّلب فلم يجده ، فقام عند الكعبة فقال :

لاهُمّ أدّ راكبي مُحمّدا أدّهْ إليّ واصطنع عندي يدا

أنت الذي جعلته لي عَضُدا لا يبعد الدهرُ به فيبعدا

أنت الذي سَمَّيْتَهُ مُحمّداً[1]

وهنا ـ أيضاً ـ يصرّح عبدالمطّلب بأنّ الله هو الذي سمّىٰ حفيده محمّداً ﷺ .

وفي مروج الذهب :

وكان عبدالمطّلب يوصي ولده بصلة الأرحام ، وإطعام الطعام ، ويُرغّبهم ويُرهّبهم ، فعل من يراعي في المتعقّب معاداً وبعثاً ونشوراً ، وجعل السقاية والرفادة إلىٰ ابنه عبدمناف ـ وهو أبو طالب ـ وأوصاه بالنبي ﷺ [2] .

وفي السيرة الحلبية والنبوية :

وكان ممن حرّم الخمر علىٰ نفسه في الجاهلية ، وكان مجاب الدعوة ، وكان يقال له الفياض لجوده ، ومطعم طير السماء ، لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ، قال : وكان من حلماء قريش وحكمائها .

ونقل عن سبط ابن الجوزي ما موجزه :

---

(١) طبقات ابن سعد ط . أوربا (١ / ٧٠ ـ ٧١) . ويختلف لفظ الخبر عن هذا في أنساب الاشراف (١ / ٨٢) . وراجع : سبل الهدىٰ (١ / ٣٩٠) .

(٢) مروج الذهب (٢ / ١٠٨ ـ ١٠٩) .

وكان عبدالمطّلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ، ويحثّهم علىٰ مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن دنيئات الأمور ، وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتىٰ يُنْتَقَم منه وتصيبه عقوبة ، إلىٰ أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تُصبه عقوبة فقيل لعبد المطّلب في ذلك ففكّر وقال : والله إنّ وراء هذه الدار دار يُجزىٰ فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته ، أي فالظلوم شأنه في الدنيا ذلك حتىٰ إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي مُعدّة له في الآخرة ، وتُؤثَر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنّة بها : منها الوفاء بالنذر ، والمنع من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنىٰ ، وأن لا يطوف بالبيت عريان[(١)] .

وفي السيرة النبوية :

وأمّا عبدالمطّلب بن هاشم ، فكان من حلماء قريش وحكمائها ، وكان مجاب الدعوة محرّماً الخمر علىٰ نفسه ، وهو أول من تحنث بحراء ، والمتحنث : المتعبد الليالي ذوات العدد ، كان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين ، وكان صعوده للتخلي عن الناس يتفكر في جلال الله وعظمته[(٢)] .

وفي تاريخ اليعقوبي وأنساب الأشراف للبلاذري ـ واللفظ للأول ـ بإيجاز :

توالت علىٰ قريش سنون مجدبة ، حتىٰ ذهب الزرع وقحل الضرع ففزعوا إلىٰ عبدالمطّلب فقالوا :

قد سقانا الله بك مرة بعد أخرىٰ فادعُ الله أن يسقينا ، فخرج عبدالمطّلب ومعه رسول الله ﷺ وهو يومئذ مشدود الإزار ، وقال عبدالمطّلب : اللّهم سادّ

---

(١) السيرة الحلبية (١ / ٤) ، والنبوية (١ / ٢١) .
(٢) السيرة النبوية (١ / ٢٠) ، وقريب منه في أنساب الأشراف (١ / ٨٤) .

الخلَّة، وكاشف الكُربة، أنت عالِم غير مُعلَّم، مسؤول غير مُبخَّل، وهؤلاء عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنيهم التي أقحلت الضرع وأذهبت الزرع، فاسمعنَّ اللّهم وأمطرنَّ غيثاً مريعاً مغدقاً. فما راموا حتىٰ انفجرت السماء بمائها وكظَّ الوادي بثجّه، وفي ذلك يقول بعض قريش:

بشيبة الحمد أسقىٰ اللهُ بلدتنا   وقد فقدنا الكرىٰ واجلوّذ المطرُ
منّاً من اللهِ بالميمونِ طائره   وخير من بشّرت يوماً به مُضرُ
مُبارك الأمرِ يُستسقىٰ الغمامُ به   ما في الأنام له عدلٌ ولا خطرُ[1]

وجاء في البحار:

كان يوضع لعبد المطلب جدّ رسول الله ﷺ فراش في ظلّ الكعبة، وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتىٰ يجلس عليه، فيذهب أعمامه ليؤخروه فيقول جدّه عبدالمطّلب: دعوا ابني، فيمسح علىٰ ظهره ويقول: إنّ لابني هذا لشأناً[2].

وجاء في اليعقوبي ـ أيضاً ـ:

وأوصىٰ عبد المطّلب إلىٰ ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة، وإلىٰ أبي طالب برسول الله ﷺ وسقاية زمزم، وقال له: قد خلّفت في أيديكم الشرف العظيم الذي تطأون به رقاب العرب. وقال لأبي طالب:

أُوصيك يا عبدمنافٍ بعدي   بمُفردٍ بعد أبيه فردِ
فارقه وهو ضجيعُ المهد   فكنتَ كالأمّ له في الوجد
تُدنيه من أحشائها والكبد   فأنت من أرجىٰ بنيّ عندي

---

(١) إلىٰ هنا جاء الخبر في أنساب الأشراف (١ / ٨٢ ـ ٨٥) متفرقاً، وأوردنا لفظ اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٢ ـ ١٣).

(٢) البحار (١٥ / ١٤٤ و ١٤٦ و ١٥٠).

لدفع ضيمٍ أو لشدّ عقد[١]

وروىٰ في البحار بعده عن الواقدي ما موجزه :

أوصيك أرجىٰ أهلنا بالرفدي يابن الذي غيبته في اللحدِ
بالكره منّي ثمّ لا بالعمدي وخيرة الله يشا في العبدِ

ثم قال عبدالمطّلب : يا أبا طالب إنّني أُلقي إليك بعد وصيتي ، قال أبو طالب: ما هي ؟ قال: يا بني أوصيك بعدي بقرّة عيني محمّد ﷺ وأنت تعلم محلّه منّي ، ومقامه لديّ ، فأكرمه بأجلّ الكرامة ، ويكون عندك ليله ونهاره وما دمت في الدنيا ، الله ثم الله في حبيبه ، ثمّ قال لأولاده : أكرموا محمّداً ﷺ ، فسترون منه أمراً عظيماً ، وسترون آخر أمره ما أنا أصفه لكم عند بلوغه ، فقالوا بأجمعهم : السمع والطاعة يا أبانا نفديه بأنفسنا وأموالنا ، ـ ولم يكن في أعمام النبي ﷺ أرفق من أبي طالب قديماً وحديثاً في أمر محمّد ﷺ ـ ، ثم قال : إنّ نفسي ومالي دونه فداء ، أُنازع معاديه وأنصر مواليه .

قال الواقديّ : ثمّ إنّ عبدالمطّلب غمض عينيه وفتحهما ونظر قريشاً وقال : يا قوم أليس حقّي عليكم واجباً ؟ فقالوا بأجمعهم : نعم حقّك علىٰ الكبير والصغير واجب ، فنعم القائد ونعم السائق فينا كنت ، فقال عبدالمطّلب : أُوصيكم بولدي محمّد بن عبدالله ﷺ فأحلّوه محلّ الكرامة فيكم وبرّوه ولا تجفوه ، ولا تستقبلوه بما يكره ، فقالوا بأجمعهم : قد سمعنا منك وأطعناك فيه[٢] .

وفي طبقات ابن سعد : لما حضرت عبدالمطّلب الوفاة أوصىٰ أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته[٣] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٣) .
(٢) البحار (١٥ / ١٥٢ ـ ١٥٣) .
(٣) طبقات ابن سعد (١ / ١١٨) .

وتوفّي عبدالمطّلب ولرسول الله ﷺ ثماني سنين ، ولعبد المطّلب مـائة وعشرون سنة .

زاد الله جلّ وعلا عبدالمطّلب بسطة في الجسم وسعة في الحلم والكرم ؛ أقرّ بالتوحيد وأثبت الوعيد ، وتألّه في الجاهليّة ، وامتنع عن عبادة الأصنام وعن كلّ موبقة تفسد الرجال ، وعظّم الظلم والفجور ، وهو أول من تحنّث في غار حـراء يتخلّىٰ للعبادة والتفكّر في جلال الله ، يصعده في شهر رمضان يطعم فيه المساكين ، وهو أوّل من سقىٰ الماء عذباً بمكة ، أُمر في المنام بحفر بئر زمزم فامتثل ، وحفره مع بكره الحارث ، ونذر إن رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم في سبيل الله اقتداءً بأبيه إبراهيم عليه السلام في قيامه بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ، فـلمّا تـموا عشـرة قدّمهم إلىٰ الكعبة ، فوقعت القرعة علىٰ عبدالله والد النبي ﷺ فمنعته قريش من ذبحه على أن يقرع بينه وبين عشرة عشرة من الابل ، حتّىٰ خرجت القرعة علىٰ مائة من الابل فنحرها في سبيل الله . ولمّا قدم أبرهة مع جيش الفيل لتهديم بيت الله دعا عبدالمطّلب قريشاً للقيام بدفع الجيش الغازي فأبوا وتهاربوا إلىٰ رؤوس الجبال ، ولم يغادر عبدالمطّلب البيت وأنشد يخاطب الله :

يا ربّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك ...

فلمّا أهلك الله أبرهة وجيشه قال عبدالمطّلب في ما أنشد :

إنّ للـــــبيت ربّاً مـــانعاً ... مـــن يُـرده بأثـام يـصطلم

نـحن آل الله فـي مـا قـد مـضىٰ ... لم يـزل ذاك عـلىٰ عـهد ابـرهم

لم تـــزل لله فـــينا حـــجّة ... يـــدفع الله بـها عـنّا الـنقم

وفي هذه السنة ولد حفيده خاتم الأنبياء ﷺ فأخذه وأدخله الكعبة وقال

في ما أنشده :

أنت الذي سُمّيتَ في الفرقان   في كتب ثابتة المثاني

أحمد مكتوب على اللّسان

وكان عبدالمطّلب مجاب الدعوة ؛ إذا انحبس المطر عن قريش طلبوا منه فيدعو الله وينزل عليهم الغيث ، وفي آخر مرّة أخرج معه رسول الله ﷺ وهو فتىً صغير فما راموا حتىٰ انفجرت السماء بالمطر .

وسنَّ عبدالمطّلب سنناً أقرّها الإسلام مثل :

أ ـ الوفاء بالنذر ؛ في سورة الإنسان / ٧ ، وسورة الحج / ٢٩ .

ب ـ المنع من نكاح المحارم ؛ في سورة النساء / ٢٣ .

ج ـ قطع يد السارق ؛ في سورة المائدة / ٣٨ .

د ـ النهي عن قتل الموءودة ؛ في سورة التكوير / ٨ ، والأنعام / ١٥١ ، والإسراء / ٣١ .

هـ ـ تحريم الخمر ؛ في سورة المائد / ٩٠ و ٩١ .

و ـ تحريم الزنىٰ ؛ في سورة الفرقان / ٦٨ ، والممتحنة / ١٢ ، والإسراء / ٣٢ .

ز ـ ألّا يطوف بالبيت عريان ؛ أمر الرسول ﷺ أن ينادي بذلك ابن عمّه عليّ عليه السلام عندما بعثه في السنة التاسعة للهجرة لقراءة الآيات الأُولىٰ من سورة البراءة علىٰ الحجّاج .

ح ـ صلة الأرحام ؛ في سورة النساء / ١ .

ط ـ إطعام الطعام ؛ في سورة المائدة / ٨٩ ، والبلد / ١٤ ، والحاقة / ٣٤ .

ي ـ ترك الظلم ؛ في سورة إبراهيم / ٢٢ . وآيات كثيرة أُخرىٰ .

وتحنث في حراء يعبد الله ، وفعله بعده حفيده خاتم الأنبياء ، وكان يدعو إلىٰ الاعتقاد بيوم الجزاء في الآخرة .

وفي البحار بسنده عن الإمام جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جده ، عن عليّ ابن أبي طالب عليه‌السلام ، عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال في وصيته له : يا عليّ إنّ عبدالمطّلب سنّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام : حرّم نساء الآباء علىٰ الأبناء ، فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿ ولا تَنْكِحوا ما نكح آباؤُكُم من النساء ﴾ ، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به ، فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿ و اَعْلَموا أنَّما غَنِمْتُم من شيءٍ فأنَّ للهِ خُمُسَهُ ﴾ الآية ، ولما حفر زمزم سمّاها سقاية الحاجّ ، فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿ أجعلتُم سقاية الحاجِّ و عمارة المسجد الحرام كمن آمن باللهِ واليومِ الآخر ﴾ الآية ، وسنّ في القتل مائة من الإبل فأجرىٰ الله عزوجلّ ذلك في الإسلام ، ولم يكن للطّواف عدد عند قريش فسنّ فيهم عبدالمطّلب سبعة أشواط ، فأجرىٰ الله ذلك في الإسلام ، يا عليّ إنّ عبدالمطّلب كان لا يستقسم بالأزلام ، ولا يعبد الأصنام ، ولا يأكل ما ذُبِحَ علىٰ النصب ، ويقول : أنا علىٰ دين أبي إبراهيم عليه‌السلام(١) .

وفي انبعاث الماء من تحت خُفّ راحلته كرامة أكرمه الله بها كما أكرم جده إسماعيل من قبل بجري ماء زمزم له ، ومثل هذه الكرامة أكرمها لحفيده النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله لما تفجرت الماء من حول سهمه في غزوة تبوك(٢) .

لا ينافي ما جاء في هذا الحديث : إنّ عبدالمطلب سنّ في الجاهلية خمس

---

(١) البحار (١٥ / ١٢٧) ، نقلاً عن الخصال (١ / ١٥٠) .

(٢) البحار (٢١ / ٢٣٥) ، عن الخرائج ص ١٨٩ في باب غزوة تبوك .

سنن أجراها الله في الإسلام مع ما سبق ذكرنا له ، فإنّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه .

خلاصة البحث

أوصىٰ إبراهيم عليه السلام إلىٰ إسماعيل بإقامة دعامة شريعته الحنيفة « تعمير بيت الله الحرام وإقامة مناسك الحجّ » فأقام بذلك طوال حياته حتىٰ توفي بمكة المكرمة ودفن مع أمّه هاجر وبعض بنيه في حجر إسماعيل[1] ، أمّا إسحاق فقد خصّ الله لأولاد ابنه يعقوب (اسرائيل) أحكاماً جاءت في شريعة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ، وبعد عيسىٰ بن مريم بدأ عصر الفترة من الرسل ، حيث لم يبعث الله تعالىٰ إلىٰ الناس رسلاً مبشرين ومنذرين ، غير أنّه قام بأمر هداية بعض الناس ودعوتهم للعمل بشريعة عيسىٰ أنبياء مثل ، خالد بن سنان ، وحنظلة ممّن كانوا أوصياء علىٰ شريعة عيسىٰ ، وفي أمّ القرىٰ وما حولها قام من نسل إسماعيل كابر بعد كابر بإقامة دعامة شريعة إبراهيم الحنيفة وسننه كالآتي أخبارهم :

أ ـ إلياس بن مضر :

أنكر إلياس بن مضر علىٰ بني إسماعيل ما غيّروا من سنن آبائهم وردّهم إليها حتىٰ رجعت تامّة إلىٰ أوّلها ، وهو أول من أهدىٰ البُدْنَ إلىٰ البيت وأوّل من وضع الركن بعد إبراهيم عليه السلام .

ب ـ خزيمة بن مدركة بن إلياس :

كان خزيمة يقول : قد آن خروج نبيّ من مكّة يُدعىٰ أحمدَ ، يدعو إلىٰ الله

---

(١) راجع معالم المدرستين ، ط . الرابعة (١ / ٦٠ ـ ٦٤) .

وإلىٰ البرّ والإحسان ومكارم الأخلاق ، فاتّبعوه ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحقّ .

ج ـ كعب بن لؤي :

كان كعب من ذرية خزيمة يخطب في أيّام الحج ويقول : إنّ السماء والأرض والنجوم لم تخلق عبثاً ، والدار أمامكم ـ أي يوم القيامة أمامكم ـ ، ويدعو إلىٰ مكارم الأخلاق وإعظام الحرم ، ويخبرهم أنّه يُبعث من الحرم خاتم الأنبياء وأنّ بذلك جاء موسىٰ وعيسىٰ عليهما‌السلام وينشد :

علىٰ غفلة يأتي النبي محمّد فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ويقول : ياليتني شاهد نجوىٰ دعوته .

د ـ قصي :

ولما نشر رئيس خزاعة عبادة الأصنام في الحرم حاربه من هذا النسل قصيّ حتىٰ أخرجهم من مكّة ، ونهىٰ عن عبادة الأصنام ، وأحيا سنّة إبراهيم في إطعام الضيوف ، وخطب قريشاً قبل الموسم وقال : يا معشر قريش ! إنكم جيران الله وأهل بيته ، وأهل الحرم ، وإنّ الحاجّ ضيفان الله وزوار بيته ، وهم أحقّ الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيّام الحج حتىٰ يصدروا عنكم ، ولو اتّسع مالي لجميع ذلك لقمت فيه دونكم ، فليخرج كل امرئ من ماله خرجاً ، ففعلوا ؛ فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، فلما جاء أوائل الحاجّ نحر علىٰ كلّ طريق من طرق مكّة جزوراً ، ونحر بمكة وجعل حظيرة وجعل فيها الطعام من الخبز واللحم ، وسقىٰ الماء المحلّىٰ بالزبيب وسقىٰ اللبن ، وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس ليلة النفر من عرفة ، وجعل للبيت مفتاحاً وحجبة ، وجعل بيت ابنه عبد الدار

دار الندوة لا تقطع قريشٌ أمراً إلّا فيها ، وأوصىٰ بنيه عند موته أن يجتنبوا الخمرة .

هـ ـ عبدمناف :

وقام من بعده ابنه عبدمناف واسمه المغيرة ، وأوصىٰ قريشاً بتقوىٰ الله جلّ وعلا وصلة الرحم .

و ـ هاشم :

وقام بعده ابنه هاشم ، واتبع سنّة قصي في دعوة قريش للقيام بضيافة الحاج ، وكان يقول في خطبته : (فاكرموا ضيفه ـ ضيف الله ـ وزوار بيته ، فوربّ هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه ، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يُخرِج رجل منكم لكرامة زوّار بيت الله وتقويتهم إلّا طيّباً ، لم يؤخذ ظلماً ، ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك ويضعونه في دار الندوة .

إذاً فإنّ هاشماً شابه فعله فعل الأنبياء في العمل في سبيل كسب رضا الله تعالىٰ شأنه . وليس في سبيل كسب الحمد والثناء من الناس لنفسه وقومه ، كما كان يفعله العربي الجاهلي يومذاك . وكذلك كان فعله في القيام بتنظيم قوافل تجارية لقريش التي كانت تسكن بين جبال جرداء لا ماء فيها ولا زرع يعيش عليه الضرع ، ولا سبيل لهم للعيش ، كان في فعله ذلك كسائر الأنبياء رائد قومه في أمر معاشهم ومعادهم .

ز ـ عبدالمطلب بن هاشم :

أقرّ بالتوحيد ، وأثبت الجزاء في الدنيا والآخرة ، وتألّه في الجاهلية ، وحفر بئر زمزم ، ونذر أن ينحر أحد بنيه في سبيل الله اقتداءً بجدّه إبراهيم كما رأىٰ ذلك ، وكان مجاب الدعوة يدعو للمطر فيجيب الله دعاءه ، وأخبر أن الله سمّىٰ الرسول في الكتب السماوية بأحمد ، وأنه لم يزل في سلسلة آبائه لله حجة منذ عهد إبراهيم يدفع به النقم ، وسن عبدالمطلب سنناً أقرّها الاسلام . وفي تاريخ اليعقوبي عن رسول الله انه قال ما موجزه : إنّ الله يبعث جدّي عبدالمطّلب امّة واحدة في هيئة الأنبياء[١] .

وقد وجدنا في سيرته أخذ العهد من ولده وقومه أن ينصروا رسول الله ﷺ حين يُبعث كما كان يفعل ذلك سائر الأنبياء مع أقوامهم .

* * *

(١) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٢ ـ ١٤) ، وفي البحار (١٥ / ١٥٧) ، نقلاً عن الكافي (١ / ٤٤٦ و ٤٤٧) ، عن الامام الصادق : يحشر عبدالمطّلب امّة واحدة ، عليه سيماء الأنبياء وهيئة الملوك .

أبوا النبي ﷺ أبو طالب وعبدالله

ابنا عبدالمطلب

أولاً ـ والد خاتم الأنبياء عبدالله .

أمّه وأُمّ أبي طالب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران المخزومي[1] .

وكان عبدالله أصغر أولاد أبيه ، وقد مضىٰ خبر قصد عبدالمطّلب أن يقتدي بجدّه إبراهيم عليه السلام ويذبحه قرباناً إلىٰ الله ، وخبر فدائه بنحر مائة من الإبل ، ويظهر من أخبار السيرة أنّ رقيّة بنت نوفل كانت قد سمعت من أخيها ورقة بن نوفل خبر مبعث النبي ﷺ وعرضت نفسها علىٰ عبدالله قبل ان يدخل بآمنة أُمّ الرسول ﷺ فلم يستجب لها ، وبعد زواجه بآمنة لم تعرض له رقيّة ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنت عرضت عليّ بالأمس ؟ قالت : فارقك النور الذي كان معك بالأمس . وفي رواية مثل الخبر الآنف مع امرأة أُخرىٰ ، وأنّها قالت بعد ذلك : (مرّ بها وبين عينيه غرّة مثل غرّة الفرس)[2] .

نكتفي بذكر هذا المقدار من أخبار عبدالله والد النبي ﷺ ونبدأ بذكر عم النبي ﷺ وكافله أبي طالب بحوله تعالىٰ :

---

(١) سيرة ابن هشام (١ / ١٢٠) .

(٢) سيرة ابن هشام (١ / ١٦٩ ـ ١٧٠) ، والغرّة : بياض في جبهة الفرس .

ثانياً ـ كافل النبي وناصر الإسلام أبو طالب :

اسمه :

في مروج الذهب :

تنوزع في اسم أبي طالب ، فمنهم من رآىٰ أنّ اسمه عبدمناف (علىٰ ما وصفنا) ، ومنهم من رآىٰ أنَّ كنيته اسمه ، وأنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وآله ليهود خيبر بإملاء النبي صلى الله عليه وآله : « وكتب عليّ بن أبي طالب » [بإسقاط الألف][1] و قد ذكر عبدالمطّلب في شعر له وصية أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وآله ، فقال :

أوصيت مَنْ كنيته بطالب ... بابن الذي قد غاب ليس آئب

سيرته :

و في تاريخ اليعقوبي ما موجزه :

و أوصىٰ عبدالمطّلب إلىٰ ابنه الزبير بالحكومة و أمر الكعبة ، و إلىٰ أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وآله و سقاية زمزم ، و توفي عبدالمطّلب و لرسول الله صلى الله عليه وآله ثماني سنين[2] .

و في السيرة الحلبية :

السقاية كانت حياضاً من أدم توضع بفناء الكعبة ، و ينقل إليها الماء العذب من الآبار علىٰ الإبل في المزاود و القِرَب قبل حفر زمزم ، و ربما قذف فيها التمر

---

(١) من قواعد الإملاء حذف همزة (ابن) إذا جاء بين اسم الابن واسم أبيه مثل : (الحسن بن عليّ عليهما السلام) وحذف الهمزة من (ابن) في : (عليّ بن أبي طالب) يدل علىٰ أنّ أبا طالب اسمه وليس بكنيته .

(٢) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٣) .

و الزبيب في غالب الأحوال لسقي الحاج أيام الموسم حتىٰ يتفرقوا ، و هذه السقاية قام بها وبالرفادة بعد عبدمناف ولده هاشم وبعده ولده عبدالمطّلب ، ثم بعده قام بها ولده أبو طالب ، ثم اتفق أنَّ أبا طالب أملق ـ أي افتقر في بعض السنين ـ فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلىٰ الموسم الآخر ، فصرفها أبو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية . فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلىٰ العام المقبل لأعطيك جميع مالك ، فقال له العباس : بشرط إن لم تعطني تترك السقاية لأكفلها ، فقال : نعم ، فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لأخيه العباس ، فترك له السقاية فصارت للعباس ثم لولده عبدالله بن عباس ، واستمرّ ذلك في بني العباس إلىٰ زمن السفاح ، ثم ترك بنو العباس ذلك[1] .

وفي تاريخ اليعقوبي :

قال عليّ بن أبي طالب : أبي ساد فقيراً وما ساد فقيرٌ قبله[2] .

عقيدته :

في مروج الذهب :

وقد كان ـ أبو طالب ـ أكثر العرب ممن بقي ودثّر يقرّ بالصانع ، ويستدل علىٰ الخالق[3] .

وسوف ندرس ذلك في البحوث الآتية بحوله تعالىٰ .

كان ذلكم بعض أخبار سيرة أبي طالب الخاصّة به . وندرس في أخبار سيرة

---

(١) السيرة الحلبية (١ / ١٤) ، والسيرة النبوية (١ / ١٦) ، وأنساب الأشراف للبلاذري (١ / ٥٧) .
(٢) تاريخ اليعقوبي ط . بيروت (٢ / ١٤) .
(٣) مروج الذهب (٢ / ١٠٩) .

النبي ﷺ على عهد أبي طالب الآتية من سيرة أبي طالب ما عاناه في سبيل الحفاظ على رسول الله ﷺ والدفاع عنه وعن عقائد الاسلام بحوله تعالى.

نتائج البحث

كان إسماعيل نبيّاً ورسولاً ووصياً علىٰ شريعة إبراهيم الحنيفة في الجزيرة العربية ، وبعد ذلك وفي عصر فترة إرسال المبشرين والمنذرين بعد عيسىٰ بن مريم عليه السلام كان بعض الأنبياء والأوصياء يحملون شريعة عيسىٰ عليه السلام إلىٰ قومهم ، مثل : حنظلة وخالد والرهبان الذين تلمذ عليهم سلمان الفارسي ، وفي أمّ القرىٰ مكة خاصّة وجدنا في آباء النبي صلى الله عليه وآله كابراً بعد كابر من يعمل بسنّة إبراهيم في القيام بتعمير البيت ، والاهتمام بإقامة شعائر الحجّ والرفادة والسقاية لضيفان الله حتىٰ نهاية موسم الحج ، ولم يكن عملهم في ضيافة الحج لكسب الفخر لأنفسهم أو لقومهم ، بل كانوا يبتغون من وراء ذلك كسب رضا الله ؛ ولذلك يشترطون في الإنفاق ألّا يكون من مالِ الحرام ، بينما يخبر الله تعالىٰ عن المشركين ويقول سبحانه في سورة النساء :

﴿ والَّذين يُنفقون أموالهُم رئاء النَّاس ولا يُؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ... ﴾ [الآية : ٣٨].

ويخوّفون الناس من يوم الجزاء وعقاب الأعمال ؛ بينما نجد الله سبحانه وتعالىٰ يخبر عن المشركين في العصر الجاهلي أنّهم كانوا يقولون :

أ ـ في سورة الجاثية :

﴿ وَقالُوا ما هِيَ إلّا حَياتُنا الدُّنيا نَموتُ وَنَحيا وَما يُهلِكُنا إلّا الدَّهْرُ ... ﴾ [الآية : ٢٤].

ب ـ في سورة الأنعام :

﴿ وَقالوا إن هِيَ إلاّ حَياتُنا الدُّنيا نَموتُ وَنَحيا وَما نَحنُ بِمَبعُوثينَ ﴾ [الآية : ٢٩].

ج ـ في سورة هود :

﴿ ... وَلَئِنْ قُلتَ إنّكمُ مَبعُوثون مِنْ بَعد المَوتِ لَيَقُولَنَّ الّذينَ كَفَروا إنْ هذا إلّا سِحرٌ مُبينٌ ﴾ [الآية : ٧] ونظائرها في سورة الإسراء ٤٩ و ٩٨ وسورة المؤمنون ٣٧ و ٨٢ والصافات ١٦ والواقعة ٤٧ .

د ـ في سورة ياسين :

﴿ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلقَهُ قال مَنْ يُحيي العِظامَ وَهِيَ رَميمٌ * قُلْ يُحييها الَّذي أَنْشأها أوّل مَرَّةٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليمٌ ﴾ [الآيتان : ٧٨ ـ ٧٩] .

وهكذا كان الجاهليون كما وصفهم الله تعالىٰ وقال :

﴿ وكانوا يصرّون علىٰ الحنثِ العظيمِ * وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأوّلونَ ﴾ [الواقعة : ٤٦ ـ ٤٨] .

والحنث : الذنب والاثم .

وكان في ما قام به آباء النبي كابِراً بعد كابِرٍ مخالفة لسنن مجتمعهم في السلوك ، مثل : تحريمهم الخمر والزنىٰ في قرون متوالية في مجتمع انتشر فيهم شرب الخمر والزّنىٰ بأنواعه ، وكان في مكة والطائف بيوت للمومسات يرفعن عليها أعلاماً إشعاراً بعملهنّ ، وفي نهيهم عن وأد البنات في عصر ﴿ وَإذا بُشِّر أحدُهُم بالأنثىٰ ظلَّ وجهُهُ مُسْوَدّاً وهُو كظيمٌ * يتوارىٰ من القومِ من سُوء ما بُشِّر به أيُمسكُهُ علىٰ هُونٍ أم يدُسُّهُ في التُّرابِ ... ﴾ [النحل : ٥٨ ـ ٥٩] .

إلىٰ غير ذلك من الأعمال التي تركوها ومنعوا عنها ، مخالفين في ذلك سنَن

قومهم مما حفلت بذمّها سور القرآن المكيّة، وكذلك في ما قاموا بها من مكارم أخلاق خصّوا بها مثل دعوتهم إلىٰ الانفاق علىٰ إطعام ضيفان الله من الكسب الحلال في مجتمع قائم علىٰ أخذ الربا والكسب بالقمار وسلب أموال من يستطيعون سلب أمواله بأية وسيلة أمكنتهم. وفي جانب العقائد لم يسجلّ التاريخ علىٰ أحد من آباء النبي ﷺ أنّه سجد لصنم قطّ أو قرّب قرباناً لصنم أو استنصر صنماً أو استمطره أو لبّىٰ لصنم في الحجّ أو حلف بصنم قطّ، في عصور كان المجتمع المكّي ومن حولهم تقوم عقائدهم عليها ويدور كلامهم حولها.

وكذلك دعوتهم للخوف من الجزاء يوم القيامة في مجتمع يستهزئون ويستخفّون عقول من يدينون بالحياة الآخرة، ولا يمكن أن يقال ان كل ذلك وقع مصادفة في كل تلكم القرون في أولاد إسماعيل عليه السلام بعده إلىٰ عصر عبدالمطلب، أي قرابة أكثر من خمسمائة سنة، وأن سلسلة آباء النبي جميعهم في كل تلكم القرون اتّصفوا مصادفة بما ذكرنا، مع طهارة المولد في عصور انتشر فيها الزنىٰ في مكة والطائف انتشاراً هائلاً، بحيث أنّي لم أجد في كتب الأنساب والسير أسرة ممن ذكروا من مشاهيرهم سلمت أنسابهم وطهرت من الخبائث. ليس من المعقول القول بأن كل ذلك وقع مصادفة في أكثر من خمسمائة سنة، أضف إلىٰ ذلك قيام آباء النبي ﷺ ببشارة قومهم ببعثة خاتم الأنبياء في مكة، وأنّه سُمّي في الكتب السماوية بمحمّد وأحمد ﷺ وطلبهم من قومهم أن يصدّقوه وينصروه عندما يُبعث في بلدهم؛ وعملهم هذا مصداق لقوله تعالىٰ في سورة آل عمران:

﴿ وإذْ أخذ اللهُ مِيثاقَ النَّبيّين لما آتيتُكُم من كتابٍ وحكمةٍ ثمَّ جاءكُمْ رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصُرُنَّهُ قال ءأقررتُم وأخذتُم علىٰ ذلكُم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكُم من الشاهدين ﴾ (الآية: ٨١). والرسول هو محمد بن

عبدالله عليه السلام وكل ما ذكرناه ممّا صدر في جانب العقائد من آباء النبي صدر من عبدالمطلب أكثر، مثل قوله في ما أنشد عندما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله :

أنت الذي سُمّيت في الفرقان   في كتب ثابتة المباني
أحمد مكتوب علىٰ اللّسان

وقوله في ما أنشد عندما أضلته مرضعته حليمة :

أنت الذي سمّيته محمّداً

ويصرّح في أبياته التي أنشدها بعد هلاك جيش أبرهة الحبشي أنّهم حجج الله حيث يقول :

نحن آل الله في ما قد مضىٰ   لم يزل ذاك علىٰ عهد إبرهم
لم تزل لله فينا حجّة   يدفع الله بها عنّا النقم

ولم يكن من باب المصادفة أن يأتي الاسلام بما سنّه عبدالمطّلب، وإنما كان علىٰ ملّة ابراهيم عليه السلام الحنيفة وما سنّه عبد المطلب كان اتّباعاً لشريعة ابراهيم عليه السلام و لذلك جاء في الاسلام ما سنّه عبد المطلب فقد قال سبحانه :

أ ـ في سورة النحل :

﴿ ثم أوحينا إليك ان اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ... ﴾[1] [الآية : ١٢٣].

ب ـ في سورة آل عمران :

﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً ... ﴾ [الآية : ٩٥].

ج ـ في سورة النساء :

﴿ ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسنٌ واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ... ﴾ [الآية : ١٢٥] وسورة الأنعام [الآية : ١٦١].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، وتفسير الآية في تفسير السيوطي ٥ / ٩٩.

وبناء علىٰ ذلك فانّ آباء النبي ﷺ كانوا علىٰ شريعة إبراهيم الحنيفة ، و صدق الله العظيم حيث قال سبحانه :

﴿ و تَقَلُّبك في السَّاجِدِين ﴾ [الشعراء : ٢١٩].

فقد قال ابن عباس في تفسير الآية : ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتىٰ ولدته امه .

و قال الامام الباقر عليه السلام في تفسيرها : يرىٰ تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلىٰ نبيّ ، حتىٰ أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام .

و قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الخطبة ٩٢ من نهج البلاغة في وصف الأنبياء :

(فاستودعهم في أفضلِ مستودعٍ ، وأقرهم في خير مستقر ، تناسختهم كرائم الأصلاب إلىٰ مطهرات الأرحام ، كلما مضىٰ منهم سلفٌ قام منهم بدين الله خلفٌ ، حتىٰ أفضت كرامة الله سبحانه إلىٰ محمد ﷺ ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، و أعزّ الأروماتِ مغرساً ، مِنَ الشجرة التي صدع منها أنبياءه ، و انتخب منها أُمناءه ، عترته خير العتر ، وأسرته خير الأُسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ، وبسقت في كرم) .

يُستدلّ بقوله عليه السلام : (كلمّا مضىٰ منهم سلف قام منهم بدين الله خلف حتىٰ أفضت كرامة الله سبحانه) علىٰ تتابع القائمين بالدعوة إلىٰ دين الله وتسلسلهم من لدن آدم عليه السلام إلىٰ نبي الله الخاتم وانّه لم يخل منهم زمان .

كما قال عليه السلام في كلمة اخرىٰ له :

(لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة : إما ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً[١] لئلا تبطل حجج الله وبيناته . وكم ذا[٢] ؟ وأين (أولئك) ؟ أُولئك ـ والله ـ الأقلون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً ، يحفظ الله بهم حججه وبيناته ، حتىٰ يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم)[٣].

و إنّ ربوبيّة الله للبشر تقتضي أن يجعل لهم في كل عصر اماماً يأخذون منه معالم دين الله ، بحيث إذا جاهدوا في طلبه كما يجاهدون في طلب الرزق اهتدوا إلىٰ ما شرّع لهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ كما فعل ذلك سلمان الفارسي المحمدي حين هاجر في طلب الهداية من جيّ اصفهان إلىٰ أديرة الرهبان في الجزيرة والموصل والشام . ونحن في هذا البحث بصدد أن نري أمثلة من سيرة آباء النبي صلى الله عليه وآله الذين كانوا يحملون الىٰ الناس شريعة ابراهيم عليه السلام الحنيفة ، بينما اعتقد الناس خطأً ان الله تبارك وتعالىٰ ترك أهل ذلك العصر ـ التي تسمىٰ بعصر الفترة ـ هملا ، ولم يجعل لهم اماماً يأخذون منه معالم دينهم ـ معاذ الله ـ.

وما المانع من أن يكون عبدالمطلب من الأنبياء الذين لم يذكر اسمهم في القرآن ، فقد جاء في حديث الرسول الىٰ أبي ذر ان عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، والمرسلين ثلاث مائة وخمسة عشر ، وجاء في القرآن الكريم اسم خمسة وعشرين نبياً ورسولاً[٤] .

---

(١) غمره الظلم حتىٰ غطاه فهو لا يظهر .

(٢) استفهام عن عدد القائمين لله بحجته واستقلال له ، وقوله : « وأين أولئك ؟ » استفهام عن أمكنتهم وتنبيه علىٰ خفائها .

(٣) الحديث ١٤٧ من باب أحاديث نهج البلاغة .

(٤) البحار ١١ / ٣٢ ، ومسند أحمد ٥ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

أمّا كون آباء النبي من الموحّدين فانه يستفاد ذلك بالاضافة إلىٰ ما تقدم من الأحاديث الآتية :

قال ابن عباس : سألت رسول الله ﷺ فقلت : بأبي أنت وأمي أين كنت وآدم في الجنة ؟ فتبسم حتىٰ بدت نواجذه ثم قال : إني كنت في صلبه وهبط إلىٰ الأرض وأنا في صلبه ، وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار في صلب أبي ابراهيم ، لم يلتق أبواي قط علىٰ سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلىٰ الأرحام الطاهرة مصفىً مهذبا ، لا تتشعب شعبتان إلّا كنت في خيرهما ، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي ، وبالاسلام هداني ، وبين في التوراة والانجيل ذكري ، وبين كل شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها ، وعلمني كتابه ، ورقىٰ بي في سمائه ، وشق لي من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد ، ووعدني أن يحبوني بالحوض ، وأعطاني الكوثر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ، ثم أخرجني في خير قرون امتي ، وامتي الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[١] .

وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالىٰ :

﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء ممّا تعبدون * إلّا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٨] .

يعني لا إله إلّا الله لا يزال في ذريته من يقولها[٢] .

وقال : في عقبه أي في خلفه[٣] . وفي رواية : عقبه ولده[٤] . وفي تفسير

---

(١) تفسير السيوطي ٥ / ٩٩ .
(٢) ابن كثير ٤ / ١٢٦ .
(٣) القرطبي ١٦ / ٧٧ .

القرطبي ما موجزه : أي وجعل الله هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه وهم ولده وولد ولده ، أي أنهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله ، وأوصىٰ بعضهم بعضاً في ذلك . والعقب من يأتي بعده .

و في صحيح الترمذي ومسند أحمد بسنده إلىٰ الصحابي واثلة :

إنّ الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل . واصطفىٰ قريشاً من كنانة . واصطفىٰ من قريش بني هاشم . واصطفاني من بني هاشم(٥) .

و في سنن الترمذي بسنده ان رسول الله ﷺ قال : ان الله عزّوجلّ اصطفىٰ من ولد إبراهيم اسماعيل ، و اصطفىٰ من بني اسماعيل كنانة ، و اصطفىٰ من بني كنانة قريشاً ، و اصطفىٰ من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

و قال : هذا حديث حسن صحيح(٦) .

و المقصود من قريش نفر من آباء النبي ﷺ .

كان ذلكم بعض أخبار آباء النبي في عصر الفترة .

و قال المسعودي :

(تنازع الناس في عبدالمطلب ، فمنهم من رآىٰ أنه كان مؤمناً موحداً ، وأنه لم يشرك بالله عزّوجلّ ولا أحد من آباء النبي ﷺ وأنه نقل في الأصلاب الطاهرة ، وانه أخبر أنه ولد من نكاح لا من سفاح . ومنهم من رآىٰ أن عبدالمطلب

---

(٤) تفسير السيوطي ٦ / ١٦ .
(٥) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، رقم الحديث ١ ، ومسند أحمد ٤ / ١٠٧ .
(٦) مسند أحمد ٤ / ١٠٧ ، صحيح الترمذي ١٣ / ٩٤ أبواب المناقب الحديث الأول من الباب الأول .

كان مشركاً ، و غيره من آباء النبي ﷺ إلّا من صح إيمانه ، و هذا موضع فيه تنازع بين الامامية و المعتزلة و الخوارج و المرجئة و غيرهم من الفرق في النص و الاختيار ، و ليس كتابنا هذا موسوماً للحِجاج ، فنذكر حِجاج كل فريق منهم .

و قد أتينا علىٰ قول كل فريق منهم وما أيد به قوله في كتابنا « المقالات في أصول الديانات » وفي كتاب « الاستبصار » ووصف أقاويل الناس في الامامة وفي كتاب « الصفوة » أيضاً)[1] .

و سوف نذكر أدلتهم بعد دراستنا لسيرة أبي طالب عليه السلام مع الرسول في ما يأتي باذنه تعالىٰ :

---

(١) مروج الذهب ٢ / ١٠٨ و ١٠٩ . وان كلامه هذا يدل علىٰ ان كتاب اثبات الوصيّة ليس له ، وإلّا لذكره مع ما ذكر من مؤلفاته هنا . أضف إلىٰ ذلك ان المسعودي يجرّد في كلامه النبي ﷺ عن آله في التصلية كسائر اتباع مدرسة الخلفاء ، والتصلية في كتاب اثبات الوصية مقرونة بالآل إلّا في ما إذا ثبت أنّه ألف إثبات الوصيّة بعد الكتب المذكورة .

وقد يكون اثبات الوصية لعلي بن الحسين المسعودي من مشايخ النعماني الذي روىٰ عنه النعماني في كتاب الغيبة ص ١٨٨ و ٢٤١ و ٣١٢ ، وسبق أن نقلنا عنه في بحث الوصية من معالم المدرستين ج ١ بعض الأخبار التي اشترك في نقلها صاحب الكتاب مع المصادر المعتمدة والمشهورة .

نتائج بحوث الكتاب

اولاً : تسلسل تعيين الوصي من لدن آدم الى النبي الخاتم (صلوات الله عليهم أجمعين)

ادم أوصى إلى إبنه شيث هبة الله .

لمّا ولد شيث انتقل النور إليه . فلما ترعرع و كمل أوعز إليه آدم وصيته ، و أعلمه أنّه حجة الله بعده و خليفته في الأرض ، و المؤدّي حقّ الله إلى أوصيائه ، و أنّه الثاني في انتقال نور الرسول الخاتم ﷺ إليه .

و لمّا أراد الله أن يتوفّى آدم ، أمره أن يسند وصيّته إلى إبنه شيث و يعلّمه جميع العلوم التي عُلِّمَ بها ففعل .

و لمّا حضر آدم الوفاة ، جاء شيث و ولد ولده ، فصلّى عليهم و دعا لهم بالبركة ، و جعل وصيته إلى شيث ، و أمره أن يحفظ جسده و يجعله إذا مات في مغارة الكنز ، و أن يوصي بعضهم بعضاً عند وفاتهم ؛ إذا كان هبوطهم من جبلهم أن يأخذوا جسده فيجعلوه وسط الأرض .

و لمّا وُلد أنوش بن شيث لاحَ النور عليه ، فلمّا بلغ الوصاة أوعز إليه شيث في شأن الوديعة و عرّفه شأنها و أنّها شرفهم و كرمهم ، و أوعز إليه أن ينبّه ولده على حقيقة هذا الشرف و كبر محلّه ، و أن ينبّهوا أولادهم عليه ، و يجعل ذلك فيهم و صيّة منتقلة ما دام النسل .

شيث أوصى إلى ابنه أنوش .

فلمّا حضرت وفاة شيث أتاه بنوه و بنو بنيه و هم يومئذٍ أنوش ، و قينان ، و مهلائيل ، و يرد ، و أخنوخ ، و نساؤهم و أبناؤهم . فصلّى عليهم و دعا لهم بالبركة ، و تقدّم إليهم أن لا يختلطوا بأولاد قابيل الملعون ، و أوصى إلى أنوش ابنه و أمره أن يحتفظ بجسد آدم ، و أن يتّقي الله و يأمر قومه بتقوى الله و حسن العبادة ، ثمّ توفّي .

وُلد أنوش في زمن آدم ، فلمّا احتضر شيث أوصى إلى ابنه أنوش و أخبره بالنور الذي انتقل اليه منه – أي نور خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ألذي يولَد من نسله – و أمره أن يُنبّه ولده على هذا الشرف كابراً عن كابر و سلفاً بعد سلف ، فقام ولده أنوش بعده بالأمر أحسن قيام ، و دبر الرعايا و عمل بالشرايع على ما كان عليه أبوه .

أنوش أوصى إلى ولده قينان .

و قام أنوش بن شيث بعد أبيه بحفظ وصيّة أبيه و جدّه ، و أحسن عبادة الله ، و أمر قومه بحُسن العبادة .

و لمّا حضرت أنوش الوفاة اجتمع إليه بنوه و بنو بنيه قينان ، و مهلائيل و أوصى قينان بجسد آدم ، و أمرهم أن يُصلّوا عنده و يُقدّسوا الله كثيراً و توفّي . و أوصى إلى ابنه قينان ، و انتقل النور إلى قينان و أخبره بالسرّ الذي أودعه فيه ، فسار قينان سيرة أبيه .

و قام قينان بن أنوش في قومه بطاعة الله و حسن عبادته ، و اتّباع وصية

آدم و شيث .

قينان أوصى إلى ولده مهلائيل :

فلمّا دنى موته اجتمع إليه بنوه و بنو بنيه مهلائيل ، و يـرد ، و مـتوشلح ، و لمك ، و نساؤهم ، و أبناؤهم ، فصلّى عليهم ، و دعا لهم بالبركة .

و جعل وصيّته إلى مهلائيل ، و أمره أن يحتفظ بجسد آدم ، و أعلمه بالنور الذي انتقل إليه ، فسار بالناس سيرة أبيه .

مهلائيل أوصى إلى ولده يوارد :

وُلد له يارد و أوصى أبوه إليه و أخبره بالسرّ المكنون و انتقال النور إليه ، و علّمه الصحف ، و علّمه قسمة الأرض و ما يحدث في العالم ، و دفع إليه كتاب سرّ الملكوت الذي علّمه مهلائيل الملك لآدم عليه السلام و كانوا يتوارثونه مختوماً .

يوارد أوصى إلى ابنه أخنوخ و هو إدريس :

في مرآة الزمان :

فلمّا دنا موت يرد ، اجتمع إليه بنوه و بنو بنيه أُخنوخ ، و متوشلح ، و لمك ، و نوح فصلّى عليهم و دعا لهم بالبركة و عهد إلى أُخنوخ و علّمه العلوم التي عنده و دفع إليه مصحف السرّ .

و أمر أخنوخ إينه ألاّ يزال يصلّي في مـغارة الكـنز - التـي فـيها جسـد آدم عليه السلام - ثمّ توفي .

و أُنزل على إدريس ثلاثون صحيفة ، و كان قد نزل قـبل ذلك عـلى آدم

إحدى و عشرون صحيفة ، و أُنزل على شيث تسع و عشرون صحيفة فيها تهليل و تسبيح .

و أوّل نبي بُعث بعد آدم إدريس ، و هو أخنوخ بن يرد ... فولد أخنوخ متوشلح و نفراً معه و إليه الوصيّة . فولد متوشلح لمك و نفراً معه و إليه الوصيّة ، فولد لمك نوحاً .

إدريس أوصى إلى ابنه متوشلح .

و أوصى إدريس إلى ابنه متوشلح ، لأنّ الله أوحى إليه أن اجعل الوصيّة في ابنك متوشلح فإنّي سأُخرج من ظهره نبياً يُرتضى فعله .

و أوصى إدريس إلى ابنه متوشلح ، و لمّا عهد إليه عرّفه بالنور الذي انتقل إليه منه – أي نور النبيّ الخاتم ﷺ –

متوشلح أوصى إلى ابنه لمك .

في أخبار الزمان :

لمّا حضرت متوشلح الوفاة أوصى إلى ابنه لمك ، و معنى لمك ، الجامع ، و هو أبو نوح ، و عهد إليه و دفع إليه الصحف و الكتب المختومة التي كانت لإدريس ، و انتقلت الوصيّة إليه .

لمك أوصى إلى ابنه نوح .

لمّا دنا موت لمك دعا نوحاً ، و ساماً ، و حاماً ، و يافثاً ، و نساءهم و لم يبق من أولاد شيث غيرهم و كانوا ثمانية أنفس ، و هبط الباقي إلى أولاد قابيل و

اختلطوا معهم ، فصلّى عليهم متوشلح و دعا لهم بالبركة و قال : أسأل الله الذي خلق آدم أن يعطيكم بركة أبينا آدم ، و يجعل في ولدكم المُلك ، و أنا متوفّى ، و لن يفلت من أهل الرجز غيرك يا نوح ، فإذا أنا متّ فاحملني و اجعلني في مغارة الكنز – التي كان فيها جسد آدم عليه السلام – فإذا أراد الله أن تركب السفينة ، فاحمل جسد أبينا آدم ، فاهبط به معك حتّى تخرجوا من السفينة ، فاذا ذهب الطوفان و خرجتم من السفينة إلى الأرض ، فصَلِّ أنت عند جسد آدم ، ثمّ أوصي ساماً أكبر بنيك ، فليذهب بجسد آدم حتّى يجعله في وسط الأرض و ليجعل معه رجلاً من أولاده يقوم عليه ، – إلى قوله – فإنّ الله مرسل معه ملكاً من الملائكة يدلّه على وسط الأرض و يؤنسه .

أوحى الله عزّ و جلّ إلى نوح في أيّام جده إدريس النبيّ و قبل أن يرفع الله إدريس أمره أن ينذر قومه و ينهاهم عن المعاصي التي كانوا يركبونها ، و يحذرهم العذاب فأقام على عبادة الله تعالى و الدعاء لقومه .

نوح أوصى إلى ولده سام .

و عاش نوح ، بعد خروجه من السفينة ، ثلاثمائة و ستين سنة ، و لمّا حضرت وفاة نوح اجتمع إليه بنوه الثلاثة : سام و حام و يافث و بنوهم ، فأوصاهم و أمرهم بعبادة الله تعالى ، و أمر سام أن يدخل السفينة إذا مات ، و لا يشعر به أحد ، فيستخرج جسد آدم في وسط الأرض ، في المكان المقدّس ، و قال له : يا سام : إنّك إذا خرجت أنت و ملكيزدق بعث الله معكما ملكاً من الملائكة يدلّكما على الطريق و يُريكما وسط الأرض ، فلا تعلمنّ أحداً ما تصنع ، فإنّ هذا الأمر وصيّة آدم التي أوصى بها بنيه ، و أوصى بها بعضهم بعضاً ، حتّى انتهى ذلك إليك ،

فإذا بلغتما المكان الذي يُريكما المَلَك ، فضع فيه جسد آدم ، ثمّ مُر ملكيزدق أن لا يفارقه ، و لا يكون له عمل إلاّ عبادة الله سبحانه .

إنّ الله جعل لسام بن نوح الرئاسة و الكتب المُنَزَّلة من الأنبياء ، و وصيّة نوح في ولده خاصّة دون إخوته .

سام أوصى إلى ابنه ارفخشد ،

قام سام بن نوح ، بعد أبيه ، بعبادة الله تعالى و طاعته ، و فتح السفينة ، فأخذ جسد آدم ، فهبط به سرّاً من أخويه و أهله و معه ابنه ، فعرض لهما المَلَك فلم يزل معهما حتّى صار بهما إلى الموضع الذي أُمروا أن يضعوا جسد آدم فيه فـوضعوا الجسد فيه .

سام أوصى إلى ولده ارفخشد ،

لمّا حضرت سام الوفاة ، أوصى إلى ابنه ارفخشد و كان القيّم بعد سام في الأرض .

ارفخشد أوصى إلى ابنه شالح ،

و لمّا حضرت ارفخشد الوفاة جمع إليه وُلده و أهله و أوصاهم بعبادة الله تعالى و مجانبة المعاصي ، و قال لشالح ابنه : اقبل وصيّتي ، و قم في أهلك بعدي عاملاً بطاعة الله تعالى ، و مات .

شالح أوصى إلى ابنه عابر :

و لمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عابر بن شالح ، و أمره أن يتجنّب فعل بني قابيل اللّعين ، و مات .

و درسنا فيما سبق كيف أوصى خليل الّحمن إبراهم نجلَيه إسماعيل و إسحاق بحفظ شريعته الحنيفة .

و كان ذلكم بعض ما درسناه من أخبار تسلسل الوصاية في هذا المجلّد و في مجلّده الأوّل درسنا كيف أمر الله كليمه بن عمران أن يُعيّن اليسع بن نون وصيّاً على شريعته و أمته من بعده .

و كيف أوصى داود ابنه سليمان عليهما السلام بذلك و كيف أوصى عيسى عليه السلام إلى حواريه شمعون سمعان بذلك و هكذا جرى تسلسل الوصاية من لدن آدم إلى عيسى بن مريم عليهم السلام ، و لم يكن خاتم الأنبياء بدعاً من الرسل فقد عيّن من بعده بأمرٍ من الله اثني عشر و صيّاً من أهل بيته و عترته أوّلهم ابن عمّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و آخرهم المهدي ابن الحسن العسكري عليهم السلام و أورد أخبار ذلك بالتفصيل في خمسة كتب لأعلامنا البررة بإسم إثبات الوصيّة ذكرها شيخنا مؤلّف الذريعة في موسوعته الذريعة و أورَدتُ بعض رواياتها و شيئاً من أخبارها في أكثر من ٢٥٠ صفحة من الجزء الأوّل من معالم المدرستين تحت عنوان النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه و آله في تعيين وليّ الأمر من بعده جاء فيها ما موجزه كالآتي :

أ – حين بدأ رسول الله صلى الله عليه و آله دعوته إلى الإسلام بعد ما نزلت آية و أنذر عشيرتك الأقربين و دعا بني عبد المطّلب كان من خبرهم ما موجزه : أخَذَ الرسول برقبة ابن عمّه علي و قال :

إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا [١].

ب – روى الصحابيان سلمان و أبو سعيد الخدري أنّ رسول الله قال:

إنّ وصيّي و موضع سرّي و خير مَن أترك بعدي و ينجز عدتي و يقضي ديني علي بن أبي طالب [٢]

عن أنس بن مالك ما موجزه أنّ الرسول ﷺ قال له:

أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين و سيّد المسلمين و يعسوب الين و خاتم الوصيّين ... فجاء علي ... الحديث [٣].

د – عن الصحابيّ بريدة قال قال النبي ﷺ:

لكلّ نبيّ وصيّ و وارث و إنّ عليّاً وصيّي و وارثي [٤].

هـ – في صحيح البخاري، و مسلم، و غيرهما[٥] و اللفظ للأوّل: أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبي بعدي».

و – و في سنن الترمذي و مسند أحمد و اللّفظ للاوّل:

---

(١) تاريخ الطبري ط.اروبا ٣ / ١١٧١، تاريخ ابن الأثير ٢٢٢/٢، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر، و شرح ابن أبي الحديد ٢٦٣/٣.

(٢) رواية سلمان في المعجم الكبير ٢٢١/٦، و مجمع الزوائد ١١٣/٩.

و رواية أبي سعيد فضائل علي بن أبي طالب من كتب الفضائل بكنز العمال ٢ / ١١٩، و الطبراني ٢٧١/٦.

و أبو سعيد بن مالك الخزرجي (ت ٥٤ هـ) ترجمته بتراجم الصحابة في الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة و نسمّيها في ما يأتي بالكتب الثلاثة.

(٣) ترجمة الإمام علي عليه السلام بتاريخ ابن عساكر، و حلية الأولياء ٦٣/١، و موسوعة أطراف الحديث عن أمجاد السادة المتّقين للزبيدي و أنس بن مالك أبو ثمامة الخزرجي إختلفوا في سنة وفاته من ٩٠ إلى ٩٣ هـ.

(٤) ترجمة الإمام بتاريخ ابن عساكر، و الرياض النضرة ٢ / ٢٣٤، و بريدة أبو عبد الله بن الحديب بن عبد الله الأسلمي قدِم من المدينة بعد أحُد فشهد مع الرسول ﷺ مشاهده، راجع ترجمته في الكتب الثلاثة.

(٥) صحيح البخاري ٢٠٠/٢ باب مناقب علي بن أبي طالب، و صحيح مسلم ١٢٠/٧ باب من فضائل علي بن أبي طالب، و الترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي، والطيالسي ٢٨/١ و ٢٩ و ح ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣، و ابن ماجة باب فضل علي بن أبي طالب ح ١١٥، و مسند أحمد ١٧٠/١ و ١٧٣ – ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، و ٣٢/٣ و ٣٣٨، و ٣٦٩/٦ و ٤٣٨، و مستدرك الحاكم ٣٣٧/٢، و طبقات ابن سعد ١٤/١/٣ و ١٥، و مجمع الزوائد ١٠٩/٩ – ١١١، ومصادر أخرى كثيرة.

« إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، و عترتي أهل بيتي ، و لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفونني فيهما»[(١)].

« لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر » .

وفي رواية :

« لا يزال أمر الناس ماضياً إلى اثني عشر »

و في رواية بعدها :

« ثمّ يكون المرج و الهرج » .

و في رواية :

« فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها » .

و في رواية قال عن عددهم أنّهم اثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل .

و لا تَصدُق هذه الروايات على غير الأئمّة الإثني عشر من أهل بيت رسول الله ﷺ الّذين طال عمر آخرهم و بعدهم يكون فناء الدنيا . و بما أنّ علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا أئمّة أهل البيت ، فقد حاروا في تفسير هذه الروايات الصحيحة و لم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به أنفسهم .

و في ما يأتي أسماء أولئك الإثنا عشر كما نصّ الرسول ﷺ في أحاديث أُخرى له .

---

(١) الترمذي ٢٠١/١٣ ، و أسد الغابة ١٢/٢ في ترجمة الإمام الحسن ، و الدرّ المنثور في تفسير آية المودّة من سورة الشورى ، و مستدرك الصحيحين و تلخيصه ١٠٩/٣ ، و خصائص النسائي ص ٣٠ ، و في مسند أحمد ١٧/٣ : « إنّي أوشك أن أُدعى فأُجيب » ، و في ص ١٤ و ٢٦ و ٥٩ منه أكثر تفصيلاً ، و طبقات ابن سعد ٢/ق ٢/٢ ، وكنز العمال ٤٧/١ و ٤٨ و في ٩٧ موجزاً .

أوصياء النبيّ الإثنا عشر من بعده :

الأول : عليّ بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، الوصيّ .

الثاني : الحسن بن عليّ ، السبط الأكبر .

الثالث : الحسين بن عليّ ، السبط الأصغر ، الشهيد .

الرابع : عليّ بن الحسين ، السجاد .

الخامس : محمد بن عليّ ، الباقر .

السادس : جعفر بن محمد ، الصادق .

السابع : موسى بن جعفر ، الكاظم .

الثامن : عليّ بن موسى ، الرضا .

التاسع : محمد بن عليّ ، الجواد .

العاشر : عليّ بن محمد ، الهادي .

الحادي عشر : الحسن بن عليّ ، العسكري .

محمد بن الحسن ، المهديّ ، الحجّة ، المنتظر .

وهكذا تسلسل تعيين الوصيّ من لدن آدم إلى النبيّ صلوات الله عليهم أجمعين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثانياً : وجدنا في حجج الله علىٰ خلقه أن انوش غرس النخل وزرع الحبّ وعمّر الأرض ، وامر ابنه قينان باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والحج وجهاد ولد قابيل ففعل ، وان يرد استخرج المعادن وبنىٰ المدن وامر ببناء المساجد وقتل السباع الضارية وذبح البقر والغنم .

وان إدريس كان أول من خاط بالابرة وأول من سبىٰ بني قابيل واسترقّ منهم ، ونظر في علم النجوم ووضع اسماء البروج والكواكب السيّارة .

وان متوشلح عمرّ البلاد وكان أول من ركب الجمل ، ومن ذلك علمنا ان المبلغين عن الله هم ـ أيضاً ـ روّاد الحضارة البشرية ، ولم تقتصر هدايتهم للناس في تعليمهم العبادات كما يرىٰ ذلك من عقائد النصارىٰ اليوم .

ثالثاً : وجدنا في عصر الفترة من الرسل أن آباء النبي ﷺ هم استجابة لدعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام عندما دعوا ربهما وقالا : ﴿ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريّتنا امة مسلمة لك﴾ [البقرة : ١٢٨] .

فقد كان منهم خزيمة بن مدركة الذي كان يقول :

قد آن خروج نبي من مكة يدعىٰ أحمد يدعو الىٰ الله .. فاتبعوه ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحقّ .

وكان كعب بن لؤي يقول :

لم يخلق السماء والارض عبثاً والدار أمامكم ـ يعني دار الآخرة ـ ويوصي بمكارم الاخلاق ويقول :

ويبعث من الحرم خاتم الانبياء بذلك جاء موسىٰ وعيسىٰ .

وينشد (على غفلة يأتي النبي محمد ...) ثم يقول : يا ليتني شاهد نجوىٰ دعوته .

وانّه لمّا جاء عمرو بن لحيّ بصنم هبل الىٰ مكة وانتشرت عبادة الاصنام فيها ، كان قصيّ ينهىٰ عن عبادة غير الله من الاصنام ، ويقيم شعائر الحج وهي عماد حنيفية ابراهيم ، ويقوم باطعام الحجيج واروائهم مستغنيا بأهل مكة في ذلك .

وقام بذلك بعده ابنه عبدمناف واوصىٰ قريشاً بتقوىٰ الله وصلة الرحم .

وقام ابنه هاشم كذلك باطعام الحجيج واروائهم ، وكان يقول لمن يعينه من أهل مكة : اسألكم بحرمة هذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله الّا طيّباً لم يؤخذ ظلماً ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصباً ، وسن لقريش رحلة الشتاء والصيف للتجارة الىٰ الشام وايران واليمن والحبشة ، وبزّ ابنه عبد المطلب آباءه في صفاته وقالوا عنه : انّه كان مقرّاً بالتوحيد مثبتاً الوعيد ـ ليوم القيامة ـ واجرىٰ الله علىٰ يده حفر بئر زمزم ، واقتدىٰ بجده ابراهيم واراد ان يضحي بابنه عبدالله ، والد النبي ﷺ ، وانشد قائلاً :

عاهدت ربي وانا موف عهده   اخاف ربي ان تركت وعده

ومنعه قومه من ذلك واقترحوا عليه ان يفديه بالابل ، فاقترع على مائة من الابل وعلىٰ عبدالله فخرجت علىٰ الابل فنحرها ، ولمّا تقدّم ابرهّة بجيشه الىٰ مكة ليهدم الكعبة المكرمة قال له عبدالمطلب : لهذا البيت ربّ يمنعك ، وناجىٰ الله و قال : يا ربّ ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك ، وفرّت قريش هاربة من مكة وبقي عبدالمطلب واهله فيها ، ولمّا اهلك الله جيش ابرهة انشد يقول :

طارت قريش اذ رأت خميسا   فظلتُ فرداً لا ارىٰ انيسا

وقال :

نحن آل الله في ما قد مضىٰ   لم يزل ذاك علىٰ عهد ابرهم

نحن دمّرنا ثمودا عنوة   ثم عاداً قبلها ذات الارم

نعبد الله وفينا سنّة   صلة القربىٰ وايفاء الذمم

لم تزل لله فينا حُجَّة   يدفع الله بها عنّا النقم

يقول شيبة الحمد في ابياته هذه :

فرّت قريش كالطير عندما رأت الجيش ، وبقيت وحدي في الحرم لا ارىٰ انيساً ، وهذا يدلّ علىٰ ايمانه وثقته بالله انّه لن يدع ابرهة يدخل الحرم ويهدم بيته .

وانّهم منذ جده ابراهيم هم آل الله ، ولا يصدق هذا القول علىٰ غير حجج الله علىٰ خلقه ، وان حجج الله هُم الّذين دمروا قبيلة ثمود ثم عاداً ذات الارم ، ولمّا لم يكن كل من هود وصالح من سلسلة اجداد عبدالمطلب ولم يكن قومهما من قريش عرفنا ان عبدالمطلب قصد بقوله : (نحن دمرّنا ثموداً ثم عاداً) ان حجج الله الذين كان عبدالمطلب احدهم دمروا ثمود وعاداً ودمّر هو إبرهة بدعائه ربّه يؤكّد ذلك بقوله : لم يزل لله فينا حجة يدفع الله به عنا النقم ، وانّه هو حجّة الله في عصره كما كان ابراهيم وهود وصالح حجج الله في عصورهم .

ولما ولد الرسول ﷺ قال عبدالمطلب في شعره انّ حفيده سمّي في الكتب باحمد ، كما أخبر الله عن عيسىٰ بن مريم عليه السلام انه قال : ﴿ ومبشرّاً بنبي يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ .

وعندما اخبرته مرضعة النبي حليمة السعدية انها فقدته في جبال مكة خاطب ربّه وقال : اللهم ردّ اليّ محمداً وانت سميّته محمّداً .

كل ذلك يدل علىٰ ان عبدالمطلب ممن عنده علم بالكتب السماوية قبله ، ولا يكون ذلك في بلد جاهلي مثل مكة ومن قوم جاهلين مثل قريش الا ان تكون لديه تلك الكتب ، وانّ يكون من سلسلة اوصياء أبويه ، اسماعيل ، وابراهيم عليهما السلام .

وكان عبد المطلب يأمر بصلة الارحام واطعام الطعام ، وترك الظلم والبغي ويقول : انّه لن يخرج من هذه الدنيا ظلوم حتىٰ يُنتقم منه ويقول : والله انّ وراء هذه الدار دار جزاء الاعمال .

وسنّ عبد المطلب الوفاء بالنذر ، وقطع يد السارق ، ومنع من نكاح

المحارم ، ونهىٰ عن قتل الموءودة ، وحرّم الخمر والزنىٰ والاّ يطوف بالبيت عريان[١] . وجاء كل ذلك في شريعة خاتم الانبياء ، واستجاب الله دعاءه في طلب المطر لأهل مكة ، وكان يتعبّد بغار حراء في شهر رمضان ، واوصىٰ قريشاً عامّة برسول الله واوصىٰ به (أبو طالب) خاصّة .

العبرة في تفسير الآيات :

فضّل الله بني إسرائيل علىٰ العالمين في عصرهم ، فضّلهم علىٰ العالمين حين أنجاهم من فرعون وقومه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ، يذبّحون أبناءهم ويستحيون بناتهم ، وفرق لهم البحر وضرب لهم فيه طريقاً يبساً ، وجاوزهم البحر وتبعهم فرعون وجنوده وساروا في نفس الطريق اليبس الذي سار فيه بنو إسرائيل ، فتلاقت مياه البحر عليهم وأغرق الله فرعون وجنوده بمرآىٰ من بني إسرائيل ، وطفا جسد فرعون علىٰ الماء وبقي سالماً حتىٰ اليوم في متاحف مصر ليكون آية للعالمين .

سار بعد ذلك بنو إسرائيل حتىٰ أتوا علىٰ قوم يعبدون الأصنام ، فقالوا لموسىٰ : إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال لهم موسىٰ عليه السلام متبّر وباطل ما فيه هؤلاء ، أو غير الله جلّ اسمه أبغي لكم إلهاً وهو فضّلكم علىٰ العالمين ؟

ثمّ قال عزّ اسمه لبني إسرائيل : اسكنوا الأرض ـ تملّكوها ـ بعد أن كانوا مستعبدين لفرعون لا يملكون أنفسهم فضلاً عن أن يملكوا الأرض وما عليها ، وظلّل الله عليهم الغَمام وأطعمهم السلوىٰ ـ السماني ـ من أفضل أنواع اللحوم ،

---

(١) كان بعض أهل الجاهلية لا يطوف بملابسه لأنه عصىٰ ربّه فيها ، فإما أن يستعير من أهل مكة ما يطوف به أو يطوف عرياناً .

والمنّ ـ السكّر الطبيعي ـ ، في مثل هذه الحالة قالوا لموسىٰ عليه السلام : يا موسىٰ لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربّك يخرج لنا من الأرض مما تنبت من بقلها وفومها وعدسها و ... فقال لهم موسىٰ عليه السلام : اهبطوا بلداً من البلاد فإنّ لكم ما سألتم ؛ و ـ أيضاً ـ فضّلهم الله علىٰ العالمين حين قسّمهم موسىٰ عليه السلام اثنتي عشرة قبيلة ، وضرب بعصاه الحجر بأمر من الله جلّ جلاله فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً لكل قبيلة عين يرتوون منها .

وواعد الله جلّ اسمه موسىٰ عليه السلام ثلاثين ليلة ليذهب إلىٰ طور سيناء ويؤتيه الله التوراة شريعة لبني إسرائيل فأتمّ الله ميعاده وجعله أربعين ليلة ، فأضلّ السامري[1] بني إسرائيل بعد ذهاب موسىٰ للمناجاة إلىٰ طور سيناء ، وصنع لهم عجلاً ممّا كان معهم من حليّ الذهب ورمىٰ في فمه ممّا كان معه من تراب الأرض التي رآىٰ عليها جبرائيل عليه السلام فأصبح له خوار علىٰ أثر دخول الرياح في فمه . فقالوا : هذا إلهكم وإله موسىٰ عليه السلام فقال لهم هارون عليه السلام : انّما فتنتم به وإنّ ربكم الرحمن ، قالوا : لن نترك عبادته حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ عليه السلام ، فاخبر الله عزّ اسمه موسىٰ عليه السلام بفعلهم ، فرجع إليهم غضبان أسفاً وعاتب أخاه هارون عليه السلام علىٰ ذلك فقال : يابن أُمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني ، وبعد أن أدرك بنو إسرائيل خطأهم جعل الله توبتهم أن يستسلم مَنْ عَبَدَ العجل منهم لمن لم يعبده ليقتلوهم ، فلمّا باشروا ذلك تاب الله عليهم ، ولكنهم بعد ذلك طلبوا من موسىٰ عليه السلام أن يأخذهم إلىٰ ميقات ربّه ليشاهدوا مناجاته مع الله فاختار موسىٰ منهم سبعين رجلاً ، فلمّا حضروا الميقات قالوا : أرنا الله جهاراً

(١) السامري : تعريب الشمروني ، كما أنّ عيسىٰ تعريب ليشوع بالعبرية ، وشمروني نسبة إلى شمرون الابن الرابع ليساكار من أسباط بني إسرائيل . راجع : مادّة شمرون من قاموس الكتاب المقدّس .

فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، وأعادهم إلىٰ الحياة ثانية بطلب موسىٰ عليه السلام ، وهكذا آمنوا بالتوراة التي جعلها الله ـ جلّ اسمه ـ هدىً لهم ، وليحكم بها النبيون منهم ، وقال لهم موسىٰ عليه السلام بعد أن ذكّرهم بما أنعم الله جل ذكره عليهم وفضلهم بها علىٰ غيرهم من العالمين : يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ـ بلاد الشام ـ الّتي كتب الله لكم ، قالوا : يا موسىٰ ان فيها قوماً جبّارين وانا لن ندخلها حتىٰ يخرجوا منها فان يخرجوا منها فَسوفَ ندخلها ، وقال رجلان من أحبارهم : ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم الغالبون وعلىٰ الله توكلوا إن كنتم مؤمنين ! قالوا يا موسىٰ لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، فقال الله جلّ اسمه : إنّها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ـ صحاريّ سيناء ـ فلا تأس علىٰ القوم الظالمين .

كان ذلكم بعض ما جرىٰ من بني إسرائيل علىٰ عهد موسىٰ عليه السلام ، ومما جرىٰ لبني إسرائيل بعد موسىٰ عليه السلام أنّ بعضهم كانوا ساكنين ساحل البحر وكانت تأتيهم حيتان البحر يوم السبت شرّعاً ، وقد نهاهم الله عن الصيد يوم السبت ترويضاً لنفوسهم الطاغية ، فخالفوا ما نُهُوا عنه وصادوا السمك يوم السبت فمسخهم الله قردة وأهلكهم .

وجعل في أوصياء موسىٰ داود عليه السلام وآتاه الزبور ، وكان إذا رفع صوته بقراءة وتسبيح الله تُردِّد الجبال صوته وتُسبِّح الطير معه ، وألان الحديد بيده يصنع منها الدروع ، وجعل من بعده ابنه سليمان عليه السلام الذي سخَّر له الريح تجري بأمره حيثُ يشاء ، والجنّ تغوصُ في البحار وتستخرج لهُ اللؤلؤ وتعمل له تماثيل ومحاريب وجفانٍ كالجواب وقدورٍ راسيات كبيرة ، وعلمهُ منطق الحشرات والحيوانات فعلم كلام النمل ، وأخبرهُ الهدهد بملك بلقيس ، وأحضر عرشها من

اليمن الىٰ الشام بطرفة عينٍ من عندهُ علمٌ من الكتاب ، وكانت الملائكة تُعذب من خالف امره من الجن بسوطٍ من عذاب ، وبقيت الجن بعد موته تعمل له حتىٰ اكلت الارضةُ عصاهُ وسقط علىٰ الارض .

كلُ تلكم حالاتٌ استثنائيةٌ في بني اسرائيل وانبيائهم . ومن حالاتهم الاستثنائية علىٰ عهد موسىٰ عليه السلام انهم اختلفوا في من قتل قتيلاً ، فأمرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة ، فأحيا الله القتيل بذلك .

ومن أخبارهم خبر عُزير وأرميا إذ مر علىٰ قرية خربة حيطانها ساقطة علىٰ سقوفها واهلها موتىٰ تأكل السباع جيفهم ، فقال مستغرباً كيف يحيي الله هذه الموتىٰ ؟ فاماته الله مائة عام ثم احياه ، اماته صباحاً واحياه مساءً ، فقال له ملك : كم لبثت نائماً ؟ فالتفت الىٰ الشمس قبل مغيبها فقال : يوماً أو بعض يوم ، فقال له : بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وكان تينا وعنبا وشرابك وكان عصيرا لم يتغير بمرّ السنين ، وانظر الى حمارك كان قد تفرقت عظامه وتفتت فاعادها الله وجمع بعضها إلىٰ بعض الآخر ثم كساها لحما ثم احياه الله ، فتبين له كيف يحيي الله الموتىٰ ، فلما رآى كل ذلك قال اعلم ان الله على كل شيء قدير .

ومن اخبارهم الاستثنائية بعد موسى خبر النبيّين : زكريا ويحيىٰ اذ نادىٰ زكريا ربّه وقال : ربّ اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً وامرأتي عاقر وخفت ورثتي من بعدي ، فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث آل يعقوب ، فبشرّه الله بيحيىٰ لم يسمّ بيحيىٰ قبله احد ، آتاه الله الكتاب والحكم صبيا .

واهمّ اخبارهم الاستثنائية خبر ولادة رسول الله عيسىٰ من امّه مريم بلا اب ومكالمته قومه في المهد ، واخبارهم ان الله آتاه الكتاب والحكمة ، وخلقه من الطين طيرا باذن الله ، وشفاؤه الأكمه والابرص واحياؤه الموتىٰ ، والقاء شبهه على

من وشئ به ليصلب مكانه ، ورفعه الله مكاناً عليا وبقي حيّاً الى يوم يعيده الله الىٰ الارض مع المهدي عليه السلام في آخر الدهر .

* * *

وهكذا وجدنا لانبياء بني اسرائيل حالات استثنائية لم نجدها في من سبقهم من الانبياء ، مثل ما اوتي سليمان عليه السلام من عمل الجنّ له ، ومثل ولادة عيسىٰ عليه السلام بلا أب وخلقه من الطين طيرا باذن الله ، ولم نجد في الامم مثل بني اسرائيل قساة القلوب متشاكسو الاخلاق رأوا الآيات التسع من نبيهم وعبر بهم البحر من اثني عشر طريقاً يبساً واغرق فرعون وجنوده ، وبعد ان فرّج الله عنهم بمعجزة لم يكن لها مثيل في طول تاريخ البشر ورأوا عبّاد صنم قالوا : يا موسىٰ اجعل لنا إلهاً صنماً مثل صنمهم ، وعبدوا العجل عند ذهاب نبيهم ليأتيهم من الله بشريعة يعملون بها .

تلكم الصفات الذميمة إلىٰ غيرها من أنواع الشذوذ في الفكر والخلق خصّوا بها دون الامم التي جاءت قبلهم وبعدهم . وكذلك الأمر في من كان يعاديهم مثل فرعون وملائه ثم الاقوام التي كانوا يسكنون يومئذ في اراضي الشام وامروا بمحاربتهم ، ونتيجة لكل تلك الحالات والظروف الاستثنائية احتاجوا من بين الامم الىٰ أحكام استثنائية من تحويل القبلة لهم من الكعبة الىٰ بيت المقدس ، وتحريم ما حرّم اسرائيل يعقوب علىٰ نفسه عليهم . ولمّا زالت بعض ظروفهم الاستثنائية على عهد المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام بهلاك الامم التي كانت تحاربهم في اوطانهم ، احلّ الله لهم بعض ما حرّم عليهم قبل ذلك ، ولما انتهت كل ظروفهم

الاستثنائية على عهد خاتم النبيين ﷺ عندئذ انتهىٰ أمد الاحكام الاستثنائية ، كما قال سبحانه : ﴿ الَّذين يتبعون الرسول النبي الامّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ... ﴾ [الاعراف : ١٥٧].

وبذلك نسخت شريعة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام وامروا ان يعودوا الى العمل بحنيفية ابراهيم عليه السلام التي جاء بها خاتم النبيين ﷺ ومن كل ذلك علمنا ان شرايع الاسلام منذ آدم عليه السلام الى النبي الخاتم ﷺ واحدة ومتناسبة مع فطرة الانسان . ولما كان لا تبديل لخلق الله فلا تبديل لشرع الله ، وانما كانت الشريعة تنزل علىٰ الأنبياء علىٰ مر الزمن بمقدار حاجة الانسان المعاصر لذلك النبي ، ولذلك نزل من الشريعة لأدم عليه السلام بمقدار ما تحتاجه أسرة واحدة . وعلىٰ عهد إدريس عليه السلام علىٰ قدر ما يحتاجه سكان القرىٰ ، واتسعت علىٰ عهد نوح علىٰ قدر حاجة أهل المدن ، وشرع لنا بمقدار ما شرع لقوم نوح ، وقال سبحانه : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحاً ﴾ ولم تختلف حنيفية إبراهيم عن شريعة نوح لقوله تعالىٰ : ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾ أي أن ابراهيم من شيعة نوح ، ولم تختلف شريعة خاتم الأنبياء ﷺ عن حنيفية إبراهيم عليه السلام و قال تعالىٰ لنبينا : ﴿ واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ ، و قال لنا : ﴿ واتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً ﴾ ، وإن شأن البشر في ما شرع لهم شأن النحل الذي أودع الله تعالىٰ في غريزته أن يعيش وفق ما قدر الله له من نظام يتناسب وفطرته ، ولم تتغير فطرته منذ أن خلقه الله حتىٰ اليوم .

وكذلك لم يتغير نظام حياته الذي يتبعه بالغريزة التي اعطاها الله ربّه ، ولم يتغير النظام الذي شرّعه الله رب العالمين بمقتضىٰ ربوبيته لجميع العالمين ، ولم

يكن الانسان بدعاً في ما خلق الله من خلق .

بهذا تنتهي بحوث هذا المجلد التي كانت شرحاً وتفسيراً لما اوجز بحثه في المجلد الأول منه ، واحياناً بزيادة بيان أو بتعبير آخر ، اقتداء بأسلوب القرآن العظيم في طرح عقايد الاسلام بايجاز احياناً وبتفصيل حينا آخر ، وبتغيير التعبير في مورد عن مورد آخر . وبعد انجاز هذه البحوث ندرس باذنه تعالىٰ في مجلده الثالث الآتي من سيرة الرسول ﷺ في مكة ما يمكننا من القرآن الكريم ومصادر الدراسات الاسلامية وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين .

* * *

الفهرست